

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

مِنْهُجُ الْمُؤْمِنِ

بَيْنَ

الْعِلْمِ وَالنَّطَبِيقِ

دَارُ النُّحُويِّ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



الدكتور عدنان علي رضا النحوي

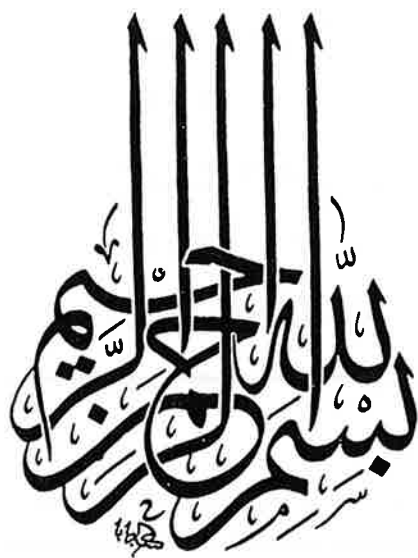
مِنْهُمْ إِمْلُؤْ مِنْ

بَيْنَ

الْعِلْمِ وَالنَّطِيقِ

٢١٣
ن ٢٣٧
النحوي ، عدنان علي
منهج المؤمن بين العلم والتطبيق / عدنان علي
رضا النحوي . - ط ٣ . - الرياض : دار النحوي ،
١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م
٢٨٠ ص ١٧ : ٢٤ سم
ردمك ٤ - ٠٧ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠
١ . الدعوة الإسلامية أ . العنوان

رقم الإيداع : ١٤ / ٠٦٠٦
ردمك : ٤ - ٠٧ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

الطبعة الثانية

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الطبعة الثالثة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



دار النهدى للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس : ٤٠١٠٢٥٧

ص . ب ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الافتتاح ..

﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .
(الأنعام : ١٥٢)

﴿ كَتَبُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .
(الأعراف : ١ - ٣)

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . أَنْ تَقُولُوا
إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ . أَوْ
تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي
الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ . (الأنعام : ١٥٥ - ١٥٧)
﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ .

(الأعراف : ١٧٠)

قال رسول الله ﷺ :

«تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه» .

رواه مالك في الموطأ

باب النهي عن القول بالقدر

حديث رقم : ١٦١٩

الإهداء

إلى أبنائي

الذين تعلّمت منهم على دربٍ طويل
الذين أعطوا أصفى الوداد وأنقى الرّفاد
وأنا أقدّم شيئاً من زاد
وبعضاً من عتاد

على طريق الإيمان ودرب الجهاد
وفي جلبة الميدان وملحمة الجلال

مقدمة الطبعة الأولى

لا تغيب إشراقه الكلمة الطيبة، ولا تذبل أزهير الحق، ولا ينقطع دفق ينباع الطاهرة، ويمضي الشذا يمد الشذا، والمدد يرفد المدد، والقوة تنمي القوة، على خير ممتد، وبركة واسعة، تشمل الأرض بامتدادها، والزمان بأجياله. إن هذا كله، وأكثر منه، هو بعض عطاء الحق، ونهاء الخير، وبركة الزاد، على درب الإيمان، وطريق الجهاد.

ولكن هذا كله لا يتيسر للقاعد اللاهبي، ولا للمتفهب التائه، ولا للجبان المغرور. إن الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده المؤمنين من الأم بولدها، ولكن الله سبحانه وتعالى سبقت كلمته، وغلبت حكمته، وجرى عدله، وجعل في الحياة الدنيا سنناً لا تبدل ولا تتحول. وجعل من هذه السنن أن بذل الجهد مطلوب من الإنسان، وأن الإنسان مأمور به، مكلف به. وجعل من سننه كذلك أن الجهد المنهجي أقرب للغاية، والسعي المنظم أدنى إلى النجاح، والصف المرصوص أقوى في الميدان، والنية الصادقة تحمل ذلك كله، وتدفعه إلى الغاية والنجاح والنصر، والله يقدر ما يشاء ولا راد لقضائه.

فمهمة الإنسان إذن بيّنة واضحة، وواجبه مقرر جلي، وخصائصه مفصلة. فلا مجال للتمني والظنون، ولا فسحة للهوى والجهل، على طريق الإيمان ودرب الجهاد.

إن الإنسان حين يرغب في وظيفة يريدتها، فإنه يسعى لها السعي الحثيث، لا يقعه حراً ولا قرّاً، ولا تعب ولا هو. وإذا أراد أمراً أعلى نهض إليه نهوض الهمة والنشاط، وترك الراحة والاسترخاء. وإذا عرضت له ثروة فزع إليها بلهفة وشهوة، وإلحاح وعناد. ويظل الإنسان يجري لاهثاً وراء هذه الرغبة أو تلك، وهو يؤمن بأنه لا ينالها قاعد ولا نائم. وربما بذل الإنسان حياته وهو يجري لاهثاً وراء عرض من الدنيا. وهو في سعيه هذا يبذل جهده ليخطط ويرسم، وليضع نهجا ويرسم درباً. إن الإنسان يشقى هذا الشقاء وهو يجري وراء دنيا زائلة، وعرض كاذب. فكيف يتصور الإنسان إذن أن تكون طريق الجنة؟ وكيف يكون إذن درب الخلود...؟ وكيف يكون السعي إلى الآخرة...؟!

إن من يطلب الجنة، إذا كان حقاً يريدتها، يجد أن دربها واضح مشرق، وسبيلها مستقيم

منير، ولكنه درب جهاد ومعاناة، وابتلاء وتمحيص، وبذل وعطاء، وإيثار وصبر، ونهج وقوة. إنه درب نية وإيمان، وعلم ودراسة وتدبر، ونهج وتخطيط، وجهاد وجلاد.

إذا كان الإنسان يخطط في سعيه لعرض زائل، يُجهد نفسه ليل نهار وهو يقلب الأمور، ويراجع الحساب، وينظر في الخطوة، ليرى أسلم نهج، وأصح سبيل يُقرُّه إلى غايته، فكيف يكون سعي الإنسان للجنة إذن. ؟! أيعقل أن يظل السعي متفلتاً من نهج، مضطرباً على فوضى وارتجال، تائهاً في الحيرة والشك. ؟! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة». (١) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

إن أول النهج هو اليقين الثابت الذي لا يتيه في حيرة وشك، وهو النية المشرقة بالعزيمة والوضوح، والإرادة والقوة، والجلاء والصدق، حتى تظل الجنة هي الهدف الأول الحقيقي المشرق في حياة المؤمن. وبدون هذه النية الواضحة المشرقة، وبدون هذه العزيمة الثابتة في إرادتها الماضية في عزمها. ، بدون هذا كله فإن العمل كله سيته ويضطرب، ويبطل ويضيع. وبدون هذا كله لا يستقيم نهج ولا تتحدد سبيل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. (فصلت: ٣٠)

حين تصح النية وتصدق العزيمة، فإننا نحتاج إلى أن نعرف الخطوة الأولى على الدرب، والثوبة الأولى في الميدان. فإن هذه الخطوة الأولى هي التي تحدد سائر الخطوات، وإن هذه الثوبة الأولى هي التي تمد بالقوة، وتوسع الرجاء، وتقرب إلى الغاية.

ولو كانت العقيدة غير الإسلام لاختلف الناس في الخطوة الأولى، ولتنوع الاجتهاد، وتضاربت الآراء، ولكنه الإسلام جعل الخطوة الأولى بعد الإيمان والنية، والعزيمة والقوة، علماً محدداً واضحاً، ومنهاجاً ربانياً مُيسراً، لا حجة لأحد بالتولي أو الإدبار عنه، وبدون هذا العلم لا تستقيم سبيل، ولا يشرق نهج، ولا تعرف تكاليف وواجبات، وتختلط الأمور بين خرافة وحقيقة، أو كذب وصدق، أو ظنون ويقين، أو وهم وحق. إن الأمور تختلط حتى

(١) سنن الترمذي. أبواب صفة القيامة (٣٨). باب (١٨). حديث رقم (٢٤٥٠).

لا تعود المعالم محدّدة، وحتى لا تتمايز الأشياء بخصائصها. لقد اختلطت المعالم وبهتت الخصائص، فكيف يتيسّر التمايز؟.

إن العلم هو الخطوة الأولى على النهج. إنه الخطوة الأولى بعد النية الصادقة والعزيمة الصحيحة. والعلم هو كما تحدده العقيدة ويرسمه الدين، ويقرره الله رب العالمين، ويبلغه للناس رسوله الأمين.

فأساس العلم هو منهاج الله - قرآنًا وسنة - . إنه المنهاج الربّاني كما أنزله الله سبحانه وتعالى، يحمل الحق المطلق، والدين الكامل، والحجة والنور والبرهان.

فعن جندب بن عبد الله، قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتیان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن. ثم تعلمنا القرآن فازدنا به إيماناً»^(١).

فالإيمان أولاً: «ف تعلمنا الإيمان». وإن المؤمن ليتعلم قواعد الإيمان.

وفي صحيح البخاري: «باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾، فبدأ بالعلم. وإن العلماء ورثة الأنبياء وقال جلّ شأنه: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم»^(٢).

إن النية مقرونة بالإيمان، والإيمان متصل بالعلم، والنية والإيمان والعلم تمثل كلها في ترابطها الدرب السليم للتطبيق، والصراط المستقيم للممارسة، ويظلّ الدرب مُشرقاً بالنور على قدر صدق النية، وسلامة الإيمان، وصحة العلم. ويكون الإشراق نهجاً واضحاً، وخطة جليّة، وخطا تتسابق، وأنفساً تتزاحم، على درب طويل إلى الجنة.

إن واقع العالم الإسلاميّ اليوم يدعو بالحاح وقوة إلى دراسة أسباب الضعف وعوامل الانهيار، وإلى البحث عن حلول ووسائل، وأساليب وبدائل، عسى أن يرفع الله بها البلاء، ويقطع الفتنة، ويدفع إلى مسالك العزة والانتصار. إننا أمام وضع مذهل من فتن وهوان، وانحراف وضياح. ولكن النفس المؤمنة تتهاusk أمام الأعاصير، وتتجلّد أمام المحنة، حتى تفكر بإيمان وعلم وروية.

(١) سنن ابن ماجه. المقدمة. باب في الإيمان (٩). حديث رقم (٤٩).

(٢) صحيح البخاري. كتاب العلم (٣). باب العلم قبل القول والعمل (١٠).

لو أحصينا عدد الذين يدخلون بيوت الله يصلون في العالم الإسلامي ، لوجدنا أن العدد كبير جداً ، يكفي ليقدم للأمة أعظم الجيوش عدداً ، وأوسعها مدداً . ومع ضخامة العدد والمدد نجد الهزيمة والضياع . فهناك إذن مرض ما . . . ، أو وهن ما . . . ، أو سوء ما . . . لا نكاد نلاحظه بسهولة أمام الصلاة القائمة والشعائر المؤداة . فلو كانت الصلاة تؤدى بحق حتى تؤتي ثمارها ، ولو كانت الشعائر تقام على صفائها ، لدفعت هذه أفواجاً من الجنود ، وأمواجاً من شهداء الحق ، يرسمون طريق العزة لا الذلة ، والنصر لا الهزيمة .

ففي حديث رسول الله ﷺ عن ثوبان قال ، قال رسول الله ﷺ : «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت» .

رواه الإمام أحمد وأبو داود^(١)

ولو رجعنا إلى تاريخنا لرأينا أن المرض ليس وليد ساعة ، ولا هو قضية سنوات . ولكنها قرون طويلة طرقت العالم الإسلامي بالفواجع ، ومدّت فيه المجازر ، وسكبت الدماء . فالمرض إذن أقرب لأن يعرف من شواهد التاريخ إن طوى الحاضر ، أو من أنات الحاضر إن غاب التاريخ ، أو منهما معاً .

وأول درس نتعلمه من تلك الأحداث هو أن يبدأ المسلم بنفسه ، وأن يرى أن المرض فيه كما هو بغيره . فلا يكثر اللوم والعتاب ، وليأخذن نفسه بالبناء والعلاج أولاً حتى يكون مثلاً وقوة ، وحتى يكون لكلامه آذان تسمعه ، ولعمله عيون تراه .

والدرس الثاني هو أنه لا بد من أن يكون لكل فرد في الأمة مسئولية وأمانة ، وأنه عليه أن ينهض لمسئوليته وأمانته بهمة وجد ، وعزم وحزم ، وقوة وعزيمة .

والدرس الثالث هو أن هذه المسئولية والأمانة في حدودها العامة ، لا يُحدّدها بشر ، ولا يقرّرها إنسان . ولكنها واجبات ومسئوليات حدّدها رب العالمين ، خالق الإنسان ورب الإنسان ، خالق السموات والأرض وما بينهما ، حدّدها الله في منهاجه الربّاني . فمن هناك

(١) سنن أبي داود : كتاب الملاحم (٣١) . باب في تداعي الأمم على الإسلام (٥) حديث رقم (٤٢٩٧) .

فقط تعرف الأمانة وحدودها، والواجبات وبنودها، والمسئولية ومداهها. ولا يتعارض ذلك مع ضرورة وضع تفاصيل وإقرار جزئيات تقوم على أساس من منهاج الله والواقع الذي يعيشه المسلم. وتظل هذه التفاصيل تمثل جزءاً من مهمة الإنسان في ممارسته لمنهاج الله في واقعه البشري.

من هذه القضايا الثلاث ينطلق تصورنا للخطوة الأولى على الدرب، والثوبة الأولى في الميدان. وإن البحث الذي نسوقه يقوم على نفس القاعدتين الثابتتين اللتين ندعو لهما: المنهاج الرباني - قرآناً وسنة - والواقع البشري.

أما بالنسبة لواقعنا اليوم، فيمكن أن ندرسه ونتفهمه من خلال عملية إحصائية، تقدم لنا أكبر عدد من النماذج البشرية من واقع المجتمع الإسلامي الحالي. ومن دراسة هذه النماذج: وسعاً وطاقة، إيماناً وعلماً، بذلاً وجهداً، وعياً والتزاماً، تجربة وخبرة، من دراسة هذه النماذج نستطيع أن نصل إلى ما هو أصح من الظن، وأقرب للأمانة، وأوسع فائدة في رسم نهج ومعالجة موقف. ولكن الدراسة يجب أن تخضع لميزان الإسلام الدقيق، للميزان الحق، لا يعصف به الهوى. ومن مثل هذه الدراسة تجدنا نصل إلى نتائج واضحة بيّنة، لم يكن يخفيها عن البصيرة إلا غشاوة من هوى، حالت دون رد الأمور إلى منهاج الله. ولا نريد هنا أن نسوق أرقاماً وأمثلة وتفاصيل دراسة، ولكننا نطرق أهم النتائج التي تعيننا هنا.

إن أول ما نلمسه في واقع المسلمين من دراسة هذه الشرائح والنماذج هو ضعف الزاد من العلم الحق، والله أعلم بحال الإيمان. إن ضعف الزاد من العلم في مساحة واسعة جداً من الأمة، واضطرابه لدى فئة أخرى، جعل الميزان لدى الرأي العام يضطرب، والصور تختلط، وسهل على الأعداء وأهل النفاق أن يندسوا بين الصفوف، وأن يقتحموا الأسوار، وأن يعلوا الثغور.

ولو قارنا هذه الصورة مع الصورة التي نراها في الأمة في حياة الرسول ﷺ، لرأينا عظيم الفرق، وهول الخطر الذي يتهددنا.

من هذه النقطة، من هذه الزاوية، من هنا نرى أن الخطوة الأولى يجب أن تبدأ. إنها الخطوة الأولى التي لا تعطل الخطوات التالية، ولكنها تدفعها دفعاً واعياً قوياً، وتوجهها وجهة مطمئنة رضية.

وإننا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل نقياً طاهراً، خالصاً لوجهه الكريم.

ونسأله تعالى أن يَمُنَّ علينا بلطفه فيجَنِّبنا الزلل وهو الولي الحفيظ .
فإن أصبنا خيراً فذلك من فضله ورحمته ، وأما الزلل فمن الشيطان ومما كسبت أيدينا .
نلجأ إلى الله ، إلى عفوه ، إلى رحمته التي وسعت كل شيء .
والحمد لله رب العالمين

د . عدنان علي رضا النحوي

الرياض :

الجمعة

١ محرم ١٤٠٧

٥ سبتمبر ١٩٨٦

مقدمة الطبعة الثانية

وأنا أدفع هذا الكتاب إلى الطبعة الثانية، نجد أن العالم الإسلامي مازال يموج في بحر ممتد من الفواجع والنكبات. ومازال الناس يتلفتون يسألون أين المخرج؟ أين الملجأ:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ . (التوبة : ١١٧ - ١١٩)

نعم ! لا ملجأ من الله إلا إليه. ولن تجد أمتنا سبيلا للخروج من الليل المدلهم إلا إذا أنابت إلى الله، وعادت إليه، ولجأت إليه لجوء إيمان ثابت و يقين راسخ، وعلم في كتاب الله وسنة نبيه، وممارسة إيمانية صادقة واعية أمينة، ومن أجل ذلك، وفي سعي يرجو رضا الله، كان هذا الكتاب.

لقد عرض القرآن الكريم نموذجين من الناس الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. نموذج المنافقين الذين كذبوا الله ورسوله فاعتذروا عن تخلفهم بما هو كذب ونفاق. وهؤلاء لم ينزل فيهم عقاب دنيوي، وظنوا أنهم نجوا، ولكن حسابهم الشديد بين يدي الله. ونموذج آخر هم الثلاثة المؤمنون الذين اعترفوا بخطئهم وذبهم اعتراف صدق ووضوح، فنزل بهم العقاب الدنيوي. ثم يكون ختام هذه القصة كلها: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين».

نعم ! فَلَنَكُنْ مع الصادقين، فهذا هو باب النجاة، وهذا هو المخرج، ولا نجاة بدونه أبداً، حتى ولو كان سبيل الصادقين سبيل محنة وابتلاء!.

الصدق مع الله! الصدق مع أنفسنا! الصدق مع الناس! الصدق في البيت والشارع والتجارة والوظيفة. الصدق الذي يقوم على الإيمان الثابت الراسخ، والعلم القوي المتين. ولا بدّ من أن يقوم العلم على قاعدتين أساسيتين هما: المنهاج الرباني والواقع. فحين تقوم الأمة المسلمة الواحدة على هاتين القاعدتين، وتزيع من حياتها الجهل والهوى، فعسى أن يفتح الله أبواب رحمته، وينزل من لدنه نصراً وعزة ونجاة، على منهج مشرق للمؤمن، منهج في العلم، ومنهج في التطبيق.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

(النور ٥٥)

والحمد لله رب العالمين

د. عدنان علي رضا النحوي

الرياض : ١٤٠٨/٦/١هـ

١٩٨٨/١/٢ م

تمهيد

محور هذا الكتاب هو «المنهاج الذاتي» أو «المنهاج الفردي». ويهدف هذا المنهاج إلى أن يمثل منهاج المؤمن لدراسة أمرين وتدبرهما: المنهاج الرباني، والواقع. وهو يمثل كذلك ركائز التدريب والإعداد حتى تتحول الدراسة والتدبر إلى ممارسة إيمانية واعية، ممارسة تحمل خصائص العمل الصالح من شمول لميادين الحياة، والتزام بمنهاج الله، ونمو وتطور، يدفع حياة المؤمنين لتنتقل من هدف إلى هدف، ومن معلّم إلى معلّم، في طريقهم المستقيم إلى الجنة.

إن هذا المنهاج يمثل منهاج المؤمن، في حياته ليكون صحبة عمر ورفقة حياة، دون تعطيل دور أي مؤسسات أخرى تساهم في تحقيق هذه الغاية. إن هذا المنهاج هو منهاج ذاتي، يقوم به الفرد المؤمن، مستعيناً بأي طاقة تدفعه في هذا السبيل. منهاج ذاتي، أو منهاج فردي، ينهض المؤمن ذاته إلى مسؤولية التزامه وتنفيذه. هذا هو محور الكتاب.

إن الفصل الأول من الباب الأول هو «لماذا المنهاج الرباني؟». وبالإجابة على هذا السؤال، نوضح حقيقة ونهجاً. نوضح أن دور القرآن والسنة هو دور أكبر من شعار، وأن دوره يجب أن يتمثل بنهج مدرّس، بنهج إيماني، يحمل من المرونة واليسر ما يساعد كل مؤمن على ملازمة منهاج الله إيماناً وتدبراً وممارسة. لا ننكر أن هنالك كتباً تساعد على فهم منهاج الله، ولكن الذي ننكره هو أن تأخذ هذه الكتب دور منهاج الله في نفوس بعضهم، أو في ممارسة آخرين، مع المحافظة على إعلان شعار المنهاج الرباني، ليكون دوره العملي هو دور الشعار، أكثر مما هو دور بناء وتكوين كما كان في مدرسة النبوة.

لم يكن في مدرسة النبوة كتاب مستقلّ يعلم الصحابة باباً من أبواب الدين مستقلاً عن سائر الأبواب، ولم يكن الصحابة يدرسون أحكاماً مستقلة معزولة عن العقيدة، أو يدرسون «الفكر الإسلامي» من عديد من المصادر. لقد كان منهاج مدرسة النبوة هو القرآن والسنة، والقدوة والتدريب، والمراقبة والنصيحة. لقد كانوا يتعلمون عقيدة متكاملة متناسقة، تحمل قواعد الإيمان والتوحيد، والأحكام والفقه، والتاريخ والقصة، ونبأ الغيب والآخرة، والعبرة والموعظة، والسنن الربانية في الكون، وآيات الله في السماء والأرض وما بينهما، والسياسة

والدولة، والتربية والاجتماع، وعلم النفس والتدريب، والإدارة والقانون، والاقتصاد والمال، ذلك كله، كانوا يأخذونه من مصدر واحد هو منهاج الله - قرآنًا وسنة - على صورة مترابطة متناسقة متكاملة. وكانوا يأخذون ذلك مع الممارسة والتطبيق، والالتزام والتدريب، والبذل والمعاناة، ومع دراسة الواقع ووعيه.

فإذا من الله علينا اليوم بكتب تحمل خيراً وبركة، فلا بد من أن تأخذ هذه الكتب مكانها الأمين العادل، ليبقى للمنهاج الرباني الدور الأول، والدور الرئيسي، والدور التطبيقي العملي، بالإضافة إلى الشعار الكريم، والراية الجامعة. من أجل ذلك وضعنا هذا الفصل الأول ليجز ما عرضناه في كتاب دور المنهاج الرباني في نقاط محددة واضحة، تساعد على تكامل الفكرة، وسهولة تمثلها، ويسر مناقشتها، وروية ردها إلى منهاج الله.

ويجيء الفصل الثاني لشرح نظرية المنهاج الذاتي الفردي، جزءاً جزءاً.

وأما الفصل الثالث فيقدم نماذج من المنهاج الفردي، تتناسب والوسع والطاقة، أو العمر، أو الثقافة والعلم. وهذه النماذج تزيد نظرية المنهاج الفردي وضوحاً وعمقاً، وتزيدها مرونة وليناً، لتبين مدى ما يستطيعه المؤمن في أن يوائم بين هذا الواجب وبين واقعه. وقدرة المؤمن على هذه المواءمة تساعده على المضي والنمو، والمداومة والاستمرار. إنها مراحل المنهاج الذاتي.

لقد قلنا إن هدف الدراسة والتدبر هو الانتقال بها إلى الممارسة والتطبيق. وهذه حقيقة أساسية في نظرية البناء والتكوين في التربية الإسلامية. ودون وعي هذه الحقيقة نفقد الكثير الكثير من بركة دراسة منهاج الله. إن الممارسة الإيمانية هي الهدف الحقيقي للدراسة والتدبر، حتى تكون الممارسة الإيمانية عملاً صالحاً يقوم على إيمان، وعلم، وخبرة. وبذلك تستطيع الممارسة الإيمانية أن تنمو، والعمل الصالح أن يمتد امتداداً واعياً إلى شتى الميادين.

وجاء الباب الثاني «التربية والبناء» في فصلين متمماً لما ورد في كتاب «دور المنهاج الرباني» عن هذا الموضوع، وليربط هذا الباب دور المنهاج الذاتي في تحقيق أهداف التربية والبناء في الإسلام، وكذلك ليربط مراحل التربية والبناء، ليربط ذلك كله بأهداف ومراحل الدعوة الإسلامية. فكان الفصل الأول هو: «أهداف المنهاج الذاتي والتربية الإيمانية».

وجاء الفصل الثاني: «مراحل التربية والبناء من خلال الدعوة».

إن الجهد كله ينصب على تيسير ممارسة منهاج الله في الواقع، ممارسة تقوم على الإيمان

والعلم والتدريب . وقد لا تكون الصعوبة في الفهم أو التدبر بقدر ما هي في الممارسة والتطبيق . وتنشأ الصعوبات في الممارسة والتطبيق من مصدرين أساسيين : أولهما هو الواقع الذي يكون على حال تخالف منهاج الله . وثانيهما هو الطبيعة البشرية بما تحمل من رغبات وشهوات وأهواء .

لقد كان من الضروري أن نشير إلى هذه الحقيقة الهامة ، حتى لا يحسب المسلم أن الصعوبة التي يلقاها هي من منهاج الله . فمنهاج الله ميسرٌ بإذن الله على المؤمنين :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُفْهَمُوا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ ﴾ (القمر: ١٧) .

فإذا وجد المسلم صعوبة أو حرجاً في تدبر منهاج الله ، فإن مرد ذلك لأسباب يقيمها الواقع ، وأسباب يحملها الضعف الذي يمكن معالجته . فقد يكون ضعف اللغة سبباً ، وعلاج هذا السبب بيد الإنسان ، وقد تكون الشهوة العارمة سبباً آخر ، وعلاجها في نفس الإنسان . ومهما تنوعت الأسباب فإنها تظل نابعة من الواقع البشري ، أو من الإنسان نفسه ، وهي مسئولية الإنسان نفسه أن ينهض لمعالجة هذا السبب أو ذاك . ولذلك كان من الضروري أيضاً أن نضرب مثلاً نأخذه من طبيعة الإنسان ، مما قد يسبب صعوبة أو حرجاً في طريق الممارسة والتطبيق . ليكون هذا المثل عوناً للمؤمن على معالجة هذه العقبات .

إن أول صعوبة تواجه المؤمن وهو يمارس نشاطه الإيماني تبرز حين لا يعرف حدوده وقدرته ، ووسعه ومكانته ، وحقوقه وواجباته . فعندئذ تضطرب الممارسة في أعاصير الهوى والرغبات . ولكن المؤمن الذي يعرف منزلته ومنازل الآخرين ، وحقوقه وواجباته ، ومحاسب نفسه قبل أن يحاسب الآخرين ، ويردُّ أموره كلها إلى منهاج الله ، ليحدّد منهاج الله له منزلته وحقوقه وواجباته ، إن هذا المؤمن هو أقدر على صدق الممارسة ، وطهارة العمل ، والنجاة من فتنة بعدها فتنة . ومن غرته نفسه عرضها للهلاك وأهلك غيره .

لذلك جاء الفصل الأول من الباب الثالث «منازل المؤمنين بين الحقوق والواجبات» ليقدم نموذجاً لما يواجهه المؤمن في ممارسته ، ليقدم الصورة التطبيقية لهذه القضية قضية منازل الناس . وسيقدم كذلك مثلاً عملياً على أهمية وخطورة دراسة منهاج الله . فمنهاج الله هو الذي يعلم المؤمن معالجة هذه القضية ، وهو الذي يدرّبه عليها . يضاف إلى ذلك أن هذه القضية كانت سبباً رئيسياً في معاناة طويلة مريرة عاناها العمل الإسلامي ، حين يضطرب الميزان في تقويم الرجال ، فتختلط المنازل ، وتضيع المسئوليات ، ويطالب الجميع عندئذ بالحقوق ،

وينسى الكثيرون الواجبات، وتضطرب القواعد وتختلط. ومن اضطراب هذه القواعد تضطرب ممارسات أخرى ترتبط بها. فإن تقديم الرأي في هذا الموقف أو ذاك، أو أداء عمل إداري في هذا المرفق أو ذاك، أو تنظيم مشروع، أو وضع خطة، كل ذلك وكثير غيره، تعتمد سلامة تنفيذه على صحة هذه القضية، ووضوح قواعدها وأسسها. ولا أدلّ على ذلك من أن علم مصطلح الحديث يعتمد، في جملة ما يعتمد، علم الرجال ومعرفة أخبارهم ومنازلهم.

لهذا جاء الفصل الأول من الباب الثالث: «منازل المؤمنين بين الحقوق والواجبات». مثلاً قوياً على أهمية مصاحبة مناج الله - قرآناً وسنة - مصاحبة إيمان وعلم وتدبر، وممارسة نامية غنية بالخير والبركة.

وقضية أخرى لا تقل أهمية عن الأولى. قضية أخرى نعرضها في الفصل الثاني من الباب الثالث وهي «الموازنة بين مسؤولية الفرد ومسئولية الأمة». إن هذه الموازنة ضرورية لحفظ سلامة الممارسة الإيمانية في عمل صالح، دون أن ينجر الفرد إلى هوى الأنانية الفردية، ولا إلى ذوبان شخصيته حتى تزول. وبدون هذه الموازنة تختل ممارسات كثيرة في حياة المؤمن: في العمل الإداري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وغير ذلك. لا شيء كمناج الله يعلم المؤمن هذه الموازنة. ولا يصدق التعليم إلا إذا كانت صحبة مناج الله هي صحبة منهجية، صحبة عمر وحياة. فإن وضوح هذه القضية لا تأتي من مجرد سماع محاضرة أو قراءة كتاب. ولكنها تتضح وتزداد وضوحاً مع المصاحبة الواعية لمناج الله، ومع التدريب والتوجيه في واقع الحياة.

ومن هذا المنطلق جاء الفصل الثالث من الباب الثالث ليعرض نماذج من قضايا أخرى تتعلق بالممارسة الإيمانية وتوضح بعض ملامحها. يعرض الفصل مقارنة بين الأمس واليوم، نتلمس من خلالها بعض المسؤوليات، ونتلمس بعض المنافذ التي دلف منها الأعداء. ثم يعرض الفصل «تناسق سلوك المؤمن وتكامله» حتى تكون ممارسته الإيمانية في واقع الحياة صورة مشرقة متكاملة، ولتكون تجارته وسياسته وغير ذلك من ممارساته في الحياة امتداد صلاة، وإشراق صيام، ونشاط حج. ويعرض الفصل كذلك تكامل فقه الدعوة حتى تتكامل الممارسة. وبلي ذلك قضية من أخطر قضايا الممارسة الإيمانية، ألا وهي: «رد الأمور إلى مناج الله». فنبين أهمية الموضوع وأهم خطواته العملية. ثم نعرض «استمرار الممارسة الإيمانية وامتدادها»، ثم النظرة الإيمانية لبذل الجهد، وما قد تطمح إليه النفس من جني الثمار.

ويجيء الباب الرابع ليقدم قائمة موسعة من المراجع ، تشمل صورة أوسع من القائمة المبسطة للمراحل الأربع الأولى . ونهدف من هذه القائمة كما شرحنا في مقدمتها إلى أن تكون مرشداً ومعيناً لا يقف المسلم عندها ، ولا يحرص جهده فيها . فالواقع متجدد مع الزمن بأحداثه ورجاله وكتبه . فمن الخطأ أن يظل المسلم عالة على قائمة واحدة مهما كانت هذه القائمة .

الباب الأول
المنهاج السذاتي

الفصل الأول

لماذا المنهاج الرباني؟

لأبْد من الإجابة على هذا السؤال في نقاط محدّدة واضحة يسهل بيانها وعرضها. ولقد سبق بحث الموضوع الذي نهدف إليه هنا في كتاب مستقلّ هو «دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية»، صدر في طبعته الأولى سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م). والسؤال الذي قد يثيره بعضهم هو: لماذا المنهاج الرباني؟ فهم يرون أن دراسة المنهاج الرباني - قرآناً وسنةً - تحتاج إلى جهد لا يملكه الإنسان العاديّ وإلى وسع لا يبلغه إلا المتميّزون. ومن هذا التصوّر نشأ بُعد كبير عن كتاب الله وسنة نبيّه، ونشأ اضطراب في فهم الواجبات والمسئوليات، ونشأ كذلك اختلاط في المنازل والدرجات. واضطرب الميزان كله في يد الفرد، وفي الرأي العام، حتى انقلبت الموازين، وتفلّت كثير من الناس من عهدهم مع الله. ولذلك جاء الفصل الأول من الباب الثالث يعالج الارتباط بالإيمان، وبفهم منهاج الله وتدبره، وبفهم الواقع الذي يعيشه المؤمن. وكان البحث الثاني هو الموازنة بين الفرد والجماعة أو الأمة في المسؤولية والواجبات. وخرجنا من البحث كذلك بأن هذه الموازنة لا تقوم إلا بمنهاج الله الذي يخضع له الفرد والأمة، والذي يتدبّره المؤمن تدبر إيمان وعلم، ليعي حدوده وواجباته.

المنهاج الرباني هو المنهاج الذي أنزله الله سبحانه وتعالى وحياً على رسوله محمد ﷺ ليبلغه للناس أجمعين، وليبيّنه لهم، ولتُختَم به الرسالات السماوية. وهو القرآن الكريم وما صحّ من حديث رسول الله ﷺ. وهو منهاج ربانيّ متميّز من كل ما يمكن أن يضعه البشر. فهو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهو منهاج تامّ، كامل مفصّل، بينّ، محكم، متناسق. وهو هدى، ونور، وشفاء، ورحمة، وموعظة، وبشرى، وذكرى. وهو منهاج معجز كل الأعجاز، تعهد الله بحفظه. وهو للناس كافة، أنزله الله على رسوله ﷺ ليبلغه للناس وليبيّنه لهم. وجعله ميسراً للذكر. وجعل لغته هي اللغة العربية. إن القضية التي نريد أن نبرزها ونؤكدّها ونكررها هي أن مهمّة الإنسان لا تنحصر في أداء الشعائر فحسب، ولا تتحدّد بتلاوة كتاب الله تلاوة تَبْرِك، لا يصحبها تدبّر عن إيمان وعلم.

فمهمة الإنسان - كل إنسان - هي أن يمارس منهاج الله في واقع حياته . إن مهمة الإنسان هي أن يمارس حقيقة إيمانه في جميع أوجه حياته ، وجميع ميادين نشاطه ، وجميع أوقاته ، وفي جميع أماكن عمله وحركته وسكونه . إنها ممارسة حياة كاملة ، ممارسة متكاملة لمنهاج رباني متكامل . إنها ليست ممارسة مؤقتة ، ولا هي مرحلية تُترك بعد حين ، ويفرغ منها بعد زمن . وهي ليست ممارسة محصورة بحالة محدودة ، أو مكان محدود ، أو زمن محدود . إنها ممارسة حياة كاملة في كل لحظة ، وفي كل حركة ، ومع كل سكون :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ . (آل عمران : ١٩١) .

﴿ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .
(١) رواه مسلم

إن القضية هي ممارسة منهاج الله في واقع الحياة ممارسة حياة ، ممارسة إيمانية ، لا تنحصر في زاوية ضيقة ، ولا تتحجر على شكل محدود ، وإنما تمتد مع الحياة امتداد زمان ومكان ، وامتداد نماء وقوة . وتتم هذه الممارسة الإيمانية من خلال الجهد البشري المؤمن ، الجهد الذي يخطئ فيقوم خطأه ، ويضعف فيقوي عزمه ، ويمسئ طائف من الشيطان فيتذكر ويبصر .

إن الممارسة الإيمانية لمنهاج الله تتم من خلال طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها ، وألهمها فجورها وتقواها ، تفلح بالإيمان والتركية ، وتخب لمن دساها .

إن الممارسة الإيمانية لمنهاج الله تحمل خصائصها وشروطها في منهاج الله ذاته . فهو الذي يوجه الممارسة في كل ميدان ، وهو الذي يرسم النهج ويحدد الأهداف .

إن مهمة الإنسان هذه ودوره هذا مُحَدَّدَان في منهاج الله . فقد أنزل هذا المنهاج ليؤمن به الناس ، ويتبعوه من دون أي منهاج آخر . وأنزل ليحكم بين الناس ، وليرسم لهم النهج ، ويحدد لهم الأهداف . وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بدراسة هذا المنهاج وتدبره ، وتلاوته والتفكير فيه ، وعدم هجره أو الإعراض عنه . وقد أمر الله عباده أن يأخذوا هذا المنهاج

(١) صحيح مسلم : كتاب الأقضية (٣٠) . باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٨) حديث رقم (١٧١٨) .

متكاملاً، فلا يؤخذ منه جزء ويترك جزء. , ويؤخذ بعزيمة وقوة. ومع هذا الأخذ يظل هناك قاعدتان أمام المؤمن تميزان طبيعة الأخذ، وتجنّبان المؤمن مواطن الضعف والزلل، والحيرة والتردد. وهاتان القاعدتان هما: تميّز المنهاج الرباني تميّزاً معجزاً عن أي منهاج يضعه البشر، ووسع الإنسان الذي وهبه الله له وطاقته، ليستوعب هذا الوسع منهاج الله وتدبره والعمل به.

ويصبح منهاج الله هو الذي يرسم للدعوة الإسلامية طريقها ووسائلها ومراحلها، لتمضي الدعوة إلى الله ورسوله إلى يوم القيامة. ويرسم للداعية نهجه وخصائصه وصفاته، ويربط الداعية بالناس وواقعهم، والمجتمع وأحواله، حتى يكون أقدر على المتابعة وأنجح في العلاج.

ويصبح منهاج الله كذلك مصدر القواعد والأسس في البناء والتكوين، ومصدر النهج والتخطيط، ومصدر التدريب والإعداد، ومصدر فهم الواقع البشري. ليكون هذا الفهم للواقع قاعدة ضرورية في حسن ممارسة منهاج الله فيه.

وهو مصدر التدريب الحركي الإيماني الذي يقوم على القاعدتين الأساسيتين: فهم منهاج الله وفهم الواقع الذي يعمل فيه. ومن خلال ذلك كله تنمو المواهب الإيمانية، وتتسع الخبرة، ويمتدّ الزاد، وتصل الروابط الإيمانية كلها، وتتحدّد الوسائل والطاقات.

هذه القضايا والخصائص سبقت دراستها مفصلة في كتاب «دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية». وأوردنا هنا موجزاً للتذكير والتمهيد. ومن خلال هذا كله نجد أنه لا بدّ من الإجابة عن السؤال الذي يتردد كثيراً على ألسنة الناس: لماذا نطلب دراسة منهاج الله من الناس كلهم فهذا أمر خاص بالعلماء فقط؟ هكذا يعرض القضية بعض الناس، حتى وهنت عزائم الكثيرين، وتدنت جهود المسلمين، ونأى العدد العديد عن منهاج الله، وأخذ بعضهم عن منهاج الله أخذاً متفلتاً غير منهجي، لا يقدّم تصوّراً ولا يصحّح سلوكاً، والتزم آخرون بمصادر بشرية يأخذون عنها الفكر والتصور والسلوك - ولا نقول النهج حيث لم يكن هنالك نهج. وأصبح هذا الأخذ بعيداً عن أجواء النصيحة والمراقبة والتدريب، فتعذر بعد ذلك ردّ الأمور إلى منهاج الله كما يأمر الله سبحانه وتعالى. وأصبح الردّ يتمّ إلى ما يحمل الإنسان من علم مجزوء متفلّت، وتصور مختلط مضطرب، أو هوى غالب، أو جهل فاضح.

ولقد زاد البلاء والمحنة جهل الناس بواقعهم جهلاً جعلهم لا يدركون ما يكاد لهم، ولا يحيطون بالمر الذي يدور حولهم. ولقد دفع الشيطان نفوساً كثيرة في مجتمعنا دفعا أبعدنا عن الدين، وأوقعها في حبال الفتنة، ومصائد الشر البعيد.

لهذه الأسباب كلها كان لابد من الإلحاح على هذه القضية حتى تأخذ صورتها الربانية في النفوس، ودورها الحقيقي في الميدان، ونهجها الأمين في الممارسة والتطبيق. وهذه الأسباب كلها نحاول هنا أن نعيد ونؤكد الإجابة على السؤال السابق: لماذا المنهاج الرباني؟

أولاً: إنه أمر الله سبحانه وتعالى :

إن تلاوة منهاج الله وتدبره، ودراسته دراسة منهجية، دراسة تدبر، دراسة إيمان وتصديق، هي تكليف من عند الله، وليس تكليفاً من رجل أو سلطة. إنه أمر من عند الله سبحانه وتعالى:

﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .
(الأعراف: ٣).

كيف يكون الاتباع إذا لم تكن هنالك دراسة وتدبر، وإيمان وعلم؟

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

(الأنعام: ١٥٥).

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ . (الأنعام: ٩٢).

فهو كتاب أنزل من عند الله ليتبعه الناس كلهم وحده من دون أي منهاج آخر، من دون أي أولياء. والاتباع يجب أن تصحبه التقوى، ويصحبه البيان والتبليغ، والإيمان والتصديق، وإقامة الشعائر وأولها الصلاة.

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنِ لَهُمْ آيَاتٌ ﴾ . (ص: ٢٩).

فهذا تأكيد لما سبق وتثبيت للتدبر والتذكر، حتى تكون التلاوة تلاوة إيمان ويقين، وتدبر وتذكر.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ .

(النساء: ٨٢).

وكذلك يؤكد الله سبحانه وتعالى لعباده أنه أنزل القرآن للذكر، ولذلك يسره لهم، ليأخذ كل إنسان منه قدر وسعه الذي سيحاسب عليه:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ .

(القمر: ١٧).

فهو كله ميسر للذكر لا جزء منه، ميسر كله لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ...﴾ وهو ميسر للناس كلهم، للمكلفين شرعا، كل حسب وسعه، ذلك لأنه ميسر للذكر، من الناس كلهم لا من جنس معين، ولا طائفة معينة، ولا فئة محدودة. إنه ميسر للذكر: تلاوة وقراءة وفهما وتدبرا، ذلك لمن أراد الله له الهداية والإيمان. وجاءت هذه الآية الكريمة مكررة أربع مرات في نفس السورة. ولا يكون هذا التكرار إلا للأهمية والتأكيد والتثبيت. والله سبحانه وتعالى أمر رسوله ونبيه محمداً ﷺ أن يذكر الناس بالقرآن، بمنهاج الله:

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرِ الْقُرْآنَ مِنْ يَخَافُ وَعِيدٍ﴾ .

(ق: ٣٥).

ولنعش مع الآيات من سورة الأنعام لنرى المعاني والظلال، والتوجيه الرباني الممتد مع العصور كلها، والأنبياء والمرسلين:

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْهِنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ .
(الأنعام: ١٥٤ - ١٥٧).

إن القضية واحدة مع جميع الأجيال والعصور. إنها كتاب الله المنزل من عنده. لقد أتى الله موسى الكتاب ليتدبره الناس من بني إسرائيل، كل بني إسرائيل لعلمهم بقاء ربهم

يوقنون. فالكتاب كان إذن باب الإيـان، ومدخل اليقين. وتظل القضية المطروحة هي نفسها في مقبل الأجيال، هي دراسة كتاب الله: ﴿... وإن كنا عن دراستهم لغافلين...﴾. والإدبار عن دراسة كتاب الله وتدبره، تصوره الآيات الكريمة لنا كأنه عزوف عن آيات الله وتكذيب بها.

وتأتي الآيات الكريمة في سورة الأعراف لتصور لنا حالة أخرى من التعامل المتفـلت مع كتاب الله، تعامللاً لا يرضي الله، ولا يقود إلى بركة وخير. تعامللاً يأخذ فيه العـرض، عـرض هذا الأدنى. ولكن الله سبحانه كان قد أمرهم أمراً لا لبس فيه، بأن لا يقولوا على الله إلا الحق وذلك بالتمسك بكتاب الله، دراسة وإيـاناً وممارسة.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

(الأعراف: ١٦٩، ١٧٠).

إنهم يأخذون جزءاً ويدعون جزءاً. إنهم يأخذون عـرض هذا الأدنى، وإنهم يأخذون عرضاً مثله حين يأتيهم، فخالفوا بذلك ما أخذ عليهم في ميثاق الكتاب، والميثاق يقضي بأن يُمسكوا بالكتاب، وقيموا الصلاة. والأمر الأول، «يمسكون»، تعني كل أنواع التمسك المبارك بالكتاب: تلاوة، وتدبر، ودراسة، وحفظ، وقبل ذلك كله إيـاناً وتصديقاً. والأمر الثاني هو العمل به كله، وأشار إلى ذلك بأهم العمل وهو الصلاة.

فالقضية إذن واحدة. هي دراسة منهاج الله وتدبره كاملاً، كله لا جزءاً منه، دراسته وتدبره والإيـان والتصديق به، ثم ممارسته في واقع الحياة. هذه هي القضية التي كان يتفـلت منها أتباع الرسل، وهي القضية التي يتفـلت منها كثير من المسلمين اليوم. وقبل أن تستقر هذه القضية، فكثير من الجهود في ميادين أخرى ستضيع هباءً.

فدراسة منهاج الله، دراسة متكاملة هو توجيه رباني، وليس تصوراً بشرياً يبتدعه أحد من الناس. إننا نذكر بالذكرى تنفع المؤمنين.

ثانياً: عبرة التاريخ والأحداث :

لقد رأينا كيف ضرب الله لنا مثلاً ببني إسرائيل عندما بدأ تغلبهم بعدم التمسك الأمين بكتاب الله . ونسمع في سورة الفرقان نداء الرسول ﷺ يدوي :

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَكْرِبُ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ . (الفرقان : ٣٠).

وإذا استعرضنا أحداث التاريخ نجد أن عدداً غير قليل من النكبات والفتن كان يدفعه الجهل بالمنهاج الرباني، يفتح الهوى، ويغلق باب التربية والبناء، ويسد مسالك الخير ومنافذ النور. فلو رجعنا إلى الفتنة التي وقعت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والتي استشهد فيها الخليفة في ١٨ ذي الحجة عام ٣٥هـ، لو رجعنا إلى هذه الفتنة نجد أن هنالك أمراً يقينياً لا يختلف فيه أحد. ذلك الأمر هو أن أهل الفتنة كانوا من العوام، لم تتعهدهم مدرسة الإيمان علماً وتدريباً، كما كانت تتعهد مدرسة النبوة صحابة رسول الله . لقد كانوا من العوام الذين دانوا للإسلام، ولكن لم ينالوا حظاً من بركة العلم ونوره، ولاحظنا من نعيم التربية والإعداد. فكانوا صيداً سهلاً إما للفتنة المباشرة تطوهم في خضمها، وإما أداة لعناصر تخفي في ظلمات النفاق والكفر. وسواء أكان الأمر هذا أم ذاك، فإنهم في كلتا الحالتين كانوا ضحية الجهل بمنهاج الله جهلاً فتح أمواج الهوى وعواصف الرغبات. ذلك أنه لا يمكن لمسلم عرف حلاوة الإيمان، وجمال القرآن الكريم، وحكمة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، لا يمكن لمسلم. هذا شأنه أن تمتد يده إلى جريمة فظيعة بالاعتداء بالقتل على مؤمن بشرة الرسول ﷺ بالجنة، مؤمن تستحي منه الملائكة . لو عرف مالك بن الحارث الأشقر النخعي، وثابت بن قيس النخعي، والغافقي بن حرب العكي، وقتيبة بن حمران، وغيرهم، من أهل الجهل والهوى، لو عرفوا منزلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعرفوا أبسط قواعد فقه الإسلام، لو عرفوا هول الجريمة التي يرتكبونها في نظر الإسلام، لما امتدت يد إلى عثمان رضي الله عنه، ولا لَوَّح أحد بالسيف أمامه مهدداً. ولكن لو صدقوا الإيمان والعلم لاستحووا منه كما تستحي الملائكة منه. لو كانوا يعيشون مع آيات الله تلاوة وتدبراً لردتهم الآيات وردتهم الأحاديث عن سوء ما عملوا، لردهم الإيمان والعلم. وكيف تغيب عن مؤمن يعيش مع كتاب الله آية النساء وغيرها في كتاب الله عن حرمة النفس المؤمنة :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ . (النساء : ٩٣)

وعثمان رضي الله عنه ليس الرجل العادي الذي يجهله الناس ويجهلون منزلته التي شهد له بها رسول الله ﷺ :

عن عبد الرحمن بن حباب قال : «شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة . فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . ثم حضّ على الجيش ، فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول : «ما على عثمان ما عمل بعد هذه . ما على عثمان ما عمل بعد هذه» .
رواه الترمذي ^(١) .

وفي صحيح مسلم كذلك :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه . (قال محمد : ولا أقول ذلك في يوم واحد) . فدخل فتحدث . فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتسّ له ، ولم تباله . ثم دخل عمر فلم تهتسّ له ولم تباله . ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ! فقال : «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» .
رواه مسلم ^(٢) .

كيف ينسى مسلم هذه الآيات والأحاديث ، ثم تمتدّ يده لتركب أفضع جريمة في حياة الإنسان - ألا وهي جريمة القتل ، ألا وهي جريمة قتل النفس المؤمنة ، ألا وهي جريمة قتل رجل شهد الرسول ﷺ له بالجنة ، وبالإيمان ، وبالأجر الواسع .

ومن تلك الفتنة نتعلم هذا الدرس على الأقل ، لنعلم أهمية مناجاة الله ، وأهمية بناء الأجيال على صدق الصحبة لمناهج الله حتى نبني أمة ، ونردّ الفتن والشُرور . في معظم الأحيان يظل التاريخ لدينا سرداً للأحداث ، ومناقشة لصحتها أو بطلانها ، وقليلاً ما يعمد الناس لأخذ العبرة ، وبناء الموعظة ، على أساس المناهج الرباني . وربما عمد بعضهم إلى تجنب

(١) سنن الترمذي . كتاب المناقب (٥٠) . باب مناقب عثمان بن عفان (١٩) . حديث رقم (٣٧٠٠) .

(٢) صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة (٤٤) . باب فضائل عثمان بن عفان (٣) . حديث رقم (٢٤٠١) .

الحديث عن هذه الفتنة أو تلك خشية البلبلة، فيأتي آخرون يتولون هم الحديث فيثيرون بلبلة أشد ويوقعون الناس في فتنة أوسع. لذلك نرى أن تاريخ المسلمين يجب أن يدرسه المؤمنون الصادقون، ويردّوه إلى منهاج الله، لتتعلم الأجيال عبرة بعد عبرة، وحكمة بعد أخرى.

وسقوط الخلافة! قد يضع رجال التاريخ أسباباً عديدة لسقوطها. ولكننا سنعرض سبباً واحداً نراه يجمع هو نفسه سائر الأسباب. لقد كان المسلمون في أحسن حالاتهم في تلك الفترة من الخلافة الإسلامية، يحملون عاطفة الإيمان بعيدة عن قوة العلم بمنهاج الله. ولو فتشت حالة العالم الإسلامي آنذاك لهلك الأمر. الملايين من المسلمين من مختلف الشعوب الممتدة في أرض واسعة لا يحملون عمق العلم ولا حتى مظاهره. جهل بالقرآن وجهل بالسنة. والناس تقرأ القرآن - هذا لمن كان يقرأ القرآن - تبركاً لا وعياً ولا تدبراً ولا علماً. ولم يكن هذا هو حال الجمهور من الناس، أو حال العوام وحدهم، ولكنه كان حال الكثيرين في المستويات كلها. ولم يكن هذا هو حال فئة دون أخرى. لقد كانت هذه هي حالة الأمة. فلم يعد لدى الفرد المسلم، ولا لدى من هو أعلى من الفرد، رصيد من علم يدفع به الفتنة، وينجوه من مكر يحيط بالأمة كلها، إلا قدراً من العاطفة قد تجدي في موقف ولا تجدي وحدها في موقف آخر. فانتشرت البدع بين الناس وأقبلوا عليها يحسبونها من الدين، ويظنونها قربي إلى الله، وكثير منها في واقع الأمر معصية وإثم. وانتشرت كذلك حركات عديدة تحت أسماء وشعارات متعدّدة، تحت أسماء جديدة ذات بريق، تحمل للناس خدراً وغيوبة وغياباً. وامتد أثر هذه الحركات إلى كافة المستويات في الأمة.

وعاد الشباب المسلمون من الغرب والشرق يحملون شهادات جامعية في علوم دنيوية مختلفة وقد جفّت عاطفتهم للإسلام، كما كان قبل ذلك قد جفّ علمهم. فوجد الأعداء مناخاً مناسباً لهم، قلوباً مفتحة لفتنهم، وأذاناً مفتحة لضلالهم، فحركوا منهم أدوات وآلات، يحاربون الإسلام بأبنائه، ويحاربون الأمة بجنودها ويحاربون الأوطان باسم الوطنية. وانتشرت مبادئ وأفكار ما كان يعرفها التاريخ الإسلامي، على شكل حركات تُدار وتُدير. ولم يجد هذا الشباب في صدورهم من آيات القرآن الكريم، أو من أحاديث السنة الشريفة، ما يعينهم على مقاومة الفتنة. ولكنها قلوب مالت، ونفوس رغبت، وشباب هَوُوا. والله غالب على أمره، ومشيتته عادلة حكيمة عليمه خبيرة. إن الله سبحانه وتعالى حق عليم خبير حكيم فمشيتته عادلة، سواء أعرَفنا نحن وجه الحكمة أم لم نعلم، ولكننا

نستطيع دائماً أن نستخلص العبرة، ونأخذ الدرس والموعظة .

وأقبل أعداء الأمة من صليبيين ويهود وكفار، ليجدوا لهم من أبناء المسلمين أعواناً، وليجدوا لهم في بعض النفوس ولاءً. ولو كانوا يحملون في صدورهم شيئاً من كتاب الله لعصمتهم إن كان الله يريد بهم خيراً. ودارت الفتنة بين المسلمين هوى طاغياً ودماً جارياً، لا يستفيد من ذلك إلا عدو ماكر. ودخلت جيوش الأعداء يمهد بعض المسلمين لهم الدروب، وغاب عنهم قول الله سبحانه وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَلَدِّمِينَ﴾ .
(المائدة : ٥١ ، ٥٢) .

نعم . . . ! في قلوبهم مرض . ولكنه مرض لم يكن علاجه إلا في منهاج الله . علاج للمؤمن حتى يعود إلى إيمانه :

﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ .
(الإسراء : ٨٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
(يونس : ٥٧) .

من هذه الأحداث - وفي تاريخنا كثير غيرها - نخرج بعبرة بيّنة وموعظة جليّة، وهي أن منهاج الله صحبة عمر وحياة، صحبة إيمان وعلم وممارسة، هي كما وصفها سبحانه وتعالى : نور وهدى وموعظة وشفاء ورحمة وبشرى وتذكرة . فمن تركه فقد هوى في أمواج من الفتن وتصدى لمحن لا يعلم مداها إلا الله، وقد يكون فيها هلاكه .

ثالثاً : واجب يفرضه الإيمان :

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى ربّاً واحداً لا إله إلا هو، وبمحمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وبالبعث والساعة والحساب، والجنة والنار، والكتاب والملائكة والنبيين، إلخ .

الإيمان بأركانه كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، قد جعله الله في فطرة بني آدم كلهم، حين يولد الإنسان على الفطرة. ولا بدّ للمؤمن من أن يرعى هذه الفطرة لتنشأ سليمة سوية، بعيدة عن الانحراف. ومن أجل ما يساعد على حماية الفطرة هو صحة منهاج الله صحة عمر وحياة، حتى يقدم الرّي والغذاء، وحماية النفس. ولا شك أن الشعائر كلها، والذكر كله، يساهم في صون الإيمان، وحماية النفوس، وتجنب الزلل. ولو أردنا أن ننصح أنفسنا وننصح للمؤمنين بما يساعد على حماية النفوس وتجنب الزلل على أساس من منهاج الله، فإننا نرى أن نرتب الأمور على النحو التالي: صحة منهاج الله - قرآنًا وسنة - صحة عمر وحياة، إقامة الشعائر فرائض ونوافل على أحسن ما يستطيعه المسلم خشوعاً في النفس والجوارح وإنابة، المحافظة على الوضوء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، التوبة والاستغفار على نحو مستمر، والدعاء الذي لا يفتر، والدعاء الماثور يسر للمؤمن أدعية لكل حال. ثم يمضي المؤمن في حياته ليتابع ممارسة إيمانه، وممارسة منهاج الله في واقع الحياة ممارسة متكاملة، في أمة تنتظم صفّاً مرصوصاً.

وممارسة الإيمان وممارسة منهاج الله لا تنحصر في إقامة الشعائر، وفي الأدعية. إن الممارسة هي في كل أمر في حياة المسلم دقّ أو جلّ. ولكن هذه الممارسة الممتدة تتطلب من المسلم علماً، علماً بمنهاج الله أولاً حتى يستطيع المسلم أن يمارس إيمانه بصدق، وحتى يستطيع أن يردّ قضاياه إلى منهاج الله. إن المسلم مسئول ومحاسب على مسئوليته، التي يرعاها، وفي حديث رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما يؤكد ذلك

«ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. فالأمر الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم. والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه. ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته».

إن هذه المسئولية ممتدة في حياة كل مسلم مهما كان مستواه في الأمة، ومهما كانت منزلته. ولا يوجد مسلم يخلو من مسئولية وأمانة إلا أن يكون ممن أعفاهم الله من ذلك. وهذه الممارسة والمسئولية توجب على المسلم في مواقف كثيرة أن يفتي هو بنفسه لحالة خاصة فيه وفي حياته، حين يكون مدار الفتوى قلبه الذي غسله الإيمان وصاغه العلم، كما جاء في حديث رسول

(١) صحيح مسلم. كتاب الإمارة (٣٣). باب فضل الإمام العامل... (٥). حديث رقم (١٨٢٩).

الله ﷺ عن البر والإثم :

وعن وابصة بن معبد الأسدي قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا لا أريد أن أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه . فجعلت أخطاهم ، فقالوا إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ . فقلت دعوني فأدنو منه فإنه أحب الناس إليّ أن أدنو منه ، فقال دعوا وابصة ، ادن يا وابصة ، مرتين أو ثلاثاً . قال فدنوت منه حتى قعدت بين يديه . فقال يا وابصة أخبرك أو تسألني ؟ قلت لا بل أخبرني . فقال جئت تسألني عن البر والإثم . فقلت نعم ، فجمع أنامله فجعل ينكت بهنّ في صدري ويقول يا وابصة : « استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرات ، البر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن إفتاك الناس وأفتوك » .
(١) رواه أحمد

استفت قلبك واستفت نفسك ! قاعدة عظيمة في الإسلام . ولكنها قاعدة تفرض أولاً أن يكون القلب قد غسله الإيمان ، وأن تكون النفس قد أخلصت النية إلى بارئها ، وأن يكون القلب قد ملأه العلم الذي ينير السبيل ويزيح الظلمات . والمسلم لا يفتي فيما يجهل ، ولكنه يقول لا أدري لما لا يدريه . وهو كذلك لا يظنّ جاهلاً إذا أعطاه الله الوسع والطاقة ليطلب بها العلم . وهو لا يبدد هذه الطاقة في علوم لا تفيد إلا إذا قامت على منهاج الله . ولكنه يضع وسعه وطاقته فيما أمره الله ، وفاء بأمانته ، وقياماً باستخلافه . فهو ينهض إلى منهاج الله ليستوعب منه على قدر وسعه وطاقته ، ومسئوليته وأمانته . ينهض إلى مهمة تمتد امتداد العمر والحياة .

ينهض إلى هذه المهمة وهو يشعر بأنها نداء من عند الله ، يدوّي في قلبه وصدوره ، ونفسه وأحناؤه ، وهو يشعر بجمال الطاعة ، ومتعة العبادة .

ومن هذا الشعور والتصور ، يدرك المؤمن حدود مسئوليته ، ودائرة أمانته . إنه يدركها إيماناً وعلماً ، لا وهماً وظناً . فأيات الله في كتابه العزيز ، وأحاديث رسول الله ، تظل تشرق في نفسه يقيناً وعلماً .

ومن هذا الشعور والتصور ، يدرك حقيقة علاقاته مع الناس عامة : رحماً وقربى ، صداقة وجواراً ، عملاً وتعاوناً ، إيماناً وموالاتة وهو يعلم كذلك - كما سنرى في فصل مقبل إن شاء الله - منازل الناس فينزلهم منازلهم كذلك .

(١) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد . ج (١٩) كتاب البر والصلة (٥٩) . ص ٣٣ .

لذلك لا يفتي المسلم في ما هو خارج اختصاصه وعلمه، إذا كانت الفتوى تحتاج إلى تخصص علمي لا يملكه هو، ويعود إلى غيره يستعين به نصحاً وشورى إذا عرف من هو أوسع منه علماً في هذه القضية أو تلك :

﴿ فَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . (النحل : ٤٣) .

ولكن المسلم يظل في حياته كلها يجابه قضايا مجابهة مباشرة تفرض عليه أن يحدد سلوكاً وموقفاً ورأياً . ويظل هو المسئول بين يدي الله عن هذا الأمر أو ذاك، وقد جعله الله في أمانته، ويسر له الوسع والطاقة، وجعل التكاليف على قدر الوسع هذا . ولا يستطيع المسلم أن يهرب من هذه القضايا التي تجابهه في بيته، ووظيفته، والسوق، والشارع، ومع سائر الناس هنا وهناك . وقد لا يستطيع أن يحيلها كلها إلى هذا العالم أو ذاك، هذا إذا استطاع أن يحيل قسماً منها على حسب ما أوردنا سابقاً . فالممارسة الإيمانية التي هي واجب على المسلم تفرض عليه إذن أن ينهض إلى منهاج الله ليأخذ منه قدر وسعه وطاقته، حتى يستطيع أن يوفي بأمانته، ويقوم بمسئوليته، وحتى تنتظم شئون الناس، وتتناسق المسئوليات، فلا تضطرب ولا تختلط . وبدون ذلك تتجمع في الأمة طبقة من الجاهلين اللاهين عالة على غيرهم، يضيعون وسعهم في لهو ومتاع . وتكون هذه الطبقة ميداناً واسعاً لكل غاز، ولكل صاحب فتنة إلا من عصم الله .

إن الحياة الزوجية يجب أن تقوم على أساس من الإيمان، وأن تنبئ لأحد أن ينهض بذلك إذا أقعده الجهل . إن الزوجين لا يستطيعان أن يحيدا إلى عالم كل أمور حياتهما ليفتيهما في هذه وتلك . إن العلاقات بين الزوجين، وتربية الأبناء، ورعاية الجوار، وحقوق الأمة، إن هذا يفرض على الزوجين أن يستوعبا من منهاج الله قدر وسعهما، وأن يظلّ منهاج الله صحة حياة لهما . وبدون ذلك قد تضطرب الحياة الزوجية، وتضطرب تربية الأبناء، وتضطرب أجيال وأجيال .

إن الأخوة في الله، لا يستطيع المسلم ممارستها ممارسة إيمانية ترضي الله إلا إذا عرف حقوقها ومسئوليتها من منهاج الله آيات وأحاديث، يتدرب على ممارستها . وبدون ذلك تظلّ الأخوة بالله عاطفة لا تحمل جدية المسئولية، وصفاء الممارسة، ومعرفة الحقوق والواجبات، وتطغى عليها عصبية وجاهلية .

إن المدرس في معهده يرعى أجيال الأمة . فكيف يقوم على تربيتها وإعدادها إذا لم

يصاحب منهاج الله صحبة عمر وحياة، يستوعب فيها من منهاج الله قدر وسعه وطاقته ؟ كيف تقوم التربية إذن ؟ وكيف ينهض البناء ؟ وكيف تكون الأجيال الناشئة ؟

والمسلمون معرضون لغزو فكري وثقافي، يُقبل به أعداؤنا علينا بكل زخارف الشياطين. فما الذي نحمي به أنفسنا إذا لم تكن صحبة منهاج الله تقدم لنا النور والهدى، والموعظة والشفاء والرحمة والبشرى بإذن الله ؟

فالممارسة الإيمانية إذن هي نفسها تفرض علينا صدق الصحبة لمنهاج الله . قرآنًا وسنة، صحبة عمر وحياة، نلقى الله عليها، لا يصدنا عنها تجارة ولا هو. وإن أول ما يفرضه الإيمان على المؤمن هو العلم الذي نزل به الوحي الكريم على محمد ﷺ. إن الإيمان الصادق سيجعل هذا العلم في المكانة التي وضعه الله فيها، رأس العلم كله، وقاعدته وأساسه. وبدون هذه النظرة كيف يستقيم إيمان ؟ كيف يستقيم إذا هجر الإنسان تدبر القرآن والسنة وأقبل على علوم الدنيا من طب وهندسة وغير ذلك، ظاناً أن هذه العلوم تكفيه، وأما القرآن والسنة فليغيره. ثم تراه يخوض ميادين الإسلام بشهادة دنيوية، وزخارف وعرض زائل، دون أن يحمل الزاد الذي يحتاج إليه من منهاج الله ؟ كيف يستقيم معه الإيمان إذن، وأمر الله وأمر رسوله بين واضح في وجوب دراسة منهاج الله حسب ما أسلفنا ؟

ومن ناحية أخرى فإن الإيمان الصادق يجعل المؤمن حذراً خائفاً من يوم الحساب، من يوم البعث والنشور. ويدرك المؤمن أن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه على عمله كله، دقه وجله، يوم القيامة. وهو يعلم أن العمل مقبول عند الله إذا توافر فيه شروئان: صدق النية، ومطابقته لما جاء به محمد ﷺ. فإذا استطاع أن يصدق النية فأنتى له أن يضمن مطابقة عمله لأحكام منهاج الله وهو جاهل بمنهاج الله ؟. فالإيمان إذن يفرض على المؤمن أن يدرس منهاج الله ليعلم ما أمر به الله وما نهى عنه، وليجعل عمله مطابقاً لدين الله في أمره كله، عسى أن ينال رحمة الله يوم القيامة.

لا يستطيع جاهل بمنهاج الله أن يطمئن إلى سلامة عمله. فلا بد من العلم بمنهاج الله لينال شيئاً من الاطمئنان، وحسن الرجاء، وقوة الأمل.

والإيمان يفرض أن يكون الولاء خالصاً لله، لا نتخذ من دونه أولياء أبداً. فمن كان الله ورسوله وليه بادر إلى دين الله، إلى منهاج الله، طاعة لله ولرسوله.

ولو أن رئيساً في «إدارة من الإدارات» أصدر تعليمات للموظفين، يترتب على مخالفتها

فصلهم أو عقاب شديد، لبادر كل موظف إلى هذه التعليقات يقرأها ليل نهار، وبجهد نفسه في التزامها حتى لا يفصل ولا يناله العقاب. فما بال الناس لا يخشون حساب الله وعقابه، إلا أن يكون سبب ذلك هو من ضعف الإيمان؟

رابعاً: نهج تقوم عليه مدرسة النبوة :

ومدرسة النبوة قدوة للأجيال كلها. . وهي مدرسة ممتدة امتداد الحياة الدنيا، برجالها وجنودها، ومنهاجها ونهجها. وكان منهاج الله هو منهاج مدرسة النبوة. وقد ألح رسول الله ﷺ إلحاحاً شديداً على التزام القرآن وسنة النبوة، ونهى عن قراءة كتب اليهود أو النصارى، أو الاشتغال بأي علم يلهي عن دراسة منهاج الله، وسماه رسول الله ﷺ: «فضل». وقال رسول الله ﷺ:

«... وكفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم».

أخرجه ابن عبد البر في جامع العلم.

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«العلم ثلاثة، فما وراء ذلك فهو فضل. آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة». أخرجه ابن ماجه^(١).

وتوالى أحاديث الرسول ﷺ تبرز أهمية التزام منهاج الله تلاوة وقراءة ودراسة، وتدبرا وممارسة، وما جعل قيدا على ذلك إلا الوسع والطاقة، الوسع الذي وهبه الله لعبده، والطاقة التي أمده بها، دون أن يضيق الوسع في طيات الأعذار والوهن.

وامتدت مدرسة النبوة في حياته ﷺ لا يدرس فيها المؤمنون إلا منهاج الله - قرآنا وسنة - وما تجدد حاجتهم إليه، كما درس زيد بن ثابت السريانية بناء على أمر رسول الله ﷺ: «يازيد... تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي». فتعلمها في سبعة عشر يوماً. أخرجه أبو يعلى وابن عساكر.

وامتدت مدرسة النبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وظل منهاج الله في المدينة المنورة، ومكة، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، ظل منهاج الله هو منهاج مدرسة النبوة، لا يتخلى عنه

(١) سنن ابن ماجه - المقدمة - باب ٨ - حديث رقم (٤٢).

أحد. وعلى أساس هذا المنهاج تقوم أي علوم أخرى. ومنذ بدأ الانحراف هوى المسلمون...!

خامساً: واجب يفرضه الواقع :

إذا نظرنا في المصادر التي يتلقى منها المسلم معلومات عن دينه في واقعنا اليوم، نجد أنَّ المصادر تنوعت وتعددت. وقد ساعد على ذلك نمو وسائل الإعلام، وتطور وسائل «الاتصالات الفنيّة»، ويُسر حركة «المواصلات والتنقّل»، وانتشار الطباعة وتقدّم فنّها، واتساع النشر مؤسسات وأنظمة وحركة، وتقدّم الحركة العلمية والثقافية، واتساع المعاهد والجامعات. هذا كله سهّل انتقال الفكرة والكلمة تسهيلاً كبيراً، لم يكن يحلم به الإنسان، وجعل الفكرة والكلمة تدور حول الأرض ويتلقفها الملايين من الناس في ثوانٍ أو في أقل من ثانية. ولكنه في الوقت نفسه ضيق فرصة المراقبة، وحدّد إمكاناتها. وإذا دققنا في المصادر التي تتوافر بين يدي المسلم اليوم ليتلقى منها معلومات عن دينه. لوجدناها، مع تعددها، يمكن حصرها على صورة تقريبية بالمصادر التالية :

- ١ - القرآن والسنة والأخذ المباشر منها.
- ٢ - الكتب الفكرية والفقهية المنتشرة بين أيدي الناس.
- ٣ - وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وصحافة ومجلات ووكالات أنباء.
- ٤ - المساجد والمؤسسات الإسلامية.
- ٥ - المدارس والمعاهد والجامعات.
- ٦ - التجمّعات الإسلامية المتعدّدة.
- ٧ - العلماء سواء بالاتصال المباشر، وعبر الوسائل السابقة.
- ٨ - الطاقات البشرية المتباينة في مستواها.

وكل واحد من هذه المصادر يجمع في حدّ ذاته مصادر فرعية أخرى تتعدد وتباين في الجهد والنوع والأثر. ولو كانت هذه الوسائل كلها، والمصادر كلها تقدم للناس رأياً واحداً وفكرة واحدة، لأصبحت عناصر تجميع وقوة. فالقرآن والسنة هما المصدر الأول الذي يقدر الحق المطلق المتكامل، الحقّ الثابت الذي لا يتبدّل، ثم يأتي بعد ذلك من المصادر ما يلتزم ذلك ويقف عنده. ولكنّ المصادر التي سبق ذكرها تعرض كذلك صوراً للواقع والأحداث، وآراء في هذه وتلك، ومواقف من هذه الحادثة أو غيرها وتتعدد الآراء. فما نقرأه في هذه الصحيفة في بلد قد لا يطابق غيرها، وما نقرأه في كتاب قد يباين ما نجده في سواه. حتى أصبحت

التصورات الإسلامية التي يحملها الناس تباين أحياناً، ويتسع التباين مع الأيام. وأهم من ذلك أن الممارسة أصبحت تختلف بين ما يدعو إليه مصدر هنا ومصدر هناك، ثم أصبح بعد ذلك تباين في النهج، واضطراب في الأسلوب، واختلاط في الأهداف.

ولولا أن الله سبحانه وتعالى منّ علينا برحمته ولطفه، فتعهد بحفظ «الذكر» الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، لولا هذه الرحمة الواسعة لاختفت حقائق التصور، وضاعت أصول النجاة، كما حدث في ديانات أخرى، كان يأتي الأنبياء والمرسلون فيها لأقوامهم خاصة، لا يتعهد الله فيها بحفظ الذكر. فوجود منهاج الله - قرآنا وسنة - وانتشاره في الأرض ذكراً يحفظه الله كان نعمة كبيرة على الناس. ولكنه الجهد البشري هو الذي نتحدث عنه في هذه الكلمة هنا، ومدى ارتباطه بهذا المصدر أو ذاك من المصادر التي عدّناها. فمن الناس من لا يأخذ إلا لما من هذا المصدر أو ذاك. ومنهم من حصر أخذه بطريقة واحدة، أو كتاب أو مجموعة من الكتب، أو من هذا وذاك.

وفي جميع هذه الحالات والنماذج يظل التباين ظاهراً. وربما كان التباين أوسع في الممارسة والنهج بين تجمع وتجمع، حتى يظهر التباين الشاسع، والاضطراب الهائج.

وأما الأخذ عن منهاج الله - قرآنا وسنة - فهو قائم على درجات متباينة، وأساليب مختلفة، لم تستطع هذه الأساليب أن تزيل جميع التناقضات القائمة والاختلاف الواقع. إن الأخذ عن منهاج الله قائم لأن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظه، فسهل بمشيئته في الحياة ما يرعى منهاج الله وحفظه وصونه، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. فالإنسان هو المسئول عن سلامة الأخذ عن منهاج الله وتكامله وتناسقه، وقد جعله الله ميسراً للذكر، مصوناً محمياً في الأرض، لا يناله تحريف ولا تبديل.

وفي واقعنا اليوم نجد أن من الناس من يأخذ آية من هنا أو آية من هناك على غير نهج ولا تكامل، فلا يتوافر لديه تصور قرآني متناسق يعتمد في رد الأمور إليه. فهو أخذ مجزوء ناقص، يبقى في معظم الحالات أخذاً أدنى من وسعه وطاقته. وأما في مدرسة النبوة فكان الأخذ يستوعب الوسع والطاقه، وينهض إلى مستوى المسئولية والأمانة.

ونموذج آخر من الناس، لا يكاد يقرأ القرآن إلا في المناسبات، حتى وقر في صدور بعضهم أن القرآن مرتبط باحتفالات العزاء والموت. فإذا سمع كتاب الله يتلى في بيت ظن أن في البيت ميتاً. وقس على ذلك سائر ما يعتاده الناس، ثم يقفون عند هذه العادة أو تلك.

ونموذج ثالث قد يتلو كتاب الله، ويحرص على أن «يختمه» في هذه المدة أو تلك، وعسى

أن يجعل الله له أجراً كريماً على ذلك . ولكنك لو سألتني في أي لحظة يتلو فيها ماذا تدبر وتعلم والتزم ، لكان الجواب مضطرباً . إنه يجد متعة نفسية في أن يتلو كتاب الله ، فهنيئاً له بهذه المتعة الطيبة ، ولكنها ستكون متعة أعظم ، وخيراً أوسع ، وبركة أكبر ، لو أنه تدبر وفكر .
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ . (محمد : ٢٤) .

ونموذج رابع يتلو كتاب الله وقد يكثر من التلاوة لينال الأجر والبركة ، أما السلوك والنهج والرأي والموقف ، فيأخذه من هذا الكتاب أو ذاك الكتاب ، من الكتب الفكرية التي يقرأها . فقد انقلبت الآية واضطربت المقاييس ، ذلك لأن الله أنزل منهاجه للناس ليحكم بينهم ، وليردوا قضاياهم إليه ، وليحدّد هو لهم السلوك والنهج والرأي والمواقف . فأصبحت بعض الكتب البشرية تأخذ في نفوس بعض الناس مكانة أعلى من حقها ، وأكبر من مهمتها . ولقد برزت هذه الظاهرة كثيراً في تاريخنا ، وليس في واقعنا اليوم فحسب . وستظل ظاهرة امتحان وابتلاء ، ليمحص الله القلوب ، ويبتلي النفوس ، ويظهر أضغانها .

ونموذج خامس يلتزم بما قاله هذا أو ذاك ، ولا يبالي بما قرأ هنا أو هناك . إن ولاءه اضطرب فلم يعد ولاءً صافياً خالصاً لله سبحانه وتعالى ، ولم تعد الآيات الكريمة هي التي تهزه ، ولا الأحاديث الشريفة هي التي توجهه .

فالقضية إذن في جذورها هي قضية إيمان وقضية ولاء ، ثم هي من بعد ذلك قضية علم وأخذ . فمن كان ولاؤه لله سبحانه وتعالى فسيكون منهاج الله هو الذي يحدد له السلوك والرأي والموقف :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ . (الأعراف : ٣) .

هذه النماذج التي عددناها ليست هي وحدها النماذج المتوافرة في المجتمع ، ولكنها النماذج التي تحتلّ قطاعاً واسعاً من الأمة . فمثل هذا القطاع الواسع قد يكون في بعض الحالات مرتعاً لغزاة أو لأهل فتنة ، فلا يجدون في صدورهم علماً من منهاج الله ينير لهم الظلمة ، ويرفع عنهم الغشاوة . وإن منهاج الله يفعل مالا تفعله كتب الأرض كلها . ولا يوجد بين يدي الإنسان منهاج آخر أبداً يمكن أن يقدم من الخير ما يقدمه منهاج الله .

فواقعنا اليوم يفرض علينا أن نقف وقفة إيمان ، وأن نراجع حساباً ، وندقق في مناهج ، ونرى أبواب الفتنة فنغلقها ، وأبواب الخير فنفتحها ، ومسالك الحق فنشقها ، وميادين الإيمان فننزلها .

واقعنا اليوم يفرض علينا أن ندرس رصيدنا، وأن نعلم مالنا وما علينا، ولا نستطيع أن نصدق الدراسة والحساب والوقفة، إلا إذا كان هذا كله يقوم على أساس من علم صادق في منهاج الله، ودراسة أمينة لواقع نعيشه.

ودراسة الواقع لا تكون دراسة متفلتة تائهة. ولكنها دراسة تقوم كذلك على أساس من منهاج الله، فنرى الأمور رؤية الإيمان، ونزنها بميزان القرآن.

ونخرج كذلك من دراسة الواقع بالحقيقة الثابتة والتي تفرض أن يكون منهاج الله صحبة عمر وحياة، ومصدر التصور والفكر، والخطوة والنهج، والسعي والعمل.

وعندما ندعو إلى صحبة منهاج الله صحبة عمر وحياة، تلاوة وتدبراً، إيماناً وممارسة، فإننا ندعو إلى منهاج الله كله - قرآناً وسنة - . ولا نعني بذلك أن كل مسلم سيستغني عن العلماء والمعاهد. سيظل كل مسلم في أمس الحاجة إلى مواهب الأمة وعباقرتها، وإلى علمائها وأولي الألباب منها، وإلى معاهدها ومؤسساتها، لتكون هذه كلها عوناً له على سلامة الصحبة، وصدق النهج. ولا خير في أحد من الناس يدّعي بأنه يستغني بعلمه عن صحبة منهاج الله مهما كان علمه. فصحبة منهاج الله حق لكل مسلم وحق كذلك للعالم مهما بلغ علمه. وكلما زاد المسلم إيماناً وعلماً، زادت صحبته لمنهاج الله وعمقت ومضت حتى يلقي العبد المؤمن ربه عليها.

ومن هذا كله نوجز القضية بالنقاط الأساسية التالية:

- ١ - صحبة منهاج الله قرآناً وسنة صحبة عمر وحياة.
- ٢ - يؤخذ منهاج الله كله لا جزءاً منه، أخذاً متكاملًا.
- ٣ - تقوم الصحبة لمنهاج الله على أساس الجهد والعزيمة.
- ٤ - يُرافق دراسة منهاج الله دراسة الواقع الذي سيمارس فيه منهاج الله.
- ٥ - أن يأخذ كل مسلم من منهاج الله ومن دراسة الواقع قدر وسعه وطاقته، وقدر مسؤوليته وأمانته.
- ٦ - أن تكون الصحبة والدراسة والتدبر لمنهاج الله وللواقع البشري على أساس منهجي، على أساس من الخطوة الذكية الواعية. وتقوم هذه الخطوة وهذا النهج على قاعدتين: المنهاج الرباني والواقع.
- ٧ - أن يرافق هذه الصحبة وهذا الأخذ ممارسة وتطبيق وعمل صالح، وأن يرافقه

كذلك تدريب وإعداد على أساس منهجي .

٨ - أن يظل هذا الجهد عملاً نامياً مستمراً لا يتوقف، يأخذه جيل عن جيل، حتى تظل مدرسة الدعوة ماضية أبداً الدهر، تدفع إلى البشرية أجيال الإيمان، يصوغها القرآن، ولتظل امتداداً لمدرسة النبوة.

هذه النقاط الثمانية نعتبرها أساس الصحة، ونعتبرها من عناصر الخطة والنهج .

والذي نقدمه الآن هو خطوة على الدرب، ووثبة في الميدان، وخطوة مع النهج، نهجاً يساعد المؤمن على نقل هذه الأفكار النظرية إلى واقع عملي تطبيقي، في حياته، في مسيرته، وعلى دربه الممتد إلى الجنة إن شاء الله . إننا نقدم «المنهاج الفردي»، «المنهاج الذاتي» .

الفصل الثاني

مقدمة

حين يرغب المسلم في دراسة منهاج الله يجد في واقعنا اليوم أموراً كثيرة تساعده على ذلك . ويجب أن نتذكر دائماً أن منهاج الله درسه وتعلمه أصحاب رسول الله ﷺ ، حين لم يكن هنالك جامعات ولا معاهد ، ولا وسائل اتصالات متطورة ، ولا وسائل تنقل سريعة كما هو الحال في يومنا هذا . ولكن كان لهم في الوقت نفسه أمور متوافرة لديهم ساعدتهم على حسن الدراسة نفتقدها نحن اليوم ، أو نفتقد بعضها . فلقد كانوا أرباب اللغة والبيان ، وكانوا ينعمون بصحبة نبيهم ، ونزول الوحي عليه ، ويشهدون الأحداث والوقائع . ولذلك لابد من أن تأخذ خطة الدراسة الواقع الذي نعيشه بالاعتبار ، وتنهض لتعالج الظروف كلها ، وتستفيد من إمكانيات العصر ووسائله .

«فالمنهاج الفردي» الذي نعرضه يجب أن يعالج في خطته قضايا الواقع ، وأن يملك من المرونة ما يهيئ له التكيف مع الحياة وواقعها ، ومع وسع الناس وقدراتهم . وأول قضية يجب أن يعالجها المنهاج الفردي هي قضية اللغة العربية اللغة التي هي لغة الوحي والنبوة ، ولغة القرآن والرسالة ، ولغة التلاوة والصلاة . لقد عجمت كثير من الألسنة ، وأصبحت اللغة العربية تشكو الغربة بين أهلها . فلا بد من أن تأخذ اللغة العربية مكانها في المنهاج الفردي ليصبح واجب المسلم أن يتقن لغة قرآنه ، لغة دينه ، حتى يستطيع أن يتفقه في دينه في حدود وسعه وطاقته ، ومسئوليته ، وأمانته . ومن ناحية أخرى حتى يكون إتقانه للغة قرآنه خير رد على مكر الأعداء وهم يحاولون إضعاف اللغة العربية في نفوس أبنائنا ، إضعافاً يؤدي إلى بعدهم عن منهاج الله . فاللغة العربية إذن يجب أن تحتل مكانها في اهتمام المسلم ، وفي مسئولياته وواجباته ، وفي نشاطه وحركته ، وفي دراسته وعلمه ، وفي منهاجه الفردي .

والقضية الثانية التي يعالجها «المنهاج الفردي» هي تعدد المصادر التي يأخذ منها المسلم معلوماته عن الدين ، كما عرضنا سابقاً . ولما أدى تعدد المصادر إلى تباين فلا بد «للمنهاج

الفردِي» من أن يوحد المصدر للتصور والفكر، والعقيدة والتوحيد، والسلوك والنهج. ولما كانت المصادر تقدّم المعلومات على غير خطة منسّقة تلتزمها سائر المصادر، فلا بد للمنهج الفردِي من أن يقوم بذلك، فيضع الخطّة المنسّقة التي تعين الجميع، ولا تعطل الفوائد المرجوة من أي مصدر آخر. ولكن يصبح لكل مصدر حجمه العادل الحق، وقدره الأمين. لابدّ «للمنهج الفردِي» من أن يوفر النواحي الإيجابية في سائر المصادر، ويبعد النواحي السلبية، ويؤسّي قواعد يستقرّ عليها العلم.

والقضية الثالثة هي أن المنهج الفردِي يقَدّم أولاً علماً. إنّه يقَدّم علماً بكل ما تحمل هذه اللفظة من معنى وعمق واتساع. ونقصد بالعلم «مجموعة المعلومات التي تكون الحقائق الأساسية في الفكر والتصور، والعقيدة والإيمان، والسلوك والسعي. إنه يمثل المعلومات التي تكون الحقيقة والمسلّمات، والدعائم والركائز. أمّا الثقافة فهي المعلومات التي لا تكون لدى الإنسان الحقائق الأساسية ولا الدعائم الثابتة، وهي المعلومات التي تتجمع لديه فيفرزها ليقبل منها شيئاً ويرفض شيئاً. وما يقبله منها قد تساعد في نمو علم، أو تنمو لتصبح علماً. إن العلم هو الذي يرسم النهج ويحدد الأهداف بالحقائق التي يقوم عليها.^(١) إن المنهج الفردِي يقَدّم العلم كما حدده رسول الله ﷺ:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة».

رواه أبو داود وابن ماجه^(٢)

على أن ينهض هذا العلم على إيمان و يقين:

عن جندب بن عبدالله قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن. ثم تعلمنا القرآن فازدنا به إيماناً».

أخرجه ابن ماجه^(٣)

ولكن المنهج الفردِي لا يقتصر على تقديم العلم على هذا الأساس فهو يقدم مع هذا العلم من الثقافة في علوم أخرى ما يساعد على الفهم والممارسة. ويقَدّم «المنهج الفردِي» في

(١) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - للمؤلف.

(٢) سنن أبي داود. كتاب الفرائض (١٣). باب ما جاء في تعليم الفرائض (١). حديث رقم (٢٨٨٥)

وابن ماجه في المقدمة حديث رقم (٤٢) والنص رواية أبي داود.

(٣) سنن ابن ماجه. المقدمة. باب في الإيمان (٩). حديث رقم (٤٩).

الوقت نفسه أبواب التدريب والخبرة والمران على قواعد الإيمان، حتى يتزود المسلم بسلاح مع سلاح، وعدة مع عدة. فالتدريب أساس في التربية الإيمانية، حتى لا تظل العلوم نظريات لا تجد لها رصيذاً في الواقع. فالتدريب على هذه القاعدة أو تلك من قواعد الممارسة الإيمانية، ضرورة لسلامة الممارسة، وصفاء التطبيق.

من الواضح في العالم الإسلامي اليوم أن كثيراً من المسلمين قد لا يتيسر لهم دراسة الإسلام في المعاهد والجامعات، وقد لا يتيسر لهم حسن الصحبة وطيب العشرة وصدق التوجيه، ظروف كثيرة متضاربة في العالم الإسلامي توحى بأن دراسة الإسلام صعبة أو مستحيلة، إلا لأصحاب المواهب والعبقريات. ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الدين ميسراً للذكر، ميسراً لكل مكلف. فهي إذن مسئولية الإنسان المسلم نفسه أن ينهض إلى هذا الواجب بعزيمة وجد وقوة، ليأخذ من منهاج الله على قدر وسعه وطاقته، وعلى قدر مسئوليته وأمانته. وإنها مسئولية المسلم نفسه أن يحاول جهده ليستفيد من مختلف الإمكانيات بوعي ونهج ليلبغ الهدف الذي يتعبد به الله سبحانه وتعالى. والإنسان المسلم محاسب بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة على ما بذل من جهد في هذا السبيل، دون أن تسقط هذه المسئولية مسئولية العلماء والمعاهد والسلطان، ومسئولية الآخرين.

ومن مسئولية الآخرين هو تسهيل الوصول إلى الهدف، وتقريب المسافة، وترغيب النفوس، وتيسير المركب الصعب. إن المسلم اليوم يوهمه الكثيرون أن فهم الإسلام وممارسته لا تتم إلا بمجلدات فوقها مجلدات يعلو بعضها فوق بعض أكواماً، وتمتد حتى تملأ غرفاً. فيقف أمام هذه الصورة المذهلة يغلبه اليأس، وقد ينقلب ويدبر.

من أجل هذا كله نضع «المنهاج الفردي» ليكون دليل المسلم في دراسة منهاج الله والواقع، وتدبر منهاج الله قرآناً وسنة، والتدريب على ممارسته في واقع الحياة، على يسر وعلى قدر وسعه وطاقته.

ربما اعتاد بعض الناس أن يتلو كتاب الله على قدر ما تسمح له ظروف حياته ومعيشتة، وربما اعتاد شخص أن يحفظ من كتاب الله عدداً من الآيات من هذه السورة أو تلك على غير نهج مرسوم ولا قاعدة مدروسة، ولا هدف محدد يسعى لبلوغه. وتمرُّ السنون، وقد تبلغ عشرات السنين، ويظل الزاد قليلاً، والبناء ضعيفاً، والكل يشكو، ويعيدون الشكوى. لذلك نقدم «المنهاج الفردي للداعية» ليكون زاد الطريق إلى الجنة، ولنقدم به خطة ونهجاً،

خطة عمر ونهج حياة .

«المنهاج الفردي» عمل ذاتي، يلتزمه المسلم على قدر وسعه الذي وهبه إياه الله، يلتزمه التزام حياة، بدافع ذاتي منه، فهو المسئول عن عمله هذا، حين يطمئن إليه، ويرضى به، وهو محاسب عليه بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً.

ولكن هذا العلم الذاتي، وهذه المسئولية الفردية، لا تعطل أيّ مسئولية أخرى، ولا تمنع تكاتف الجهود، وتنسيق البذل. بل التنسيق مطلوب، والتعاون على البر والتقوى واجب.

وهذا جهد بشري، قائم على قواعد من منهاج الله، وعلى أساس الواقع الذي يعيشه المسلم هنا وهناك. وهو يعطي المسلم المرونة الكاملة ليضاعف نشاطه أو يخفف منه، ولكن العمل يضمّر ويموت إذا هو توقّف عن تراخ وكسل واستسلام.

إنه جهد ذاتي، يجب أن ينطلق بمبادرة ذاتية، وحوافز إيمانية، تكفل دوام الجهد واستمراره، ونموّه وتطوره، حتى يلقي المؤمن ربّه على ذلك.

ويظل التعاون قائماً، والمراقبة مطلوبة ما توافرت، والإشراف مرغوباً ما تيسّر.

وللإيجاز نسمي «المنهاج الفردي للداعية» «المنهاج الفردي» لنقصد أن الأساس فيه هو سهولة قيام الفرد به، دون أن يتعطل مبدأ التعاون الذي يسعى إليه المؤمن أو نسميه «المنهاج الذاتي» لنشير إلى أنه وثبة ذاتية مؤمنة.

الفصل الثاني

المنهاج الذاتي "الفردى"

يقوم «المنهاج الفردى» على ثلاث قواعد أساسية . وعلى هذه القواعد الثلاث تقوم نظريته وتطبيقه، وعليها تقوم جميع أسس التربية والبناء في الحياة الإسلامية . وهذه القواعد الثلاث هي :

المنهاج الرباني	الواقع	الممارسة الإيمانية
-----------------	--------	--------------------

المنهاج الرباني، والواقع، ثم الممارسة الإيمانية أو العمل الصالح .

فالمنهاج الرباني هو الحق المطلق الكامل الذي أنزله الله لساناً عربياً على رسوله محمد ﷺ، ليلبغه للعالمين . وقد أنزل الله هذا المنهاج ليمارسه الناس في واقع حياتهم . فلا بد إذن من معرفة منهاج الله، ولابد من دراسة الواقع الذي سيطبق فيه منهاج الله . إن عدم فهم الواقع فهماً إيمانياً يتم من خلال منهاج الله، قد يعرض الممارسة والتطبيق إلى بعض الأخطاء . وفهم الواقع وحده لا يكفي، فلا بد معه من تدبر منهاج الله ودراسته .

إن ممارسة منهاج الله في واقع الحياة البشرية تمثل روح الأمانة التي خلق الإنسان لها، وتمثل حقيقة العبادة التي خلق الإنسان لها، وتمثل جوهر الاستخلاف في الأرض . إن ممارسة منهاج الله في الحياة الدنيا هي القضية الأولى في حياة الإنسان على الأرض، وهي القضية التي يجب أن تنشأ الأجيال عليها، وهي التي تحتاج إلى إعادة وتكرار، وتثبيت وتذكير .

إن ارتباط هذه الركائز الثلاث هو أمر جلي، ولا يمكن أن نستغني عن دعامة من هذه الدعائم إذا أردنا أن نبلغ سلامة الممارسة وصدق العمل . «وفقه الدعوة» يربط هذه الركائز الثلاث . فهو فقه الممارسة الإيمانية في الواقع الذي تجري فيه الممارسة بخصائصها الإيمانية وسيرد تعريفه في الباب الثالث والفصل الثالث البند رقم ٣ .

ولكل قاعدة من هذه القواعد فروع تمتد، وعوامل تساعد، وموضوعات تعين، فلا بد من أن نتابع هذه العوامل المساعدة .

ولكل قاعدة من هذه القواعد علم أو أكثر، يساعد على فهمها وحسن تدبرها. فللمنهاج الرباني علوم تساعد على فهمه كالسيرة، وتاريخ الصحابة والخلفاء الراشدين، وغير ذلك. وللواقع علومه، وللممارسة كذلك علومها المساعدة.

أما بالنسبة للمنهاج الرباني فنجمع العلوم التي تساعد على فهمه في لفظة جامعة هي «العلوم المساعدة». وتصبح هذه الكلمة عندنا تعني: السيرة النبوية، تاريخ الخلفاء الراشدين، تاريخ الصحابة والتابعين، علوم القرآن، مصطلح الحديث، أصول الفقه.

أما بالنسبة للواقع والممارسة الإيمانية فستحدث عنها وعن سائر العناصر الأخرى في صفحات مقبلة.

وتصبح عناصر المنهاج الفردي للمؤمن على هذا الأساس هي:

المنهاج الرباني، الواقع، العلوم المساعدة، فقه الدعوة، الممارسة الإيمانية، ولكن العناصر الثلاثة التي سبق ذكرها: المنهاج الرباني، الواقع والممارسة، تظل الأساس الذي لا يجوز التفكك منه. أما بالنسبة للعناصر الأخرى فإن المسلم يأخذ منها ما يطيق وما يناسب وسعه وطاقته، وما يعينه على نجاح سعيه وبلوغ هدفه.

المنهاج الرباني	الواقع	العلوم المساعدة	فقه الدعوة	الممارسة الإيمانية
-----------------	--------	-----------------	------------	--------------------

ولا يعني هذا أنه مضطر إلى أن يأخذ العناصر كلها دفعة واحدة. فلا بد من أن نبين هنا أن الجدول هذا يحتاج إلى نهج وخطة، ستتضح معنا، شيئاً فشيئاً، في الصفحات المقبلة إن شاء الله.

وننتقل الآن إلى كل عنصر من هذه العناصر الخمسة ندرسه مستقلاً، حتى نستكمل الصورة لطبيعة المنهاج الفردي.

١ - المنهاج الرباني :

المنهاج الرباني

لقد سبق في أكثر من موضع أن بينا أن المنهاج الرباني هو القرآن والسنة. ولكننا في هذا «المنهاج الفردي» نضيف أمراً ثالثاً وهو اللغة العربية، لأنها هي لغة المنهاج الرباني، ولأنها

من خصائصه وصفاته^(١) فيصبح المنهاج الرباني في ميدان الدراسة يتألف من ثلاثة عناصر: القرآن والسنة واللغة العربية. ولا بد من أن نعيد للغة العربية مكانتها في أمة الإسلام، ولا بد من أن نقرنها بمنهاج الله، كما قرنها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم. ولو كان الأمر مع أصحاب رسول الله لما شملت دراستهم اللغة العربية على هذا النحو:

المنهاج الرباني		
القرآن الكريم	السنة المطهرة	اللغة العربية

أ - القرآن الكريم :

لقد سبق أن بينا في كتابنا «دور المنهاج الرباني» أن دراسة القرآن الكريم تقوم على خمسة أسس: الإيمان، اللغة العربية، الممارسة والعمل، الجماعة المؤمنة، حسن الصحبة والمداومة^(٢). وبيننا كذلك أن أهم الوسائل هي :

القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً ويكمل، والسنة المطهرة تفسر كذلك كتاب الله، وتفصل القواعد التي أجمعها، فلا غناء هذه عن تلك، والسيرة النبوية وحياة الصحابة كذلك من الوسائل الهامة^(٣). ولقد فصلنا في كل نقطة بما يغني عن الإعادة هنا.

وعلى ذلك نحتاج الآن إلى أن نضع الخطة العملية للمسلم ليتدبر منهاج الله. فمن خلال منهاج الله ومن خلال سيرة الرسول ﷺ، وحياة الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى ضوء الواقع الذي نعيشه، والضعف الذي نمرُّ فيه، على أساس من هذا كله، نضع تدبر منهاج الله في خطوات أربع أساسية. يمكن للمسلم أن يمضي بها كلها، أو أن ينتقل بينها على مراحل، ذلك على ضوء إمكاناته وواقعه. ولكنه لا بد له من مرحلة يستوفي فيها هذه الخطوات الأربع: التلاوة، الدراسة والتدبر، الحفظ، المراجعة.

أ - ١ - التلاوة^(٤) :

ترد هذه اللفظة في منهاج الله وهي تحمل ظلالاً واسعة غنية. والتلاوة التي نريدها هي

(١) «دور المنهاج الرباني» ص ٤٣ - ص ٤٥.

(٢) نفس المصدر: ٢١٩ - ٢٢٤.

(٣) نفس المصدر ٢٢٥ - ٢٣٨.

(٤) نفس المصدر ٢٣٩ - ٢٤٢.

«حقّ التلاوة»، كما وردت في الآية الكريمة:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۚ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ . (البقرة: ١٢١).

وكذلك

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ . (فاطر: ٢٩).

وآيات أخرى كثيرة.

فالتلاوة المرجوة هي حق التلاوة. هي التلاوة التي تقوم على إيمان ويقين يزداد مع التلاوة. تلاوة يصحبها التدبر ويعقبها العمل الصالح كله: من شعائر رأسها الصلاة، ومن برّ رأسه الإنفاق. وحتى نقدّم قواعد تطبيقية للتلاوة، فإننا نوجز ذلك بالنقاط التالية:

- ١ - التدبر: فإذا سها المسلم أثناء التلاوة يتوقف ويعيد من حيث يظنّ أنه سها.
 - ٢ - التوقف عند كل كلمة لا يعرف القارئ معناها: فيدرسها ويدرس معناها ثم يتابع. لتصبح المفردات أولاً معروفة المعنى، وليقوى المسلم على الفهم والتدبر.
 - ٣ - أن تكون بصوت حسن بين الجهر المرتفع وبين المخافتة:
- ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ . (الإسراء: ١١٠).
- ٤ - مراعاة أحكام التجويد ودراستها لمن يجهلها.
 - ٥ - أن تكون التلاوة يومية لكمية يحددها المسلم.
 - ٦ - أن يتمهل المسلم في التلاوة حتى يتدبر ﴿وَقَرَأْ أَنَا وَفَرَّقَنَاهُ لِلْقُرْأَةِ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ . (الإسراء: ١٠٦).

٧ - أن يزداد القدر اليومي من التلاوة مع الأيام حتى يبلغ المسلم ما كان عليه الصحابة. وتظلّ التلاوة مهمة عمر وليست عملاً مرحلياً.

فمن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي العمل أحبّ إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل» قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره

ويمكن للمبتدئ أن يختم القرآن الكريم مرتين في السنة، ثم يزداد ذلك مع الممارسة والخبرة، حتى يختم القرآن الكريم كله في شهر أو في أسبوعين، لمن يقوى على ذلك. ولنتذكر أن القرآن الكريم نزل مرتلاً ترتيلاً:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.

(الفرقان: ٣٢).

هذه هي القواعد السبع التي ننصح أنفسنا وننصح المسلم باتباعها. ولا بد من أن نؤكد القاعدة الأخيرة، وأن نُثبت ما سبق أن قلناه من أن صحبة مناج الله هي صحبة عمر وحياء. وأول هذه الصحبة هي التلاوة.

والتلاوة نهدف منها إلى أن تكون قاعدة لخطوة تالية. ذلك أن عدداً غير قليل من المسلمين اليوم قد لا يتقنون تلاوة القرآن، ولا يتقنون اللغة العربية وهم من أبنائها. فلهؤلاء تكون التلاوة مرحلة تقدم لهم الخير والنور إن شاء الله، وتسهل لهم الدراسة والتفسير، وتسهل لهم الحفظ.

إن دراسة التفسير قد يجد فيها بعضهم صعوبة، وقد يجد بعضهم صعوبة في حفظ القرآن كذلك، وقد يجد بعضهم الصعوبة في البداية فقط.

فإذا لانت قلوبهم، وخشعت نفوسهم، واشتدت عزيمتهم، لانت الدراسة لهم ولان الحفظ، كل على قدر وسعه وطاقته. والمداومة على التلاوة بهذه القواعد السبع، مداومة عمر حتى يلقي المؤمن ربه عليها، هي أساس المنهاج الفردي، وأساس الدراسة كلها، والتدبر كله، فإذا اضطربت التلاوة اضطرب معها سائر المنهاج. وكذلك فلا يستقيم المنهاج إذا حصر المسلم جهده في التلاوة وحدها دون أن يتابع السير على نهج مدروس، ودرب ممدود. فأمامه خير كثير، ونور وبركة، فكيف يحرم نفسه منها؟.

أ - ٢ - الدراسة والتفسير^(٢):

وهي الخطوة الثانية التي تأتي مع التلاوة.

(١) سنن الترمذي. كتاب القراءات (٤٧). باب (١٣). حديث رقم (٢٩٤٨).

(٢) دور المنهاج الرباني ص ٢٤٤.

إنها الاستعانة بأحد كتب التفسير المعتمدة، ليدرس المسلم تفسير الآيات على نهج مقرر وخطة محددة. فلو جعل له قدراً يومياً، أو أسبوعياً، ليدرسه من كتب التفسير، لأصبح هذا مع الأيام زاداً عظيماً. وسيجد المسلم، وهو يدرس في أحد كتب التفسير المعتمدة، حلاوة الفهم، ومتعة التدبر. ومع الأيام ينعكس ذلك على التلاوة ذاتها. فتصبح التلاوة لديه أغنى وأندى. وتلين الدراسة حتى يحبها المؤمن، فإذا هي خطة عمر ونهج حياة.

والذي نعرضه هنا يحمل المرونة الكاملة، شريطة أن يضع المؤمن خطته التي يلتزمها في الدراسة والتفسير، على ضوء ظروفه ووسعه، دون أن تقعه الأعذار.

ويجدر بنا أن نقدّم هنا تصوّراً مرحلياً لطريقة الدراسة والتدبر والتفسير. نرى أن الدراسة والتدبر يحسن أن تشمل جميع شروط التلاوة أولاً، ليكون ذلك ممهداً لقراءة التفسير من أحد كتب التفسير المعتمدة.

ونرى أن يقسم المسلم السورة التي يُريد دراستها إلى مجموعات من الآيات حسب وسعه. ثم يبدأ بالمجموعة الأولى تلاوة مع جميع شروط التلاوة التي سبق عرضها، حتى إذا أتم ذلك عكف على قراءة تفسير الآيات مرتين حتى يشعر أنه استوعبها. فإذا انتهى من ذلك عاد لتلاوة الآيات نفسها مع شروط التلاوة مركزاً على التدبر والوعي، وليشعر بأثر وفائدة التفسير الذي قرأه. ثم ينتقل بالأسلوب ذاته إلى المجموعة الثانية. وعندما ينتهي من دراسة السورة يستحب أن يعيد تلاوتها كلها ليصبح تدبره أعمق وأشد.

ونقترح أن تبتدىء الدراسة من أول القرآن الكريم من الجزء الأول ثم الثاني على صورة متوالية حتى ينهي الدراسة مع الجزء الثلاثين.

هذه طريقة نعتبرها مرحلية، وننصح كل مبتدىء بالتزامها أو التزام مثيل لها. وبهذه الطريقة نرى أن التلاوة أصبحت مرحلة تمهيدية للدراسة والتفسير، مساعدة لها.

أ - ٣ - الحفظ^(١):

وربما كانت كلمة «القراءة» أيام الرسول ﷺ تعني في جملة ما تعنيه الحفظ. وعندما نقول القراء فإننا نعني الذين كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب. فلم يكن يومها فرق كبير بين التلاوة وغيرها. ولم يكن هنالك مصاحف مطبوعة يقرأون منها. فالقراءة معظمها من الذاكرة، والقرآن الكريم مدوّن في الصحائف التي يكتب عليها كتاب الوحي. أما اليوم

(١) نفس المصدر: ٢٤٣.

فأصبح كثير من الناس لا يكادون يحسنون التلاوة من المصاحف، فما بالك بالتلاوة عن ظهر قلب. ونستخدم هذه اللفظة «الحفظ» هنا لنعني بها التلاوة عن ظهر قلب. والتلاوة كما ذكرناها سابقاً، والدراسة والتفسير يشكلان قاعدة للحفظ، وتيسيراً للإعادة والتكرار، حتى تنطبع الآيات في قلب المؤمن.

والحفظ كما نقصده هنا يأخذ منه المؤمن كذلك قدر وسعه وطاقته. وتختلف الطاقات في ذلك، وتختلف المواهب، على قدر ما يهب الله لعباده من وسع وطاقه وموهبة. ولكن المحاولة واجبة، والسعي ضروري، وبركة الحفظ كبيرة. لذلك يحدّد المؤمن قدراً من الآيات على حسب وسعه ليحفظه في مدة محددة، ويمضي على ذلك حتى ينمو الزاد، وتعظم البركة. والإعادة والتكرار لآيات الله تلاوة، ودراسة، وحفظاً، تحمل الخير الوفير، والنعمة السابغة لمن يرزقه الله بها. فإن المعاني تتفتح مع كل إعادة، وعبقها يمتد، ونورها يتسع، على ظلال وأنداء. ومهما أعاد الإنسان تلاوة كتاب الله وحفظه فإن معانيه تظل تتسع، وظلاله تظل تمتد، إلى ما شاء الله.

و«الحفظ» يشمل جميع قواعد التلاوة والدراسة. وبذلك يكون خيره أعمق. وتمضي التلاوة، والدراسة، والحفظ على نهج وخطة، وقدّر محدّد، لتكون كلها مهمة عمر وصحبة حياة. ونصح أن يبدأ الحفظ من الجزء الثلاثين ثم الذي يليه وهكذا، دون أن يكون حفظاً متقطعاً هنا وهناك، حتى يحفظ القرآن كله لمن قوي على ذلك بإذن الله. ومع المداومة تزداد الحلاوة، ويعظم الطيب، ويمتد الخير، فلا يقف الإنسان بعد ذلك بعون الله عن متابعة هذا الخير.

وكما ذكرنا مع الدراسة والتفسير، فإننا هنا أيضاً مع الحفظ نوصي بخطة مرحلية، تساعد على قوة الحفظ وعمقه. فنقترح أن يقسم المسلم السورة إلى عدد من المجموعات من الآيات، لتناسب كل مجموعة مع وسعه وطاقته. ثم يتلو آيات المجموعة الأولى تلاوة تستكمل كل شروط التلاوة مرة أو مرتين أو أكثر. ثم يعكف على دراستها من كتب التفسير كما عرضنا سابقاً، ثم يعود إلى تلاوتها بشروط التلاوة عدداً من المرات حتى يشعر أن معاني الآيات أصبحت جلية في صدره، وأن الآيات أصبحت لينة على لسانه فيبدأ عندئذ بالحفظ والتكرار حتى يطمئن إلى أنه أتم الحفظ لهذه المجموعة. ثم ينتقل إلى المجموعة الثانية فيحفظها كسابقتها، ثم يراجع المجموعتين معا حتى يتأكد من حفظهما. وهكذا مع كل مجموعة حتى يحفظ السورة كلها.

ويستحب أن يستعين المسلم على الحفظ بقراءة ما يحفظه في صلاته، وخاصة في قيام الليل. فذلك يعطي للحفظ حلاوة وطيباً، وبركة وخيراً، وعمقاً وخشوعاً.

أ - ٤ - المراجعة^(١)

النسيان من صفات الإنسان. ولكن نسيان الآيات بعد حفظها أمر يتجنبه المؤمن ويحرص على أن لا يقع فيه، ما وجد إلى ذلك سبيلاً. وأول السبل بعد صدق النية وحسن الإيمان هي المراجعة. فيضع المسلم نهجاً للمراجعة حتى لا تتفككت منه الآيات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى الفداة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها».

رواه أبو داود^(٢) والترمذي وابن ماجه.

والمراجعة عمل دائم مستمر لا يتوقف، شأنه شأن التلاوة والدراسة والحفظ.

ويمكن أن نقسم المراجعة إلى ثلاثة نماذج على ضوء الواقع الذي يعيشه المسلم:

القسم الأول: خلال السنة ومع التلاوة والدراسة والحفظ، يجعل المسلم في خطته قدراً من المراجعة.

القسم الثاني: يوقف الدراسة والحفظ شهرين من كل سنة ويتابع فيهما التلاوة والمراجعة.

القسم الثالث: يوقف الحفظ سنة تقريباً كل عدد من السنين، كل ثلاث سنوات مثلاً، أو كل خمس سنوات، ليتابع التلاوة والدراسة والمراجعة.

فإذا تابع المؤمن هذا النهج أو أي نهج مماثل، فإنه يتغلب بإذن الله على ما قد يعانيه من تفككت الآيات ما استطاع.

وبهذا تصبح العناصر الدراسية للقرآن الكريم أربعة عناصر، كما يلي:

(١) نفس المصدر: ٢٤٢.

(٢) سنن أبي داود. كتاب الصلاة (٢). باب في كنس المسجد (١٦). حديث رقم (٤٦١).

القرآن الكريم			
التلاوة	الدراسة	الحفظ	المراجعة

ب - السنة المطهرة :

والسنة المطهرة جزء من منهاج الله كما سبق أن بيّنا. وهذان الجزءان لا ينفصلان أبداً^(١) ودراسة السنة تصبح قائمة على خطوتين هما الدراسة والمراجعة. والمراجعة تأخذ نصيبها مع السبّة كما كانت مع القرآن فكما يضع المسلم نهجاً محدداً لدراسة السنة يلتزمه عمره كله حتى يلقي الله، فإنه يضع كذلك نهجاً للمراجعة والتذكير والإعادة. وهذا النهج لدراسة السنة وللمراجعة يُمثل كذلك صورة من صور الصحبة لمنهاج الله، صحبة عمر ونهج حياة.

وهذه الصحبة المباركة للقرآن والسنة هي أساس هذه الدراسة، أساس العلم، أساس التربية والبناء، أساس الدعوة. فإذا تفلّت المسلم من هذا الأمر، فبمقدار تفلّته يضمّر علمه، وقد ينقص إيمانه، فالإيمان يزيد وينقص، والصحبة المباركة لمنهاج الله تزيد الإيمان بإذن الله لمن أراد الله له الهداية والخير على حكمة ربّانية وعدل ربّاني. وهجر منهاج الله يفعل عكس ذلك، ويعرّض المؤمن لخطر عظيم.

ولدراسة السنة لا بد من كتاب يعتمد عليه المؤمن في حياته.

وهناك كتب كثيرة في السنة تحمل الخير الكثير والبركة والنور، كالكتب الستة، وموطأ مالك، ومسنّد الإمام أحمد، وسنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان. جزى الله علماءنا كلّ خير على هذا الجهد الفذّ الذي حفظ للمسلمين السنة، وقدم لنا هذه الكتب العظيمة.

ولكن المسلم لا يستطيع أن يدرس جميع هذه الكتب، فهي تنهض للمختصّ من ناحية، وكمراجع عام لكل مسلم.

والذي نقترحه بهذا الصدد هو أن يتدرّب كل مسلم على سهولة الاستعانة بهذه المراجع

(١) نفس المصدر السابق: ٤٥ - ٤٩، ١٧٧ - ١٨٢.

كلما احتاج إلى الرجوع لها، وأن يكون بين يديه كتاب يمضي على صحبته في حياته .

وقد جمع الشيخ منصور علي ناصف ما صحَّح من أحاديث رسول الله ﷺ من كتب خمسة هي : صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي والمجتبى للنسائي ، في كتاب واحد أسماه ؛ : التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول . وقد يسر هذا الكتاب للمسلم الاطلاع على كثير من أحاديث الرسول ﷺ . وقد استدرك بعض العلماء على هذا الكتاب بعض الأخطاء ولكن هذه الأخطاء لا تمنع الاستفادة منه حتى يقوم خير منه .

وكذلك قام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بإخراج كتابه القيم سلسلة الأحاديث الصحيحة فإذا كمل فندعو الله أن يجعل فيه خيراً كبيراً .

السنة	
الدراسة	المراجعة

فتصبح المهمة بذلك هي وضع نهج يشمل الدراسة والمراجعة ، ويحدد قدرها ومعدّلها ، وطريقتها وأسلوبها ، على أن يكون النهج في حدود وسعه المحاسب عليه ، ومسئوليته وأمانته ، ليصبح بعد ذلك صحبة عمر وحياة .

ولابد أن نؤكد هنا حاجة الشاب المسلم إلى كتاب واحد في السنة ، يوفر له الاطلاع الميسر على أحاديث رسول الله ﷺ ، مما يلزمه في فهم أسس دينه وأحكامه ، وفي سلامة ممارسته لدينه . وهذه مهمة علماء الإسلام وأهل الاختصاص .

جـ - اللغة العربية ^(١) :

لابد للمؤمن من أن يعلم اللغة العربية . ولا بدّ لنا من أن نجاهد حتى تعود اللغة العربية إلى سابق مجدها وقوتها . وهذه القضية هي مسئولية كل مؤمن في الأرض ، لا تسقط عن أحد أبداً ، وإنما يتفاوت قدر المسئولية على قدر رجائها وعلى قدر وسعهم ، ومكانهم ، وأمانتهم .

وإنه لباب من أبواب هذا الجهاد أن يلزم كل مسلم نفسه بدراسة اللغة العربية دراسة

(١) نفس المصدر: ٤٣ - ٤٥ .

تكون جزءاً من دراسته لمنهاج الله . ثم يلزم نفسه، وكذلك أهله وأولاده، بحسن استخدامها، وسلامة تطبيقها. ولا بدّ للمسلم من أن يضع كذلك نهجاً محدداً يلتزمه من أجل دراسة اللغة العربية. وليوقن أن التزامه هذا هو لبنة في بناء عظيم، وخطوة في نهج كريم، لإعلاء كلمة الله.

ونرى أنه من الضروري أن تشمل دراسة اللغة العربية في حياة المسلم ثلاثة موضوعات: النحو والصرف، علم البلاغة، الأدب الإسلامي. ونعني بالأدب الإسلامي الأدب الذي يصدر عن الأديب المؤمن الملتزم، وفي الوقت ذاته يبرز التزامه بمنهاج الله. وكل شرط من هذين الشرطين يوجب الشرط الآخر. ونضع «الأدب الإسلامي» هنا عنصراً من عناصر دراسة اللغة العربية، حتى يتكامل تصور اللغة العربية في قلب المؤمن، وحتى يزداد يقيننا بأن الأدب سلاح من أسلحة الدعوة، وأن الأدب الذي ندعو إليه شعراً ونثراً هو أدب الإسلام، أدب العقيدة والإيمان، يطوف في أجواء الحياة والكون، والدنيا والآخرة. وكذلك لنحيط الأدب الإسلامي بجوّه الإيماني، يستقي من منهاج الله ربه وغذائه، ونهجه ودربه، وغاياته وأهدافه، فلا يتيه ولا ينحرف إننا نحاول أن نوضح ونبرز دور الأدب الإسلامي لأن الأدب أصبح أحد الأبواب التي يلج منها الأعداء لحرب الإسلام. فلا بدّ إذن للإسلام أن يدفع أدبه سلاحاً من أسلحته. هذا الأدب الذي يرتبط بعقيدة الإسلام وينطلق إلى أهداف الإسلام هو الأدب الإسلامي^(١).

اللغة العربية		
النحو والصرف	البلاغة	الأدب الإسلامي

ومن هذه العناصر الثلاثة: القرآن الكريم، السنّة المطهرة، اللغة العربية، مع فروع كل منها تتكون دراسة المنهاج الرباني.

المنهاج الرباني							
القرآن الكريم			السنّة المطهرة		اللغة العربية		
التلاوة	الدراسة	الحفظ	المراجعة	الدراسة	المراجعة	النحو والصرف	البلاغة
						الأدب الإسلامي	

(١) يراجع كتاب: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.

٢ - الواقع^(١) :

إن دراسة الواقع ضرورية لحسن ممارسة منهاج الله، ولحسن الدعوة فيه، ولحسن النهج والتخطيط. وهي ضرورية لتجنب مكر الأعداء وكيد المنافقين، ودراسة الواقع ليست دراسة مرحلية طارئة، إنما هي كذلك دراسة عمر. إنها دراسة الجندِّي المتيقظ في الميدان، وصحوة الفارس على ثغر، وعزيمة الطارق لأبواب الجنة.

والمنهاج الرباني نفسه يساعد على دراسة الواقع. بل لابدّ من ردّ الواقع إلى منهاج الله لفهمه وللحكم عليه. ومن ناحية أخرى فإن منهاج الله يوفر وسائل وأساليب لدراسة الواقع وفهمه.

فهو يقدّم النماذج البشرية ليقس عليها المؤمن، فيعرف الصادق بصدقه والكاذب بأماراته. ولكل نموذج أمارات تعطي المؤمن زاداً وخبرة في فهم الناس. والمنهاج الرباني يعرض الفطرة البشرية وخصائصها وصفاتها، ويحلل النفوس والسجايا. والأخلاق والطباع، وهو يعرض نماذج من الحالات النفسية، ويعرض نماذج من مصائر الأمم والشعوب. ويعرض الحوافز البشرية والدوافع النفسية، وأساليب الأعداء وخططهم، ويوجه المؤمنين في دراسة الواقع ومجابهة الأعداء، ومعاملة الناس عامة.

ولا يستطيع فرد واحد أن يلمّ بدراسة الواقع كله دراسة واعية وحده، وإنما يجب أن يقوم بهذه الدراسة الإيمانية الواعية مؤسسات إيمانية، تقوم على أسس إيمانية واضحة، ونهج إيماني مشرق.

ولكنّ المؤمن الفرد لا تسقط عنه المسؤولية في المساهمة في هذه الدراسة، دراسة خاضعة للقاعدة العامة الهامة: على قدر الوسع الذي وهبه الله، وعلى قدر الأمانة والمسئولية، وعلى قدر التعاون الذي ييسره الله سبحانه وتعالى. فالمهم أن لا يغفل المؤمن أبداً عن واقعه، وأن يعي دائماً أنه محاسب ومسئول، فلا يغفو ولا يسهو، ويظل هذا الأمر مهمة حياة.

ونعرض هذا الموضوع هنا بالقدر الذي يمسّ طاقة الفرد ووسعه، ليكون البحث هذا مرشداً للمؤمن ومذكراً ومساعداً.

ولتسهيل الأمر فلا بدّ من وضع عناصر رئيسية لدراسة الواقع يقوم عليها نهج الفرد،

(١) نفس المصدر السابق: ٢٨٩ - ٣٤٤.

وكذلك نهج الأمة ومعاهدها ومؤسساتها، وليكون دليلاً يعين على نمو النهج، وتطويره على أسس إيمانية. ونفترض أن تكون العناصر الرئيسية لدراسة الواقع كما يلي:

- ١ - أهمية دراسة الواقع وفهمه من أجل سلامة الممارسة الإيمانية.
- ٢ - دراسة طبيعة الإنسان وخصائص فطرته التي فطره الله عليها.
- ٣ - دراسة المجتمع والناس والرأي العام، وأسس التربية الإسلامية لبناء ذلك.
- ٤ - دراسة الأقطار الإسلامية قطعاً قطعاً، ودراسة ميدان المسلم وساحة عمله.
- ٥ - دراسة واقع العالم الإسلامي اليوم.
- ٦ - الحرب الدائرة على العالم الإسلامي.
- ٧ - الحركات والدعوات المعادية للإسلام.
- ٨ - قضايا العالم الإسلامي: فلسطين، لبنان، قضايا البلدان الإسلامية في أفريقيا مثل آرتيريا، الحبشة، السودان، زنجبار، أوغنده. . . ، وكذلك أفغانستان، وبلدان جنوب شرق آسيا، ثم الأقليات الإسلامية في العالم.
- ٩ - تاريخ الحركات الإسلامية الحديثة: الوهابية، السنوسية، المهدية، الإخوان المسلمون، حزب التحرير الإسلامي، الجماعة الإسلامية في باكستان، ندوة العلماء في الهند، جماعة التبليغ، حزب ماشومي في أندونيسيا، الحركة الإسلامية في تركيا، ثم الدعوة الإسلامية عامة.
- ١٠ - السياسة الدولية والواقع الدولي.

١١ - العلوم التخصصية كالطب والهندسة والصيدلة والاقتصاد وغير ذلك. ونبين الآن بعض هذه العناصر بإيجاز لنبين أهميتها ومدى صلتها بالواقع، ودورها في بناء المسلم إيماناً وعلمياً وممارسة، ودورها في بناء الدعوة الإسلامية.

٢ - أ - أهمية دراسة الواقع :

لا بد من أن يعي المؤمن أهمية دراسة الواقع وفهمه، ودور ذلك في سلامة الممارسة الإيمانية، وبناء الدعوة، وحسن تدبر منهاج الله. لا بد من أن يعي المؤمن ذلك وعياً نابعاً من إيمانه وعقيدته، حتى تتكامل في ذهنه نظرية الدعوة، ونهج المؤمن وهو ينهض ليتدبر منهاج الله ويعي واقعه من خلال منهاج الله.

٢ - ب - دراسة طبيعة الإنسان والمجتمع والناس :

يدرس المؤمن نماذج الناس وأنماطهم. وقد عرض لنا القرآن الكريم والسنة نماذج واسعة من

ذلك . لابد من أن يدرسها المؤمن ليحقق هدفين رئيسيين هامين :
 أولاً : إيجاد أفضل الأساليب النامية لتألف قلوب الناس على الإيمان .
 ثانياً : تجنب مكر الماكرين وكيد الكائدين وأعداء الدين .

ومن أجل ذلك تنمو دراسة الناس لتكون علماً نامياً متطوراً ، يدفعه جيل بعد جيل ، وتظل تجارب المسلمين متصلة نامية ، لا مقطعة متوقفة . وعندما يدرس المؤمن نموذجاً من الناس يجب أن يضع العناصر الرئيسية التي يحتاج إليها في دراسته تلك مثل : السيرة وما يتبع ذلك من بيئة ونشأة ، وتربية وعلم ، وشهادات ودرجات ، ووظيفة وسائر ما يساعد على فهم الظروف التي تساعد على فتح القلوب ودفع الإيمان إليها بأطيب الوسائل والأساليب . وتدرس كذلك الميول والهوايات ، والمواهب والطاقات ، وتدرس كذلك السجايا ، والأخلاق ، والمعاملات والعلاقات ، حتى تكون هذه الدراسة نموذجاً من الناس يسهل فهمه والتعامل معه . ويستفيد من مثل هذه الخبرة جيل بعد جيل ، حتى تنمو الدراسة في علم جليل ، وزاد عظيم .

ولقد كان المسلمون أسبق الأمم في مثل هذه الدراسة ، وأعمقها جهداً وبحثاً . وكان الدافع إلى ذلك حماية أحاديث رسول الله ﷺ وتنقيتها من الأحاديث الموضوعة والضعيفة . فنشأ علم الجرح والتعديل ، ونشأ علم تاريخ رجال الحديث وهما من أجل علوم الحديث . وهي علوم عظيمة يمكن أن تنمو في ظل المواهب المؤمنة .

ويدخل في هذه الدراسة طبيعة الإنسان وسجاياه ، وخصائصه ومزياه . وقد عرض لنا القرآن الكريم تفاصيل واسعة عن طبيعة الإنسان ، عما يشابه الناس فيه من طبائع ، وعما يختلفون فيه . وتساعد هذه الدراسة في فهم الناس عامة ، وفي فهم سنن التعامل ، وما يجري بين الناس من أحداث ^(١) .

وتقدم لنا السنة الشريفة نماذج من الطبائع ، وأنماطاً من السجايا ، تساعدنا على فهم الإنسان : خلقاً ، وعقلاً ، وفكراً ، وعاطفة ، وشعوراً ، إنها تساعدنا على فهم فطرة الإنسان التي فطره الله عليها ، وما ألهمها الله من فجور وتقوى .

ويدخل في دراسة الناس ونماذجهم ، والمجتمع وحرركته ، يدخل مع هذا كله دراسة الرأي العام .

(١) يراجع كتاب ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية - باب الاختلاف .

فدراسة الرأي العام دراسة هامة، تستطيع أن تعين في بناء الرأي العام المؤمن، الذي يلعب دوراً هاماً في توجيه المجتمع وميادين نشاطه، وأساليب حركته، وأبواب نموه وتطوره. ولقد عرضنا لهذا الموضوع في أكثر من موقف، في دراسة الشورى، وفي دراسة الأدب، وفي دراسة الواقع.

٢ - ج - دراسة بلد إسلامي :

لأبداً من أن يعرف المؤمن الأرض التي يدعو فيها، ويعيش فيها، لابد من أن يدرس تاريخها وكل ما يقربها إلى نجاح بلاغه. كما يجب أن يدرس المسلم أقطار العالم الإسلامي قطراً قطراً.

٢ - د - دراسة العالم الإسلامي :

ولابد من أن تشمل هذه الدراسة عناصر رئيسية أهمها :

١ - تاريخه وأهم أحداثه .

٢ - ثروته، وحضارته .

٣ - واقعه السياسي .

٤ - كيف دخل الإسلام هذا الأقطار، والحرب العنيفة التي يجابهها البلد .

٢ - هـ - الدعوة الإسلامية :

تاريخها وأهم مؤسساتها .

٢ - و - الواقع الدولي :

وتهدف هذه الدراسة إلى توفير الأدوات الأولية لفهم ما يجري حوله : في منطقته، في العالم الإسلامي، على الساحة الدولية .

٢ - ز - الحركات والمؤسسات والمراكز المعادية للإسلام .

٢ - ح - العلوم التخصصية :

يخصص المؤمن على أن يتابع علمه في تخصصه، إن كان له تخصص، حتى ينال أعلى خبرة ومهارة، وأعمق فهم وعلم، ليعود ذلك قوة له ولأمته. ويتابع المؤمن هذا السبيل بكل الوسائل الممكنة الطاهرة.

والقاعدة الأساسية في سياسة العلم والتعلم هي : أن أبواب العلم يجب أن تظل مفتحة لا يحول دون دخولها إلا تدني الطاقة أو الموهبة، لينال الناس كلهم حقوقاً متساوية، فلا يتمايزون إلا بالإيمان والتقوى، والجهد والجهاد، والموهبة العاملة المفتحة، وبذلك تنهض القوى المتخصصة الموهوبة لتساهم وتؤدي دورها الأمين في بناء الأمة .

نعتقد أن هذا التقسيم لدراسة الواقع يصلح أساساً ننطلق منه لنظرة أوسع وأكثر تفصيلاً . ولكننا بهذا نكون قد حققنا أموراً هامة : أثّرنا موضوع دراسة الواقع في حياة المسلمين، ليأخذ حجمه الضروري، ووضعنا أساساً ننطلق منه لتصبح الدراسة منهجية، ووضعنا ملامح النهج والتخطيط، ثم يمضي العمل بإذن الله، فينمو على قدر ما يجد من نية صادقة لله وعلم وموهبة وخبرة، وجهد وبذل .

وفي بداية الطريق لابدّ من أن نحدّد أهم المصادر المتوافرة لدراسة الواقع . ونبادر بالقول بأنه لابدّ للمؤمن من أن يتعلم ردّ الأمور إلى منهاج الله ردّاً أميناً صادقاً، حتى يستطيع أن يستفيد من معظم المصادر . إنها في المرحلة الحالية مسؤولية المسلم نفسه أن يبذل جهداً لينقّي المصادر مما قد تحمل من كدر وغشاء . ولا يتيسر للمسلم ذلك إلا إذا تدرب على ردّ الأمور إلى منهاج الله، ويستعين المسلم في دربه بكل الوسائل الطيبة التي ييسرها الله له . وإذا صدق المؤمن نيته فليطمئن إلى أن الله معه، يهديه وينير له الدرب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ...﴾

(يونس : ٩)

ونوجز مصادر دراسة الواقع الآن بأربعة مصادر رئيسية :

- ١ - البيئة .
- ٢ - وسائل الإعلام .
- ٣ - كتب الواقع .
- ٤ - العلوم التخصصية .

والبيئة عنصر هام في دراسة الواقع ومصدر رئيسي . وقد تتمثل في البيئة موضوعات متعددة من موضوعات دراسة الواقع . والبيئة أقرب مصدر للمسلم، يدرسه ويعيه حتى يرفع عنه الغفلة، وينمي فيها موهبته وخبرته، ويصحح فيها أخطاءه، ويجد فيها الرحم والصحة

والأصدقاء، ويجد فيها نماذج من المصادر الأخرى.

٣ - فقه الدعوة:

ويمثل فقه الدعوة في حقيقة الأمر فقه ممارسة منهاج الله المتكامل في الواقع البشري ممارسة تستوفي شروطها الإيمانية. لا نقصد بفقه الدعوة فقهاً جزئياً وإنما هو الصورة الكلية الشاملة لمنهاج الله الحق المتكامل، ليبارس بصورة متكاملة في حياة إيمانية مترابطة متناسقة متكاملة.

نجد في واقعنا اليوم صوراً أشتى للممارسة، ويكاد يكون كثير منها ممارسة جزئية. فقد تجد من يتقن أحكام الوضوء مثلاً، ثم يفرط في بعض أمور الصلاة وقد تجد من يتمسك بالشعائر التعبدية، ويحسبها هي وحدها تمثل منهاج الله، وتغيب عنه قواعد الممارسة في ميادين أخرى هو يعمل فيها، وقد وهبه الله الوسع ليدرس ويتعلم، ويبارس الممارسة المتكاملة.

ففقه الدعوة يهدف إلى تدريب المؤمن على حسن الأخذ المتكامل المتناسق لمنهاج الله، على موازنة عادلة أمينة، لا تطغى معها ناحية على ناحية طغياناً يفسد سلامة الممارسة الإيمانية.

فقه الدعوة يشير إلى أن ممارسة منهاج الله مطلوبة في البيت، والمعهد، والسوق، والشارع، كما هي في المسجد. وفي كل ميدان قواعد إيمانية يجب مراعاتها. حتى الطريق له حقه. فجاء منهاج الله يعلم المسلمين في حديث رسول الله ﷺ أن لا يجلسوا في الطريق، فإن كان ولا بد فليعطوا الطريق حقه. ثم يحدد الحديث الشريف حق الطريق:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا مالنا بدُّ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها فقال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق؟

قال: غصّ البصر وكفّ الأذى وردّ السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر»

أخرجه البخاري^(١).

ومثال آخر هو الانفاق. فلا يستطيع المسلم أن يحسن إنفاق ماله إذا اعتمد على آية واحدة، أو قاعدة إيمانية واحدة. ولكن قواعد الانفاق ترد في منهاج الله مترابطة متناسقة فيما بينها من ناحية، وفيما بينها وبين سائر منهاج الله من ناحية أخرى فحتى يحسن إنفاقه لا بد له

(١) صحيح البخاري: كتاب المظالم (٤٦). باب أفنية الدور والجلوس فيها. . . (٢٢).

من معرفة قواعد الإنفاق بتكاملها. ولا بد له من أن يعرف أصحاب الحقوق فيعطي كل ذي حق حقه.

وقس على ذلك سائر قضايا الممارسة الإيمانية. ويمكن أن نوجز قاعدتين مهمتين في فقه الممارسة الإيمانية هما:

١ - معرفة جميع القواعد الإيمانية المتعلقة في موضوع الممارسة ومراعاة تناسقها وتكاملها فيما بينها، في هذه القضية أو تلك.

٢ - معرفة تناسقها وتكاملها مع منهاج الله الحق المتكامل.

ولا يمكن أن يقوم فقه الدعوة أبداً إلا إذا قام الموضوعان الأوليان وهما: المنهاج الرباني والواقع. فعلى أساس من تدبر منهاج الله وفهم الواقع فهماً يقوم على أساس من منهاج الله، على أساس ذلك كله يقوم فقه الدعوة.

وأما كتب فقه الدعوة فهي ذاتها يجب أن تكون ملتزمة بهاتين القاعدتين، تبني دراستها على أساس منها.

فقه الدعوة هو العلم الذي يساعد على سلامة الممارسة الإيمانية.

ويمكن أن نوصي بالموضوعات التالية لتكون أساس دراسة فقه الدعوة:

١ - فقه الشعائر.

٢ - مهمة منهاج الله - قرآنا وسنة - ودوره في حياة المؤمن والدعوة والأمة.

٣ - اللغة العربية ودورها في فهم منهاج الله والدعوة الإسلامية.

٤ - الروابط الإيمانية بين المؤمنين وأسسها الربانية.

٥ - خصائص الدعوة الإسلامية وأسس لقائها.

٦ - أسس الإيمان وحاجة الواقع إليها.

٧ - أسس العهد مع الله.

٨ - الدراسة النظرية لسائر الأبواب الواردة في دراسة العمل الصالح أو الممارسة الإيمانية حسب ما هو موضح في المنهاج الذاتي.

٩ - الدعوة الإسلامية: وسائلها، أساليبها، مراحلها وأهدافها.

وكما سيرد معنا في فقرة مقبلة عن القواعد الإيمانية الإسلامية للممارسة الإيمانية،

فإن هذه القواعد ذاتها يجب أن تكون الأساس الذي يقوم عليه تصوّر فقه الدعوة.

وهذه القواعد هي : النية، الإيمان والتوحيد، الولاء، العهد، الروابط الإيمانية.

هذه القواعد الخمس يجب دراستها من منهاج الله، كما يجب ربطها بالواقع البشري والواقع الذي تمرّ به الدعوة، حتى نتصور جلاء هذه القواعد وندرك العوامل التي تؤثر في سلامة تصورها وممارستها في واقع الحياة.

٤ - العلوم المساعدة:

ونقصد بهذه التسمية الدراسات والعلوم التي تساعد على فهم منهاج الله، وكذلك على فهم الواقع.

ويمكن أن تشمل هذه العلوم ما يلي:

السيرة النبوية، حياة الصحابة، التاريخ الإسلامي، علوم القرآن، مصطلح الحديث، أصول الفقه.

ولا نعي أن المسلم يدرس هذه العلوم كلها في سنة واحدة، أو مجموعة من السنوات دفعة واحدة، مع منهاج الله والواقع وفقه الدعوة. ولكن المسلم يأخذ منها قدر وسعه وطاقته، وقدر مسؤوليته وأمانته، على نهج مرسوم وخطة موضوعة، سنعرض إلى أطراف منها في صفحات مقبلة إن شاء الله.

ولابدّ من أن نوضح هنا أننا قد لا نجد الكتب المناسبة لكل مستوى، أو لكل سنّ في هذه الموضوعات. وهي ناحية هامة جدية بعناية أهل الاختصاص. فلا بدّ من أن تتوفر كتب في مصطلح الحديث، تتدرّج في المستوى حتى تبلغ مستوى الكتب المتوافرة حالياً. وعلم مصطلح الحديث نعطينه أهمية خاصة بالنسبة لسائر العلوم. ذلك لأن المسلم يجب أن يعرف أهم كتب الحديث، وتاريخ علم الحديث، وأهم أنواع الحديث، وكيف يستفيد من الصحاح والسنن والمسانيد. ولا بدّ من أن تقدّم هذه المعلومات على درجات ومراحل.

وكذلك نرى بالنسبة لعلوم القرآن وأصول الفقه، شريطة أن نبعد المسلمين عن خلافات في الرأي مما لا يهم إلا أهل الاختصاص في هذا الموضوع أو ذاك. فالأمر الهام هو أن تهدف الكتب التي نضعها بين أيدي المسلمين في العلوم المساعدة إلى أن تساعد على فهم منهاج الله وفهم الواقع، وتيسير التدبّر، وتسهيل الممارسة، حتى لا يطنى خلاف على أصل وقاعدة.

ويمكن أن يبدأ المسلم بجزء من العلوم المساعدة، حتى إذا انتهى منه، أخذ بجزء آخر.

فيجد المسلم في ذلك مرونة واسعة أمامه ، ومجالاً لممارسة قدراته وطاقته .

العلوم المساعدة					
السيرة	حياة الصحابة	التاريخ الإسلامي	علوم القرآن	مصطلح الحديث	أصول الفقه

٥ - العمل الصالح أو الممارسة الإيمانية^(١) :

الممارسة الإيمانية تعبير نستعمله هنا لنؤكد ظلاً عن ظلال التعبير القرآني العظيم الواسع «العمل الصالح» . هذا التعبير القرآني ممتد إلى جميع ميادين الحياة صغيرها وكبيرها . ولكن القرون الطويلة من الضعف والجهل كادت أن تحصر معاني هذه اللفظة العظيمة وإشراقها الممتدة ، كادت أن تحصرها في أذهان بعض الناس في زوايا ضيقة مخنوقة ، ضيقها الجهل وخفقها الهوى . ولكنها في قلوب المؤمنين العاملين المتدبرين تظل أبد الدهر إشراقاً ونوراً .

ونود أن نؤكد هنا على تعريف «العمل الصالح» ، تعريفاً نستمدّه من معاني القرآن الكريم والسنة الشريفة . فالعمل الصالح أو الممارسة الإيمانية هي ممارسة منهاج الله على تكامله وتناسقه في واقع الحياة ، ممارسة تحمل الشمول والامتداد ، والتكامل والتناسق .

هذا المعنى ، هذا التصور هو الذي نرغب أن نعيده ونؤكدّه ، ونكرره ونثبتّه . ولننظر في هذه الآية الكريمة الجامعة :

﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِاتِّصَالِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ . (العنكبوت : ٤٥) .

فبعد الإيمان بتبديء التلاوة ، ويمضي التدبر في كتاب الله . فينهض المؤمن إلى شعائر العبادات كلها يؤديها كما أمر الله بها ، وكما علمها من تلاوته ورأس هذه الشعائر كلها هي الصلاة ، فإقامتها ، كما أمر الله بها ، تبعد الإنسان عن الفحشاء والمنكر ، وتدنيه من أعظم الأعمال وأهم الممارسات ، ألا وهو ذكر الله ، فإن ذكر الله الذي يقوم على الإيمان الصادق ، والعلم الصحيح ، والتعبّد الصحيح بالشعائر ، وممارسة منهاج الله في واقع الحياة ممارسة طاهرة نقيّة تجتنب الفاحشة والمنكر ، كما أوضحت الآية الكريمة ، إن ذكر الله هذا وهو يقوم

(١) ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية . ص ٦١٤ الطبعة الثانية .

على هذا كله ، هو أعظم الأعمال الصالحة وأكبرها . وإن تلاوة كتاب الله ، والشعائر وذكر الله هي أعمال صالحة إذا صدقت النية وصحت الممارسة ، وإن الله رقيب على عباده ، يعلم ما يصنعون ، وهم يمارسون منهاج الله في واقع حياتهم .

إن هذه الممارسة الشاملة التي تبتدىء بالعلم والتدبر لمنهاج الله ، والتي تقوم على صدق ممارسة الشعائر ، والتي يحوطها ذكر الله فيندبها عبقاً وطيباً ، ويمدّها أمناً وأنداء ، هذه الممارسة الشاملة هي التي نعنيها هنا .

٥ - أ - خصائص الممارسة الإيمانية :

وللممارسة الإيمانية خصائص نوجزها هنا بما يلي :

- ١ - تبدأ الممارسة الإيمانية مع التلطف بالشهادتين ، وتغني مع صحبة النية والعزيمة .
- ٢ - الشمول والامتداد .
- ٣ - المبادرة الذاتية .
- ٤ - المداومة والإتقان .
- ٥ - النمو والتطور .
- ٦ - المراقبة والتوجيه .
- ٧ - الإعداد والتدريب .
- ٨ - الموازنة .
- ٩ - النهج والتخطيط .
- ١٠ - استيعاب الوسع والطاقة .

٥ - ب - القواعد الإيمانية الأساسية للممارسة الإيمانية^(١) :

ويمكن أن نوجز هذه القواعد بما يلي :

- ١ - النية .
- ٢ - الإيمان والتوحيد .
- ٣ - الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى ، ليكون أساس أي موالاة بين المؤمنين .
- ٤ - العهد مع الله سبحانه وتعالى ليكون أساس أي عهد وعقد مع الناس .

(١) لقاء المؤمنين - الجزء الأول .

٥ - الأخوة في الله وسائر الروابط الإيمانية، لتقوم على أساس المنهاج الربانيّ.

على أساس من هذه القواعد الخمس تقوم الممارسة الإيمانية في جميع الميادين . فلا عمل يقبل بدون نيّة خالصة لوجه الله ، والنيّة لا تقوم إلا على أساس الإيمان . والإيمان يفرض أول ما يفرض أن يكون الولاء لله سبحانه وتعالى : عاطفة وفكراً وتصوراً وممارسة . فإذا صدق الولاء نهض العهد مع الله بكل شروطه التي فصلها كتاب الله ، وكل عهد لا يقوم على أساس من الولاء لله سبحانه وتعالى ولاء حقيقياً ، ولا يقوم على أساس العهد الثابت مع الله سبحانه وتعالى هو أمر لم يستوف شروطه الإيمانية والشرعية .

ويمضي المؤمن بعد ذلك في ممارسته الإيمانيّة على الروابط الإيمانيّة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى : من أخوة في الله ، ورحم ، وجوار وبرّ والدين ، وصحبة سفر ، وغير ذلك من العلاقات الممتدة في حياة المؤمن .

٥ - ج - ميادين الممارسة الإيمانيّة :

وأول هذه الميادين الشعائر من فرائض ونوافل . ويكون التوجيه إليها جميعاً ، وإنما يكون التركيز على ما هو أكثر عرضة لأن يتفلس الناس منها : مثل صلاة الجماعة ، وصلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، والصيام النفل ، وقيام الليل ، وأي نوافل أخرى يرغب بها المؤمن وهو يتعلمها من منهاج الله .

وأما الميدان الثاني فهو الدعوة إلى الله ورسوله . ويتدرب المؤمن من أجل هذا الميدان على قضايا رئيسية :

التدريب على دراسة الواقع .

التدريب على دراسة الناس وقضاياهم .

التدريب على جمع المعلومات وتنسيقها .

التدريب على أساليب الدعوة ومراحلها ، وممارستها في الواقع .

ثم ينطلق في ميدان الدعوة ليدعو الناس إلى هذا الدين وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد أخذ عدة الميدان وزاد الطريق ، ويمضي على الطريق يلقي المؤمنين على عزائم مشدودة ، وقلوب موصولة ، ونهج مؤمن .

وإذا نزل إلى ميادين الحياة عامة فيحتاج إلى قواعد إيمانيّة درسها في منهاج الله ، ثم يارسها

في حياته . ولأهميتها نبرزها هنا :

المحاسبة .

الذكر والدعاء .

مجاهدة النفس وسائر أبواب الجهاد في سبيل الله .

المبادرة الذاتية .

التزام المؤمن لحدوده .

إنزال الناس منازلهم .

النصيحة .

الرأي .

السمع والطاعة .

أدب الاختلاف .

الممارسة بين الخطأ والصواب .

الموازنة .

الإدارة والتنظيم .

رد الأمور إلى منهاج الله .

الآداب الاجتماعية والواقع .

النهج والتخطيط .

الشورى .

الأسرة والبيت .

ومن ميادين الممارسة الإيمانية نختار ميدان الصحة في حياة المؤمن ، ونبرز منها قواعد يرعاها ويتدرب عليها ويلتزمها على قدر وسعه وطاقته :

تخفيف الطعام .

الرياضة .

المشي .

الجري .

السباحة .

الفحص الطبي .

النوم المبكر والاستيقاظ المبكر.

ومن ميادين الممارسة الإيمانية: النشاط الاجتماعي. ونورد من مجالاته نقاطاً أهمها:

صلة الرحم.

الجوار.

الأصدقاء.

المناسبات الاجتماعية: الأفراح، عيادة المرضى، واتباع الجنائز.

ومن الميادين أيضاً الإعلام والاقتصاد. وتمتد ميادين العمل والنشاط على قدر ما تمتد الدعوة الإسلامية ونشاط المؤمن وإعداد القوة والجهاد في سبيل الله رأس هذه الميادين.

ولا يعمل المؤمن في هذه الميادين كلها من إعلام واقتصاد وغيرهما في آن واحد، وإنما يخوض المؤمن ما يناسب وسعه، وما يناسب اختصاصه. وتظل هذه الميادين ساحات تدريب، وبناء علم، وامتداد خبرة. إنها ستظل ميادين مفتحة تنتظر فرسانها، وساحات ممدودة تنتظر صناديدها طارقات أبواب الجهاد في سبيل الله كلها على نهج إيماني واعٍ.

عندما يموج الهوى، وتعصف الشهوات، وتتشعب الطرق، وتشتد الحيرة، عندما يحدث هذا تضطرب الأفئدة، وتزوغ الأبصار، وتغيب النفوس المتفلتة في ظلمات تطويها ظلمات، وأنواء تدفعها أنواء. فإن ناديت غاب الصوت ومات الصدى، وإن دعوت سُدت الأذان. في هذه الظلمة وهذه الأعاصير، لا ينفع إلا نور من عند الله يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، أو ينبعث من آية يتلوها خاشع، أو حديث يعمل به صادق. فمنهاج الله هو النور الذي يشق الظلمات، والبلال الذي يروي في الهجير، والظل الذي يقي من قيظ، والندى الذي تهتز به الأرض.

المنهاج الفردي، أو المنهاج الذاتي، هو النهج الذي يساعد المؤمن على الصدق في عهده مع الله، والوفاء بالأمانة، والقيام بواجب الاستخلاف، وسلامة العبادة. والصبر والنجاة في ابتلاء.

وعلى ضوء جميع ما سبق نقدّم الآن الصورة المتكاملة للمنهاج الذاتي، شاملاً لجميع العناصر، مستوفياً لجميع المراحل، حتى يسهل على المؤمن أن يختار ويتقّى، ثم يمضي ويدوم، ثم ينمو ويتطور، على نهج واعٍ، ودرب مشرق.

إن هذا المنهاج الذاتي هو دليل للمؤمن يساعده على رسم نهجه ومسيرته . يساعده على أن يعرف من أين يبدأ، كيف يبدأ، كيف يمضي ، دون أن يعطل هذا دور المؤسسات الإيمانية من معاهد وجامعات ومراكز علمية ، ودون أن يعطل دور العلماء .

وتهدف الممارسة الإيمانية إلى أن تصبح الآيات والأحاديث عملاً صالحاً في حياة المؤمن وواقعه، ابتداءً من همسة ضمير إلى جولة ميدان ووثبة جهاد في سبيل الله .

الفصل الثالث

مراحل منهج الذاتى

على ضوء الواقع الذي نعيش فيه، يلقي الداعية ناذج متنوعة من الناس يدعوهم إلى الإسلام. ويلقى مستويات متباينة من الوسع والطاقة. لذلك لا يُعقل أن يكون المنهاج الذاتى يحمل شكلاً واحداً ومستوى واحداً يجمد عليه.

فالداعية من ناحية يستطيع أن ينصح، والمسلم نفسه من ناحية أخرى يستطيع أن يختار ما يناسب المستوى والوسع والطاقة. وربما كان الواقع يفرض على المسلم أن يبتدىء بالتلاوة فقط، يتدرب عليها بجميع شروطها. ثم ينتقل إلى مرحلة أخرى تتحدّد على ضوء وسعه وطاقته. ويظل ينمو في عمله وجهده مادام يعتبر أن صحبة منهاج الله هي صحبة عمر وحياة، وليست صحبة مرحلية تتوقّف ثم تذبل وتنتهي. وربما وجد المسلم أن البداية يمكن أن تكون بالتلاوة والدراسة، أو بالتلاوة والدراسة والحفظ والسنة واللغة العربية.

هي إذن مسئولية المسلم، أو هي مسئولية الداعية ليحدّد نقطة البداية وشكلها. وفي جميع الحالات يجب أن يتوافر في نقطة البداية شرطان أساسيان:

أولاً: أن تكون مطابقة للواقع، مناسبة للوسع، بما يُرضي الله سبحانه وتعالى دون التعلل بالأعذار المصطنعة الواهية، الأعذار التي يرفضها العقل والصدق والأمانة، والعدل والحق.

ثانياً: أن تشمل نقطة البداية الخطوط الرئيسية لنهج مستقيم، يكفل حسن المداومة والاستمرار، وقوة النمو والتطور منطلقاً من المنهاج الرباني.

من أجل ذلك كان لابد من أن نقدّم تصوّراً مبدئياً لعمل مرحليّ نام، يساعد المسلم على حسن الاختيار ونجاح المهمة، دون أن نعتبر أن هذا التصور هو التصور الملزم. ولكننا نظل نؤكد أن الأمر الملزم هو الانطلاقة النابعة من الإيمان، الانطلاقة التي تحمل أعظم الحوافز، وأقوى الدوافع، حوافز إلى الجنة، ووثبات إلى ميادين الجهاد في سبيل الله.

ونضع المناهج الذاتية المرحلية مبنية على أساس اختلاف «الوسع». ونعني «بالوسع» هنا

كل ما يمكن أن يتصل بقدرات الإنسان سواء أكانت ذاتية أم مرتبطة بالبيئة والمجتمع حوله. فالسُّنُّ جزء من تصور الوُسع، والمستوى الدراسي كذلك، والمعدن والفطرة، والموهبة والقدرات المتميزة، والأهل والرحم، والرفقة والصحبة، والعمل والسعي، والرزق والثروة، والعافية والقوة، والبيئة والمجتمع، ووسائل الحياة المتوافرة حوله في بيئته، من معاهد ومكتبات وعلماء ووسائل اتصالات، وغير ذلك. كل هذه العوامل وكثير غيرها تدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة لتحديد الوُسع في الإنسان، ولتحديد مفهوم الوُسع كذلك، ومن ثم لتحديد المسؤوليات والواجبات، والحقوق، والمنازل والدرجات.

على ضوء هذا التصوُّر للوُسع نقدّم هنا المناهج الذاتية المرحلية، ليستعين بها المسلم في النهوض إلى واجبه. وتظل العناصر التي عدناها في المنهاج الذاتي، قادرة على تشكيل نماذج متعددة من المناهج المرحلية. وكل عنصر من عناصر المنهاج الذاتي يتألف من فقرات، وكل فقرة تتألف من بنود.

ومراحل المنهاج الذاتي لا تعني أنها هي أول مراحل الإعداد والتكوين والتربية والبناء، والدعوة والتوجيه. فهناك مراحل سابقة مهمتها أن تنقل الإنسان إلى مرحلة المنهاج الذاتي.

المنهاج الذاتي في جميع مراحلَه يتطلب قسطاً غير قليل من الاعتماد على النفس وسلامة التعاون، دون قطع أبواب التعاون المشروعة في حياة المؤمنين. بل على العكس من ذلك، فإن المنهاج الذاتي يساهم في حفظ كل خير وتنميته، ونبذ كل خبيث.

ولبلوغ هذا المستوى من الاعتماد على النفس، فلا بدّ من مراحل إعداد وتكوين وتربية وبناء، ودعوة وتوجيه. وهذه المراحل يمكن أن يساهم في بنائها البيت والمعهد، والعلماء والأساتذة، والدعاة والموجهون، ووسائل الإعلام.

ونلاحظ المرونة المتوافرة في اختيار المرحلة المناسبة لكل حالة، من توافر عدد غير قليل من البنود، حيث يؤلف بعضها فقرات، والفقرات تؤلف عناصر.

١ - المرحلة الأولى :

الممارسة الإيمانية
١ - الشعائر التعبدية
٢ - القواعد الإيمانية الأساسية للممارسة الإيمانية.

الواقع
أهمية دراسة الواقع في النظرة الإيمانية

المنهاج الرباني	
القرآن الكريم	اللغة العربية
التلاوة	حسب مستوى المسلم

نعتبر هذه هي أدنى المراحل وأولها حين تبتدىء المهمة بتلاوة القرآن الكريم بجميع الشروط التي سبق عرضها. هذه المرحلة أساسية وضرورية، وبدونها لا يستطيع المنهاج الذاتي أن ينهض أبداً. إنها الأساس المتين الراسخ الثابت الذي يقوم عليه المنهاج الذاتي. لا بُدَّ من أن يتقن المسلم تلاوة كتاب الله، تلاوة تشمل الفهم والتدبر والوعي، وتشمل سلامة النطق واللغة، وتشمل أحكام التجويد.

في هذه المرحلة يمضي البناء والإعداد مع أول مراحلها. فإن صدق العمل نيةً وجهداً ونهجاً زكاً في أوله، ونما في دربه، وامتدَّ في عقبه. إن ما سبق أن عرضناه عن التلاوة في هذه الدراسة، وفي كتاب دور المنهاج الرباني يغني عن الإعادة هنا. ولكن كتاب الله وسنة رسوله يبرزان معاً أهمية التلاوة بصورة متكاملة متناسقة.

وربما يجد المسلم أنه لا بُدَّ من البدء الفوري كذلك بدراسة اللغة العربية، حتى تلين له التلاوة، ويصحَّ الفهم، ويصدق التدبر. فعندئذ يضع المسلم نهجه اليومي للتلاوة، ونهجه كذلك لدراسة اللغة العربية دون أي تهاون أو إبطاء. لا بُدَّ من أن يعرف المسلم الحقيقة جلية واضحة، الحقيقة الأساسية وهي أن التلاوة واجب لا غنى عنه لمن وهبه الله الوسع له، واللغة العربية ضرورة وواجب لا غنى عنه كذلك، وبدون اللغة العربية يحخر المسلم كثيراً من البركة والخير، وربما ينقطع به الطريق فيخسر كل شيء. ولا بد من أن يعي المسلم أن هذه هي مسؤوليته هو نفسه، دون أن ينقص ذلك من مسئولية الآخرين. ولكن تقصير الآخرين لا يعفيه يوم الحساب بين يدي الله سبحانه وتعالى، والحساب شديد. وهو يأخذ في هذه المرحلة من اللغة العربية القدر الذي يناسبه.

هذه هي المرحلة الأولى تحمل مع اللحظة الأولى العناصر الثلاثة الرئيسية من عناصر المنهاج الذاتي: المنهاج الرباني، الواقع، الممارسة الإيمانية. ويمكن للمسلم أن يرتب منهاجه من هذه العناصر على ضوء وسعه، شريطة أن يحافظ على شروط التلاوة. وهي تحمل كذلك معها دراسة الواقع والممارسة الإيمانية، لتمثل العناصر الثلاثة معاً أساس النظرية وأسس المنهاج الذاتي.

وإذا كانت المرحلة الأولى مع مسلم غير عربي، فقد يكون من الأولى أن يحفظ أولاً ما يحتاجه في صلاته وعبادته، ويبدأ بعد ذلك منهاجه الذاتي باللغة العربية جهداً متواصلاً حتى ينتقل بسرعة إلى التلاوة الصحيحة، التلاوة التي تمثل أساس المنهاج الذاتي، وتمثل الخطأ

المستمر الدائم النامي .

ويدخل في هذه المرحلة دراسة الواقع ، لتكون دراسة المنهاج الرباني هنا مع دراسة الواقع الأساس السليم للعنصر الثالث وهو الممارسة الإيمانية أو العمل الصالح .

وتقوم دراسة الواقع هنا على اختيار عنصر من عناصرها . ويمكن أن تهدف هذه المرحلة إلى التدريب على دراسة الواقع ، حتى تنمو الدراسة وتنطلق . ويمكن دراسة أهمية الواقع ودراسته وفهمه في النظرة الإيمانية .

ويمكن أن تصلح هذه المرحلة لفتى صغير ، أو رجل غير متعلم ، أو مسلم دخل حديثاً في الإسلام ، أو مسلم استأنف عهده مع الله يحتاج إلى مرحلة يقوى فيها ويشتدّ عزمه .

ومما يجدر أن نلفت إليه هنا هو أن الممارسة الإيمانية يجب أن تمضي مع المرحلة الأولى ، وتمتد في جميع المراحل دون توقف . إن الممارسة الإيمانية هي الحياة الطاهرة للمؤمن في هذه الحياة الدنيا . ولا تستقيم تلاوة ولا دراسة إذا لم يصاحبه العمل الصالح في واقع الحياة . والممارسة الإيمانية تبتدىء في حياة المؤمن مع تلفظه بالشهادتين ، فهناك تبتدىء التكليف الشرعية ، وتنطلق المسؤولية التي لا يعفى منها ابن آدم . إنها تبتدىء مع بلوغ الرشد أو النطق بالشهادتين ، إنها تبتدىء لتمتد في حياة الإنسان مع كل لحظة ، وحركة ، ونفس . وهنا تمضي الممارسة الإيمانية مع اللحظة الأولى للمرحلة الأولى . وفي هذه المرحلة لابد من التركيز على القواعد الأساسية للممارسة الإيمانية ، حتى تصبح مغروسة في الطبع ، جلّية في العقيدة والسلوك . وهذه القواعد كما سبق أن ذكرناها هي : النية والإيمان والتوحيد ، الولاء ، العهد ، الروابط الإيمانية ، على أن تكتسب هذه القواعد معانيها القرآنية ، معانيها الربانية ، مجلوة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة . وقد سبق أن تحدثنا في أكثر من موضع عن هذه القواعد الإيمانية ، ولكننا هنا نود أن نبين بعض القضايا المرتبطة بالإيمان والتوحيد في هذه المرحلة الأولى .

نحن نفترض في منهاجنا هذا أننا نوجه مؤمنين . فالقضية إذن هي ليست دعوتهم إلى الإيمان والتوحيد كما تدعو الرجل المنبت الصلة بالإيمان . إن المهمة هنا تحتاج إلى روية وتدبر في عملية البناء والتوجيه . ويمكن أن نضع المهمة في هذه المرحلة في النقاط التالية :

١ - تنمية الإيمان وتغذيته .

٢ - تنقية التصور الإيماني مما علق به من شوائب وتناقضات من أثر النشأة والبيئة وسائر

العوامل .

٣ - ربط التصور الإيماني والتوحيد بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، أي ربطه بالمنهاج الرباني .

٤ - الإيمان بأهمية دور المنهاج الرباني في صياغة التصور الإيماني ، والسلوك ، والمضي العملي في هذا السبيل من الالتزام بمنهاج الله إيماناً ودراسة وتدبراً . بهذه النقاط تتضح جوانب من مهمة المنهاج الذاتي في هذه المرحلة ، وتتضح مهمة المسلم عامة في معالجة نفسه ، والاستفادة من المنهاج الذاتي . ولذلك ترتبط في هذا المنهاج الدراسة والشعائر وقواعد الممارسة الإيمانية . وكل عنصر من هذه العناصر يغذي العناصر الأخرى .

هذه المرحلة تقوم إذن على العناصر الرئيسية الثلاثة من المنهاج الذاتي وهي : المنهاج الرباني ، دراسة الواقع ، الممارسة الإيمانية . وأي عنصر آخر يضاف إلى المنهاج الذاتي يخدم تحقيق هذه العناصر الثلاثة وتحقيق أهدافها .

ولابد من أن نلاحظ هنا قوة الترابط بين هذه العناصر ، لتكون معاً أساس النظرية في التربية والبناء .

٢ - المرحلة الثانية :

المنهاج الرباني				الواقع	ودراسة الناس الإنساني وطبيعتهم
اللغة	السنة	القرآن الكريم			
		التلاوة	الدراسة		
العربية					
حسب					
المستوى					

الممارسة الإيمانية (العمل الصالح)	
١ - الشعائر	٢ - المحاسبة والتذكير
٣ - الذكر والدعاء	
٤ - مجاهدة النفس وسائر أبواب الجهاد	
٥ - المبادرة الذاتية	٦ - التزام المؤمن لحدوده ، وانزال الناس منازلهم
٧ - الدعوة إلى الله ورسوله والمساهمة في إعداد القوة في الأمة لتحقيق أهداف لقاء المؤمنين والجهاد في سبيل الله	

هذه هي المرحلة الثانية . وهي تمثل في حقيقتها نقلة لتكامل المنهاج الرباني في قلب المسلم ، حين يجتمع في منهاجه : القرآن الكريم ، السنة ، اللغة العربية ، الواقع ، ثم تمتد كذلك هنا ساحة التدريب على الممارسة الإيمانية إلى رقعة أوسع مما كانت عليه في المرحلة الأولى ، ولكنها تظل تقوم على أساس من منهاج الله والواقع .

والمرحلة الثانية هذه تصلح كذلك لتكون هي المرحلة الأولى لبعض نماذج المجتمع، كما تصلح لأن تكون مرحلة ممتدة للمرحلة الأولى التي سبق عرضها. وتمضي التلاوة لكتاب الله بشروطها، وتمضي كذلك دراسة السنّة النبوية دراسةً منهجيّة وتمضي دراسة اللغة العربية في الأبواب التي تناسب المسلم وتناسب المرحلة والواقع على أساس منهجي.

وكل دراسة يجب أن تكون منهجية مُبرّجة، قادرة على النمو والانطلاق. ومن المفروض في هذه المرحلة الثانية أن يزداد الإيمان لمن أراد الله به خيراً، أن يزداد الإيمان في قلب المسلم، وصحبته لمنهاج الله تمتدّ وتوسع وتقوى. وكذلك فإن تدريبه ينمو ويمتد.

ونلاحظ هنا أن الممارسة الإيمانية تمتدّ على أركان الإسلام، وتقوم عليها. فالشعائر التعبديّة قاعدة أساسية للممارسة. فهي النبع الغني الذي يروي الممارسة كلها بالبركة والخير والصحة. وبدون هذه الشعائر تبطل الممارسة وينقطع خيرها، وتظل الممارسة في حياة الإنسان جافة حتى ترتبط بالشعائر وتمتد معها في حياة الإنسان.

٢ - أ - الدعوة ومراحلها :

ونلاحظ كذلك أن من بين أعمال الممارسة هي الدعوة إلى الله ورسوله، الدعوة إلى الإسلام، إلى دين الله. وهنا يدرس المسلم ويمارس هذه الدعوة كما يتعلمها من كتاب الله وسنّة رسوله. ولقد سبق أن تحدثنا عن الدعوة في أكثر من موضع. ولكننا هنا نحتاج إلى أن نبه أنفسنا وإلى أن نشير إلى نقاط رئيسية، تقوم على أساس من منهاج الله ومن الواقع الذي تمضي الدعوة فيه.

أولاً: يجب أن يشعر الناس أنك تدعو إلى دين، إلى دين الإسلام، إلى الله ورسوله، إلى قواعد الإيمان وأسس التوحيد، دون أن يختلط هذا بعصبية تمت الخير وتقتل البركة. فعندما تدعو إلى أخوة في الله، فإنك تدعو إلى أخوة أمر الله سبحانه وتعالى بها، وحدد لها في منهاجه حقوقاً وواجبات. وقس على ذلك سائر القضايا، حتى يشعر الناس أن الداعية أمين على دينه ودعوته، واضح في نهجه وكلمته.

ثانياً: لا بدّ للداعية من أن يمضي في دعوته على نهج مدرّوس، وخط مشرق، دون أن تكون الدعوة عملية روتينيّة تفقد الحياة والروح، وتخسر الجولة بعد الجولة. لا بد من عمل له أسسه وقواعده، ووسائله وأساليبه، وغاياته وأهدافه. ولا بد من أن يكون ذلك كله نقيّاً قوياً.

ثالثاً: لابد من أن يحمل هذا النهج الاستفادة من الواقع، ودفع إمكاناته لخدمة دين الله ما وسعه ذلك. ودون أن يفهم الداعية الواقع فإنه لا يستطيع أن يبلغ ذلك.

رابعاً: وأول ما يجب فهمه في الواقع هو الناس الذين تدعوهم، والأشخاص الذين تبلغهم. ولابد من أن يأخذ هذا الفهم صورته العلمية، وأسس الدراسة، وخلاصة البحث، ليكون هذا الجهد مصدر تجارب تستفيد منها أجيال المؤمنين على كَرِّ الليالي والأيام. فلابد من أن تدرس معدن الرجل وفطرته، وموهبته وعقله وطاقته، وأصله وبيئته، وأرحامه، ورزقه وعمله وسعيه، وصحبته، ورفقته، وطباعه وسجاياه، وخصائصه ومزياه، لا بد من معرفة ما يمكن من هذا، لأن هذا كله وكثيراً غيره يساعد الداعية على رسم نهج، ومعرفة أفضل الأساليب لتحبيب الإيمان إليه، وتقريب الخير والنور إلى قلبه. وهذه المعرفة تمثل الخطوة الأولى في درب الدعوة إلى الله ورسوله. ولقد سبق أن أوضحنا هذه المرحلة في صفحات سابقة.

خامساً: إن الخطوة الثانية تعني عرض الإيمان بأحب الأساليب، أو تقريب الخير، أو معالجة النفس. ويمكن أن نُسهِّل على أنفسنا فنسمي هذه الخطوة هي مرحلة «الإيمان». هي المرحلة التي تنصبُّ الجهود فيها على تنمية الإيمان، وتنقيته، وتصحيحه، وربطه بمنهاج الله، لتكون هذه الخطوة تمهيداً لالتزام صادق في دراسة منهاج الله على نيّة وعزم ووضوح. كما ذكرنا ذلك في نقاط أربع محددة قبل قليل.

سادساً: تمضي التربية والبناء عملية نامية في الدعوة إلى الله ورسوله. والمعاهد والمؤسسات والعلماء والدعاة أولئك كلهم يطلّون مسئولين عن رعاية أبناء الأمة، وصون عقيدتهم، وتغذية إيمانهم وعلمهم وممارستهم. وإن عملية التربية والبناء تقوم على التمسك بمنهاج الله قرآناً وسنة، والمضي معه. وفي بادئ الأمر قد يحتاج المسلم إلى فترة حتى يعتاد التلاوة والدراسة والحفظ، فتمضي مرحلة غير مستقرّة، غير منتظمة على نهج، حتى يعتاد ويطمئن ويستقر. لابد من الصبر على مثل هذه المرحلة التي تظهر مع بعض الناس، لتوفر لهم المran والثقة والعزيمة.

سابعاً: وتستمر بإذن الله جهود البناء، وعزائم التربية، بهدوء وروية حتى تستقر نفس المسلم وتطمئن، وحتى تؤمن وتهدأ في أفياء منهاج الله، إيماناً ودراسة، وتدريباً وممارسة، على نهج واضح يقدمه المنهاج الذاتي، منهاجاً يمضي على خطة ووعي، خطة تبتدىء بمرحلة

أولية تُختار من عناصر المنهاج الذاتي.

ثامناً: من العرض السابق تتضح لنا الخطوات المتتالية، وتبرز لنا أهميتها في معالجة النفوس، وتحبيب الإيمان. إن هذه الخطوات تهدف إلى أمر جلي. تهدف إلى ربط المسلم بمنهاج الله، ليصوغ له حياته وفكره، وتصوراتهِ ورغباتهِ، وسلوكه وسعيه، في أحضان أمته، وظلال عقيدته. هنا ينطلق المسلم بمبادرته الذاتية متمسكاً بمنهاج الله، داعياً إلى الله ورسوله، يبني نفسه وأهله، ووطنه وأمته يمضي مع منهاجه الذاتي في مرحلته الثانية، ينتقل إلى مرحلة أقوى وأعمق.

لقد عرضنا هنا أهم النقاط التطبيقية المتعلقة في موضوع الدعوة والمنهاج الفردي. أما بالنسبة لسائر نقاط الممارسة الإيمانية المقترحة للتدريب عليها في هذه المرحلة: المحاسبة، الذكر والدعاء، مجاهدة النفس، المبادرة الذاتية، معرفة المنازل والحدود، فلا نحتاج هنا إلى أن نفصل في كل واحدة منها، فقد سبق عرضها في مناسبات أخرى. وسيكون لمعرفة المنازل والحدود فصل مستقل إن شاء الله. ولكن الذي نحتاج إلى أن نركز عليه الآن بالإضافة إلى موضوع الدعوة هو «المبادرة الذاتية». هذه الصفة الإيمانية ضرورية جداً للمسلم في حياته وعقيدته، ليصون أمة ودياراً وعقيدة.

٢ - ب - المبادرة الذاتية :

إن المبادرة الذاتية هي خلاصة الحوافز الإيمانية، التي تطلق طاقات المؤمن على درب طويل، وفي ميدان واسع. هي خلاصة جميع الحوافز الإيمانية الفكرية والنفسية المادية. وهذه الحوافز كلها ترتبط في حياة المؤمن بهدف واحد تنصب عنده الجهود والتصورات والأمال. ألا وهو الجنة. إن المبادرة الذاتية هي خلاصة شعور المؤمن في ذاته وفكره وإيمانه بأنه إنسان يعيش لأهداف مشرقة واضحة، ويسعى على درب مشرق جلي. إن المبادرة الذاتية هي جوهر يقين الإنسان بأنه يعيش لقضية واحدة في حياته هي قضية الإسلام، هي قضية هذا الدين، هي قضية هذه الأمة المسلمة الضاربة في التاريخ، الممتدة في آفاق المستقبل. وعندئذ تصبح سائر قضايا حياته قضايا تابعة، مرتبطة بالقضية الكبرى، القضية التي أصبح يؤمن بأنه خلق لها، وأن منهاج الله عبر عنها في القرآن الكريم بتعابير ربانية، تجتمع كلها لتصور القضية أكمل تصوير، وأدق تصوير: العبادة، الاستخلاف، الأمانة، عمارة الأرض، من خلال ابتلاء وتمحيص^(١).

(١) يراجع كتاب «لقاء المؤمنين الجزء الثاني».

لقد بنت مدرسة النبوة هذه المبادرة في قلوب الصحابة ونفوسهم، في دمائهم وأعصابهم، حتى جمعت في حقيقتها جميع الحوافز الإيمانية على موازنة عادلة أمينة.

عندما ندرس السيرة النبوية، وعندما ندرس سيرة صحابة رسول الله ﷺ، نجد نماذج رائعة من المبادرة الذاتية، تمثل خطأ رئيسياً في الدعوة. لقد كان المؤمنون أفواجاً تتزاحم على ميادين الطاعة، ولم يكن يتخلف عنها إلا ضعيف رماء الوهن، أو منافق ظاهر النفاق.

ويذهل المرء حين يرى اليوم من أعداء الله عناداً على الكفر والضلال، يدفعهم إلى مبادرة تلو مبادرة، ويوفر لهم حوافز مجرمة، ليحاربوا هذا الدين، فيصبروا على شدة ولأواء، وجوع وعطش، ومرض وعافية، وسهر وجه، لا ينون ولا يكلون عن حربهم هذه. وتمتد الحرب قروناً بعدها قرون، وهم في غيهم ماضون. والمؤمن أولى أن تنمو فيه المبادرة الذاتية، لينهض للدفاع عن دينه، والصدّة عن أمته، والسير على نهج، والمضي على درب، يحمل كل الحوافز الطاهرة النظيفة الذكية الواعية، راکضاً إلى هناك، إلى الجنة.

فتكون المبادرة الذاتية عنصراً من عناصر التعلم والتدريب، والتربية والبناء في ميدان الممارسة الإيمانية، في هذه المرحلة، وفي غيرها من المراحل. وتكون المبادرة الذاتية جزءاً من نهج وتعاون وتنسيق لا مثلاً لا اضطراب وفردية وأنانية.

ولابد من أن ننتبه إلى أن عناصر الممارسة الإيمانية، في أي مرحلة من المراحل، تظل ممتدة مع سائر المراحل المقبلة، تذكيراً وتعليماً وتدريباً، حتى يشعر المؤمن بتكامل النهج، وتناسق العناصر وترابطها.

ولكن المبادرة الذاتية تحتاج إلى فهم الواقع ودراسته ووعيه، حتى يستطيع المؤمن أن يبادر إلى خير، وأن ينهض إلى صالح، على موازنة عادلة لا تفسد العمل، ولا تعطل بركة. لابد من هذه الموازنة القائمة على فهم منهاج الله وفهم الواقع، ومعرفة الحقوق والواجبات.

ولابد من أن نؤكد أن عمل التربية والبناء عمل عظيم جليل، يحتاج إلى صبر وأناة، ودأب ومداومة، وكد وجهد، وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، حتى يبارك العمل ويتقبله. ولذلك قد يحدث أن تمتد المرحلة الواحدة فترة أطول مما هو مقدر لها. إذ لا يجوز الانتقال من مرحلة إلى مرحلة حتى تكون المرحلة السابقة قد أدت أغراضها، وحققت أهدافها. ولابد من أن تكون كل مرحلة واضحة في عناصرها، واضحة في أهدافها، واضحة في مسيرتها.

[illegible]

٣ - المرحلة الثالثة :

نُذَكِّرُ أنفسنا هنا أن أي مرحلة من هذه المراحل قد تصلح لأن تكون المرحلة الأولى أو الثانية أو غير ذلك . إن هذا يعتمد على وسع المسلم نفسه من ناحية ، وعلى الواقع من ناحية أخرى . وإنه يعتمد على قوة إيمانه و يقينه .

والنقطة الثانية التي يجب تذكرها هي أن المنهاج الذاتي يتألف أساساً من خمسة عناصر هي : المنهاج الرباني ، الواقع ، العلوم المساعدة ، فقه الدعوة ، الممارسة الإيمانية . وكل عنصر من هذه العناصر يتألف من فقرات . وكل فقرة تتألف من بنود . فيصبح لدينا إذن عدد واسع من الفقرات والبنود ، يستطيع المسلم أن يختار ما يشاء من العناصر والفقرات والبنود ليصوغ منهاجه الذاتي المرحلي ، على نفس الأسس السابقة : إيمانه و يقينه ، وسعه وطاقته ، الواقع . ولكن يجب أن تكون البداية دائماً شاملة لتلاوة منهجية في كتاب الله ، تلاوة تحمل التدبر والوعي ، وتسعى بسرعة لأن تشمل السنّة ، وتشمل اللغة العربية ، حتى يتكامل في ذهن المسلم تصور منهاج الله قرآناً وسنة ، وأنها من عند الله ، وأن لغة منهاج الله هي اللغة العربية . ثم ينمو المنهاج الذاتي حتى يستكمل العناصر والفقرات والبنود .

إنه المنهاج الذاتي ، ينطلق من ذات المؤمن ، من قناعاته هو وإيمانه و يقينه ، على أساس من وسعه وطاقته ، وواقعه وحالته ، ليكون المنهاج الرباني صحبة عمر و حياة ، وليكون عمل المؤمن عملاً منهجياً مدروساً ، يحمل النية الطاهرة الخالصة لله سبحانه وتعالى ، ويحمل الوعي على درب مستقيم مشرق ، ويحمل الأهداف الربانية المشرقة . فلا يتيه بإذن الله ، فانطلاقة الله ، وولاه الله ، ونهجه منهاج الله .

وفي هذه المرحلة تدخل دراسة الواقع على نهج أوسع وخطة أعمق ، وأساس من علم و تربية ، لتؤدي دراسة الواقع أهدافها الإيمانية . وتبتدىء دراسة الواقع بنقطتين : دراسة الإنسان طبيعته وخصائصه ، ودراسة الناس عامة وفهمهم ، وتمتد دراسة الواقع في جميع المراحل دراسة مصاحبة لمنهاج الله ، على أساس من البنود التي سبق عرضها .

وتدخل العلوم المساعدة مبتدئة بالسيرة النبوية وحياة الصحابة . ويمكن لهذه العلوم المساعدة أن تُنقل إلى المرحلة الأولى ، أو المرحلة الثانية ، يقرر ذلك دائماً : الإيمان والنية ، واليقين والعزيمة ، والوسع والطاقة ، والواقع والحال .

وهنا يأخذ المنهاج الذاتي صورة تقترب في نموها من العمل المنهجي المتكامل . فلا بد من تحديد المراجع ، ولابد من تحديد المعدلات التي يلتزمها المؤمن في حياته ، من كل عنصر ، ومن كل فقرة ، كما هو واضح في النموذج المرفق .

ويجب أن لا ننسى أن هذه المرحلة تساهم مع سائر المراحل في بناء المؤمن العامل المجاهد في سبيل الله ، ليقف مع سائر المؤمنين بحمي أمة وعقيدة وديارا .

٤ - المرحلة الرابعة :

ينمو المنهاج الذاتي بعد المرحلة الثالثة في استبدال فقرات عناصره . فتتبدل فقرات اللغة العربية ، أو تتزايد حتى تشمل البلاغة والبيان والأدب الإسلامي . والأدب الإسلامي ، كما أوضحنا سابقاً ، هو أحد أسلحة الدعوة الإسلامية في الأرض ، تدفعه وتصوغه موهبة الداعية المؤمن العامل على أساس من التزام بين بمنهاج الله ، التزام إيمان وعقيدة ، وفكر ، وتصور ، ونهج وسلوك^(١) .

وتصبح «المراجعة» هنا فقرة رئيسية في دراسة منهاج الله . والمراجعة تبتدىء حقيقة مع أول خطوة ، ولكننا أبرزناها في المرحلة الثالثة والرابعة على أساس من أن المرحلتين السابقتين الأولى والثانية ، هما مرحلتا إعداد وتهيئة وتدريب لانطلاقة عمر وحياة ، ودعوة وجهاد .

وتمتد دراسة الواقع لتشمل عناصره الأخرى : العالم الإسلامي وقضاياها ، وسائر بنود دراسة الواقع لتمتد مع المرحلة الرابعة . وتستفيد دراسة الواقع من جميع الوسائل المتوافرة من وسائل إعلام ، وكتب ومؤسسات وغير ذلك .

ويتمتد فقه الدعوة ليشمل فقرات جديدة بالإضافة إلى امتداد الفقرات السابقة : فقه الشعائر ، مهمة منهاج الله ودوره ، اللغة العربية ودورها في الدعوة الإسلامية ، رابطة لقاء المؤمنين ، خصائص لقاء المؤمنين ، الإيمان والعهد . وتظهر سائر فقرات العلوم المساعدة واحدة واحدة .

ويمكن لهذه الفقرات ، كلها أو بعضها ، أن تنتقل إلى أي مرحلة سابقة على نفس الأسس التي ذكرناها .

وتمضي المرحلة الرابعة لتمثل المنهاج الذاتي المتكامل في جميع عناصره ، وفقراته ، يتوقف

(١) «كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته» . للمؤلف .

منها مع الأيام الفقرات الموهونة بمرحلة. وينمو المنهاج الذاتي، وتنمو الممارسة الإيمانية، ليدفع ذلك كله أفواج المؤمنين وأجيال العاملين.

إن كل مرحلة من هذه المراحل لا تتقيد بفترة زمنية محددة. إن المسلم نفسه هو يحدد ذلك على ضوء جده واجتهاده، وبذله وعطائه. إلا أن القاعدة الأساسية هو أنه لا يجوز الانتقال من مرحلة إلى أخرى إلا إذا استوفت المرحلة السابقة مهمتها وبلغت غايتها، مهما أخذت من زمن. وجدير بنا أن نذكر هنا أن المنهاج الذاتي هو صحة عمر وحياة. ولكن هذا الامتداد يجب أن لا يكون مبرراً للمسلم لأن يسترخي ويتوانى. بل على العكس من ذلك، يجب أن ينطلق بقوة وعزيمة وهو يشعر أنه يحمل قضية في حياته، وأنه صاحب قضية، قضية الإسلام. ومن أجل هذه القضية يصبح الزمن عنصراً هاماً، وكسبه ضرورة قائمة.

في هذه المرحلة الرابعة تستقر دراسة القرآن الكريم: تلاوة ودراسة وحفظاً، وتستقر دراسة السنة الشريفة، وتمتد كذلك مع دراسة القرآن الكريم. واللغة العربية يمضي المسلم في دراستها مكتفياً بالنحو والصرف. أو بالنحو والصرف والبلاغة. ومن وجد في نفسه القدرة على الانتقال إلى الأدب فلا بد من أن ينتبه إلى أن الغاية من دراسة الأدب هنا هو تنمية اللغة العربية في نفسه، وليس التخصص والاستغراق الأدبي. إلا أن يكون الأدب هو اختصاص المسلم وباب اهتمامه، فيكون الأدب في هذه الحالة هو مع «العلوم التخصصية».

والهدف الثاني من دراسة الأدب هو تصفية اللغة العربية والمجتمع الإسلامي من سموم أعداء الإسلام، من السموم التي ينفثونها في حياتنا من خلال الأدب. وبذلك يصبح من واجب المسلم أن يعي بصورة واضحة خطورة الأدب ودوره. والهدف الثالث هو أن يكون سلاحاً من أسلحة الدعوة.

الأدب ظاهرة إنسانية، تدفعه الموهبة التي يضعها الله في من يشاء من خلقه كما يضع المواهب الأخرى في من يشاء من عباده. ولكن يظل مع الموهبة عوامل أخرى توجه الأدب وتصوغه وتدفع معانيه وأفكاره. ومن أهم هذه العوامل التي تصوغ وتدفع هي «العقيدة» فالعقيدة دائماً تساهم في دفع المعاني وصياغتها. ولكل إنسان عقيدة ولكل إنسان شيء يتوجه إليه ولاؤه. فالكافر والمشرک له ولاء لهذا أو ذاك، لصنم، أو مصلحة، أو شهوة، أو هوى، أو أي شيء آخر يولد له الخوافز، ويستقطب منه الولاء. والمسلم له عقيدته المشرقة، عقيدة الإسلام. فمن الناس إذن من تكون الجاهلية هي دينه وعقيدته، ومنهم من يكون الإسلام

هو دينه وعقيدته. ولا بد أن تصوغ الجاهلية بأنماطها المتعددة الأدب، أو أن يصوغه الإسلام. فحين يصوغ الإسلام الأدب نسمي هذا الأدب الأدب الإسلامي. هذا هو الأدب الذي يجب أن يكون عدة من عُدَد الدعوة، وقوة من قواها. ويأخذ المسلم منه ما يعينه على تحقيق الأهداف المرجوة من تقوية مهارته في اللغة العربية، حماية الدعوة الإسلامية من الغزو والفساد، إضافة إلى هدف آخر هو تنمية الموهبة الأدبية حيثما وُجدت.

فالمنهاج الذاتي يهدف، في جملة ما يهدف إليه، إلى رعاية المواهب والقدرات، وفتح ميادينها وآفاقها. وهو يهدف إلى رعاية المواهب كلها مهما تنوعت وتعددت. وهو يوفر الغذاء الأساسي للموهبة حتى تظل محتفظة بقوتها، ماضية في نموها، لتحسّ بها الأمة فترعاها وتحنو عليها.

وقد تظهر الموهبة في هذه المرحلة لأنها تكاد تكون أطول المراحل الأربع الأولى وأعمقها. وقد تظهر قبل ذلك، وقد تظهر في المرحلة الخامسة التي تمتد امتداد العمر كله.

وحيثما ظهرت القدرات الخاصة المتميزة يصبح من واجب الأمة كلها رعايتها. وستحدث عن ذلك أكثر في سياق المرحلة الخامسة.

ونقدم مع المرحلة الرابعة شكل «المنهاج الذاتي» النموذجي، الذي نقترحه، ليشمل عناصر التربية والبناء، وفقراتها وبنودها، وليكون دليلاً ومعيناً على عرض النظرية التي نريدها، ودليلاً للمؤمن ومعيناً له على صياغة أي مرحلة تناسب وسعه وطاقته، ومسئوليته وواقعه.

ونقدم بعده كذلك قائمة بالمراجع التي نقترحها للمراحل الأربع هذه، يستعين بها المؤمن على اختيار مرجعه في هذه الفقرة أو تلك.

ومع المرحلة الرابعة يتكامل المنهاج الذاتي. ولكننا يجب أن نؤكد هنا أن المؤمن حين يؤدي هذا الواجب الذاتي لا ينقطع عن سائر مسئولياته وميادينه في حياة الأمة ولكنه يتناسق معها لتتكامل عملية التربية والبناء لتعد المؤمن العامل المجاهد في سبيل الله على نهج إيماني واع يسعى لأهداف مشرقة واضحة. ولقد عرضنا دراسة الأهداف في كتاب «لقاء المؤمنين» الجزء

الثاني

منهاج المرحلة الرابعة (تتمة) العمل الصالح والممارسة الإيمانية،

الاقتصاد	الإعلام	الشاط الاجتماعي	قواعد صحية	قواعد في الممارسة والتطبيق	الدعوة	الشعائر				القواعد الإيمانية الأساسية
						التوافل		الفرائض		
						صيام	الصيام	صلاة	صلاة	
						نافلة أخرى	الليل	الفجر	الجماعة	
١ - الكسب الحلال ٢ - الإنفاق الحلال ٣ - التخصص العلمي	١ - وسائله ٢ - أساليبه ٣ - الرأي العام ٤ - التخصص العلمي	١ - صلة الرحم ٢ - الجوار ٣ - الأصدقاء ٤ - المنايات الاجتماعية	١ - تحقيق الطعام ٢ - الرياضة ٣ - المشي ٤ - الجري ٥ - السباحة ٦ - الفحص الطبي ٧ - النوم المبكر والاستيقاظ المبكر	١ - المحاسبة ٢ - الذكر والدعاء ٣ - مجاهدة النفس وسائر أبواب الجهاد في سبيل الله ٤ - المبادأة الذاتية ٥ - التزام المؤمن لحدوده ٦ - إززال الناس منازلهم ٧ - النصيحة ٨ - الرأي ٩ - السمع والطاعة ١٠ - أدب الاختلاف ١١ - الممارسة بين الخطأ والصواب ١٢ - الموازنة ١٣ - رد الأمور إلى منهاج الله ١٤ - البيع والتخطيط ١٥ - الإدارة والتنظيم ١٦ - الشورى ١٧ - الأسرة والبيت ١٨ - الذوق الاجتماعي ١٩ - الإنفاق	١ - التدريب على : أ - دراسة الواقع ب - دراسة الناس وقضاياهم ج - أساليب الدعوة ومراحلها ٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣ - ممارسة الدعوة في الواقع ٤ - لقاء المؤمن بالمؤمن وتبججه				١ - النية ٢ - الإيمان ٣ - الولاء ٤ - المهد ٥ - الروابط الإيمانية	

٥ - المرحلة الخامسة :

لقد ذكرنا أن المراحل السابقة لا نحددها بزمان ، ولكننا نحددها بجهد وبذل وعزيمة ، حتى يمضي المنهاج الذاتيّ صحبة عمر وحياء . ونرى أن المرحلة الرابعة التي سبق عرضها هي أطول المراحل الأربع زمناً ، فيجب أن تمتد حتى يتقن المسلم منهاجه ، وينمو زاده ، وتصدق ممارسته .

في المرحلة الرابعة يجب أن ينهي المسلم جولته الأولى من الموضوعات التالية ، ثم يمضي إلى أفق أوسع مع المرحلة الخامسة التي تحمل له مرونة أوسع لاختياره :

١ - الدراسة والتفسير حتى يصبح هذا الموضوع أقرب ما يكون إلى المراجعة ، وحتى ينمو الحفظ . أما التلاوة فإنها تنمو أبداً ولا تتوقف وربما يصل بعض الناس ، مع قوة حفظهم وتدبرهم ، إلى أن تكون التلاوة نفسها باباً من أبواب الدراسة والتدبر . والحفظ والمراجعة . تُصبح الفقرات الأربع كأنها فقرة واحدة أو فقرتان . ولكنها فقرة تمضي مع العمر مصاحبة له ، لا تتوقف أبداً . وهي فقرة مع استمرارها تظل تحمل التدبر والوعي ، والمراجعة والتثبيت . ويظل خير القرآن الكريم وبركته ممتدة مع الحياة بإذن الله ، في هذه المرحلة الخامسة . والمسلم هنا يتخير بعد ذلك ما يشاء من كتب التفسير والمراجع لينمو زاده ويقوى تدبره .

٢ - السنّة : ينهي المسلم حتى هذه المرحلة كتاباً في مستوى «التاج الجامع للأصول» ، ينهيه دراسة وتدبراً حتى يتكون لديه زاد حقيقي من السنّة . ثم ينتقل بعد ذلك إلى المرحلة الخامسة ليتخير ما يشاء من أمهات كتب الحديث ، من الصحاح ، والسنن ، والمسانيد ، يمضي معها صحبة عمر دون توقف . وبذلك يتكون لديه زاد هام من منهاج الله قرآناً وسنّة ، يسمح له أن يمضي على بركة الله في تنمية هذا الزاد ورعايته حتى يلقي الله ، لا يترك كتاب الله ، ولا يترك سنة رسوله . وتظل المراجعة والإعادة ، والحفظ والتثبيت مهمة عمر .

٣ - أما اللغة العربية فيجب أن ينتهي من القدر الذي تلين معه اللغة على لسانه ، ويسهل عليه فهم النصوص وتقدير بيانها . ثم يتخير من علومها ما يشاء من أدب أو بيان أو قواعد حتى يظل النمو ماضياً ، والزاد غنياً . وفي هذه المرحلة الخامسة يصبح المسلم أقدر على النظر وحسن الاختيار ، وأقوى على التبصر والاعتبار .

٤ - يكون المسلم في المرحلة الرابعة قد خطا خطوات في دراسة الواقع حسب الفقرات التي سبق عرضها، ينهي منها القدر الذي يستطيع، وتظل أمامه فقرات لا بد من متابعتها مع المرحلة الجديدة، المرحلة الخامسة، حتى تظل القاعدتان الرئيسيتان ثابتتين في حياة المسلم: المنهاج الرباني والواقع. ويمضي المسلم في دراسة الواقع على قدر وسعه وطاقته. لا يقف حتى يقف به وسعه. ويستفيد المسلم في دراسة الواقع من جميع الوسائل النظيفة المتوافرة: من وسائل الإعلام، الكتب، المؤسسات، البيئة والمجتمع والناس. وتظل نظرة المؤمن نظرة فاحصة واعية، ترد الأمور إلى منهاج الله في حدود وسعه وطاقته، ليفهم الواقع من خلال فهمه لمنهاج الله، من خلال إيمانه وعلمه. ولا ننسى هنا أننا اعتبرنا العلوم التخصصية جزءاً من دراسة الواقع، كل في إطار تخصصه.

٥ - ويمضي المسلم في دراسة فقه الدعوة على قدر وسعه وطاقته. ولكنه في المرحلة الرابعة يكون قد أنهى دراسة جميع الفقرات المتعلقة بمنهاج فقه الدعوة أو معظمها. وتصبح المرحلة الخامسة مرحلة تثبيت وتبيين، ومراجعة وتدقيق، وتخصص واتجاه.

٦ - يأخذ من العلوم المساعدة ما يشعر أنه مازال بحاجة إليه، أو ما يرغب أن يتعمق فيه، حتى يكون عطاؤه لدين الله أعمق في تخصص محدد أو اتجاه معين. وقد يتوقف فيها عند مستوى محدد.

٧ - وتمتد الممارسة الإيمانية في حياة المؤمن بذلاً وجهداً وعطاءً. ولكنها تكون هنا ممارسة واعية غنية لمن شاء الله له الهداية والقوة والثبات. تصبح الممارسة الإيمانية قائمة على أسس منهاج الله، وعلى فهم الواقع فهماً ناضجاً واعياً من خلال منهاج الله، وعلى أساس من زاد مبارك كريم، ينير له السبيل، ويفتح له الدرب.

هذه المرحلة الخامسة هي مرحلة تثبيت، ومراجعة وتوجيه. تظل في هذه المرحلة مصاحبةً منهاج الله قائمة غنية ندية، وتظل دراسة الواقع واعية ناضجة، وتمضي الممارسة في نور أقوى وبركة أوسع، بفضل الله ورحمته.

ولا بد من أن نذكر هنا أن مهمة المنهاج الذاتي أن يكون دليلاً ومعيناً دون أن يلغي دور المسلم نفسه على قدر مناسب. فلا بد من أن يمارس المسلم قدراً من الاختيار ينمو مع نمو الممارسة والعلم.

في هذه المرحلة الخامسة يكون المسلم أقدر على الاختيار بعد أن نها زاده واتسع أفقه، وتوحدت قواعد دراسته، والتقت بين المؤمنين الأسس والقواعد، والشعور والتصورات والمبادئ والأفكار.

هنا في هذه المرحلة، وقد ملأت الآيات الكريمة الصدور والأحشاء، وملأت الأحاديث الشريفة القلوب والألباب، ووعت النفوس الواقع وعياً يطرد الخدر والسكر، وينفي الغفلة والتهيه، هنا يستطيع أن يتناول من علوم الإسلام ما يشاء، فيأخذ منها علماً أو ثقافة، ويتنقل من روض إلى روض، ومعه دائماً المشعل الوهاج، المنهاج الرباني، لا يفله ولا يتركه، يختار ما يناسب موهبته ووسعه، وما يعين على تحقيق أهدافه الإيمانية.

هنا تهايز المواهب والقدرات، وتمضي كل موهبة في دربها، تزرع وتجنّي وتغرس وتقطف، وتبني وترفع، على بركة الله، وباسم الله، وفي سبيل الله.

المرحلة الخامسة تفتح الأبواب أمام المؤمن الواعي القوي، وهو يمضي على صراط مستقيم، ونهج جليّ قويم، وأهداف مشرقة، وعزيمة مشدودة، ويقين بالله ثابت لا يهتز.

إن هذه النفوس يزداد إيمانها ويقينها وهي تمضي على هذا النهج. وكذلك فإنها تمضي على نهج يظل خاضعاً للمراجعة والتقويم. فهو يمضي مصاحباً لمنهاج الله، يرد الأمور كلها إلى منهاج الله، فإن رأى خطأً أو اعوجاجاً وقف يتدبر، ويصلح ويقوم، حتى يظل على صراط مستقيم.

وبذلك يظل المؤمن حاملاً مسئولية هامة، وهو يراجع مسيرته ونهجه، وهو يصحح ويقوم. إنه يقوم بهذا الجهد دون أن تعطل سائر الجهود معه أو من حوله، في أمته ومجتمعه، ومعهد وبيته. ولكنه يتناسق معها كلها، ويتكامل ويترابط. إن جهود الأمة وقواها كلها تتناسق وتترابط، لا يتعطل منها خير أبداً. فالمعاهد، والعلماء، والمؤسسات الإيمانية، كلها تصب جهودها في مجرى واحد خيّر، لا تتبعثر الجهود، ولا تتنافر ولا تتبدد.

في هذه المرحلة الخامسة تستقر الخصائص التالية:

- ١ - مصاحبةً منهاج الله قرآناً وسنةً على النحو الذي يلائم الوسع الذي بلغه المسلم، مصاحبةً عمر وحياة.
- ٢ - مصاحبةً دراسة الواقع في الاتجاه الذي يناسب وسعه واختصاصه.

٣ - مضي الممارسة الإيمانية .

٤ - انتقاء ما يناسب وسعه من المراجع الإسلامية في أي باب يرغب المضي فيه .

٥ - ظهور المواهب والوسع ، حتى يتحدد اتجاه وعمل ، وبذل وعطاء ، ورعاية وتنمية .

هذه الخصائص ممتدة في المراحل السابقة . ولكنها هنا تأخذ صورة من صور الاستقرار ، ولوناً من ألوان النضج ، وقدرة أوسع على التكيف وبعداً أعمق في التصور .

هذه المرحلة يصبح فيها الزاد أقرب للغنى ، فيكون العطاء أقرب إلى الوفرة والجود والإحسان .

فإذا تجمعت أمة الإسلام على صفاء إيمان ، وقوة علم ، وسلامة بناء ، فإنها تستطيع أن تشق طريقها بإذن الله إلى نصر عزيز من عند الله .

٦ - التقدير الزمني للمراحل كلها :

لقد سبق أن بينا أن تقسيم هذه المراحل هو أمر اجتهادي ، لكنه يقوم على أسس واضحة ، عُرضت خلال الصفحات السابقة . وكان من بين تلك الأسس أننا افترضنا البداية مع رجل يحتاج إلى دراسة في اللغة العربية حتى يستطيع أن يتدبر منهاج الله . وافترضنا كذلك أن وسعه عند البداية لا يسمح بأن يبدأ بأكثر من التلاوة ، حتى يعتادها ، وحتى تلين الآيات على لسانه . هذه هي النقطة التي نبتدىء منها . ولكن هذه النقطة تختلف أيضاً من رجل إلى رجل ، ومن بيئة إلى بيئة ، والدعوة الإسلامية تمضي في الأرض مع الناس كلهم ، وفي الأرض كلها ، فتجابه طاقات متنوعة ، ونماذج متعددة .

والمنهاج الذاتي يتألف من عناصر وفقرات وبنود ، تملك من المرونة والسعة ما يسمح للمؤمن أن يختار البداية ، وأن يضع المراحل ، ملتزماً بالنهج الذي رسمناه ، والقواعد التي حددناها ، حتى يعطي منهاج الذات ثمرته بإذن الله ، حين تتوافر النية والعزيمة ، والجهد والبذل . ومع الأيام تنمو التجربة ، وتنضج الخبرة ، وتسهل الممارسة إن شاء الله .

وحين نريد أن نضع تقديراً زمنياً لهذه المراحل جميعها ، يجب أن نضع في اعتبارنا هذه العوامل كلها ، وتفاوت الوسع والطاقة . ولذلك نضع تقديراً اجتهادياً لنماذج نتصور توافرها في واقع الحياة بعدد كبير نسبياً .

إن جميع عناصر المنهاج الذاتي تعمل معاً لخدمة العنصر الأول، العنصر الرئيسي، ألا وهو منهاج الله قرآناً وسنة. ويهدف المنهاج الذاتي كله إلى توفير السبيل لحسن تدبر منهاج الله وحسن تطبيقه في واقع الحياة. إن هذا الهدف يعطي قاعدة أساسية لتحديد الفترات الزمنية. وقاعدة أخرى نتعلمها من مدرسة النبوة - وقواعدنا كلها نتعلمها من مدرسة النبوة - وهي ما يعرضه لنا حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعلم ما فيه». أخرجه ابن عساكر

فالغاية إذن واضحة. إنها ليست مجرد «حشو» ولا هي كسب دنيوي ولا طمع في مناصب، ولا رغبة في ملء مجالس. إنها تدبر ينبع من إيمان فيه رغبة ورهبة، وتدبر يُنمي الإيمان، ويحدّد السلوك والنهج، ويقوم العمل والممارسة. إنها إيمان وعلم وعمل. ولذلك لا يكون العلم دفعاً للمعلومات دون وعي وفهم وتدبر. فلا بد من أن تأخذ الآيات والأحاديث حقها من الفترة الزمنية، حتى تصبح في الصدور نوراً، وفي الحياة عملاً ونهجاً.

ونرى كذلك أن القرآن الكريم نزل منجماً على قلب رسول الله ﷺ خلال عشرين، أو ثلاث وعشرين سنة. وخلال هذه الفترة الزمنية درس الصحابة رضوان الله عليهم منهاج الله، وأصبح لهم صحبة عمر وحياة. وأصبح للصحابة منهاجهم الذاتي مع كتاب الله، يلتزمه الصحابي عمره كله. فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يحتم تلاوة كتاب الله في أسبوع على منهج محدد لا يفارقه.

قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنها قرأه من الليل». رواه الخمسة^(١) إلا البخاري

وهكذا نجد مع سائر الصحابة رضي الله عنهم نهجاً محدداً يلازمونه في صحبة كتاب الله عمرهم كله، لا يتركونه. فمنهم من كان يقرأ كتاب الله في أسبوع، ومنهم من كان يقرأه في أسبوعين، ومنهم في أكثر من ذلك. لقد كانت هذه الصحبة المنهجية، بعد أن صاحبه مصاحبة بداية وتعلم في مدرسة النبوة.

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (١٨). حديث رقم (٧٤٧).

من هذه القواعد كلها، ما سبق عرضه وما عرضناه هنا، نحاول أن نضع تقديراً زمنياً للمراحل السابقة إن شاء الله .

المرحلة الأولى : تتفاوت مدتها على أساس من الوسع والطاقة ونضع معدلاً وسطاً بين سنة إلى ثلاث سنوات . ولنقل الوسط هو «سنتان» .

المرحلة الثانية : سنة واحدة .

المرحلة الثالثة : أربع سنوات .

المرحلة الرابعة : عشر سنوات .

المرحلة الخامسة : صحبة العمر .

فتكون مدة المراحل الأربع الأولى بحدود سبعة عشر عاماً .

وخلال هذه المدة الزمنية يستطيع الجهد المتوسط أن ينهي من المنهاج الذاتي مع كتاب الله معدلاً وسطاً كما يلي :

التلاوة : بحدود ستين مرة تقريباً، أو تزيد، مع جهد أوسع حتى تبلغ مائة وأربعين مرة .

الدراسة : دراسة القرآن الكريم مع التفسير وتدبره بين مرة إلى مرتين .

الحفظ : نصف القرآن الكريم إلى القرآن الكريم كله .

السنة : دراسة كتاب التاج، وسبل السلام، أو ما يعادلها .

اللغة العربية : اتقان النحو والصرف، وقواعد البلاغة، وعلم أو ثقافة في الأدب .

الواقف : دراسة معظم بنود الواقع على مستوى حسن .

العلوم المساعدة : دراسة جيدة في معظمها وخاصة السيرة وحياة الصحابة، والتاريخ الإسلامي .

العمل الصالح والممارسة الأيمانية : تدريب جيد على القواعد المعروضة في المنهاج .

إن العمر يمضي كله حتى يبلغ الإنسان أجله . فما أعد لها من موازنة إذا أعطى شطراً لدينه، حتى يحمل في عمره زاداً عظيماً، يحمله من خلال حياته دون أن تتعطل حياته أو يفقد شيئاً، ولكن على العكس، تصبح هذه الدراسة، وهذا التدريب بركة في عمله كله : في بيته، ووظيفته، وأصحابه، وأمه، والناس عامة .

وتمضي المرحلة الخامسة صحبة عمر في أفياء الإيمان وأندائه وجناه .

ومع ختام هذا الفصل نؤكد أن المنهاج الذاتي لا يتعارض مع أي دراسة أخرى منهجية، يمضي بها المؤمن في معهد أو مؤسسة ولكن كل دراسة تدعم الأخرى وتعينها، ولكل دراسة هدف ومنحى، والمؤمن يوازن ويختار حتى يبلغ الهدف الحقيقي من أي دراسة مشابهة، ألا وهو تدبر منهاج الله - قرآنا وسنة - إيمانا وعلمًا وممارسة في واقع الحياة، ممارسة إيمانية واعية، تستوعب الوسع والجهد، وتنهض إلى مستوى المسؤولية والأمانة.

ونؤكد كذلك أن الممارسة الإيمانية يجب أن تمتد في حياة المؤمن تطرق الميادين التي يفتحها منهاج الله كلها، ميادين ممارسة وبذل وعطاء وجهاد في سبيل الله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيقِ شَجَرِكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْإِيمِ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الصف: ١٠، ١١)

الفصل الرابع

مراجع المراحل الأربع الأولى

القائمة المبسطة

إننا لا نعني بقائمة المراجع هذه أنها هي المراجع الوحيدة الصالحة. فإذا اقترحنا للتلاوة مثلاً «الجلالين»، أو المصحف المفسر، أو مصحف الشروق، أو غيرها من طبعات المصحف الشريف، فلا يعني ذلك أننا نحصر التوصية بما نقترحه، فكل ما يعين على التلاوة بشروطها يمكن أن يعتمد عليه المسلم. وينطبق المبدأ ذاته على سائر المراجع. فكذلك إذا اقترحنا للتفسير «ابن كثير» فلا نعني أنه هو التفسير الوحيد الذي نوصي به. ولكننا نجتهد مع كل مرجع لنضرب مثلاً، ولنحقق الأهداف التالية:

١ - أن تكون قائمة مراجع المراحل الأربع الأولى أضيق ما يمكن، تسهياً على المسلم، حتى لا يقع هو نفسه في المراحل الأولى من التربية والبناء في حرج الاختيار.

ولذلك نقترح مرجعاً واحداً فقط أو مرجعين أحياناً. لا نعني بذلك تركية كتاب جيد على كتاب مكافئ له.

٢ - أن يخدم المرجع الأهداف المرجوة من كل عنصر، وفقرة، وبند، ومن كل مرحلة. فمصحف التلاوة يفضل أن يكون على هامشه تفسير للمفردات وأهم المعاني، مما يعين على التدبر والفهم أثناء التلاوة.

وفي التفسير مثلاً، نؤثر أن يعتمد التفسير قدر الإمكان على الآيات، والأحاديث، والأسباب التاريخية، وأن يقدم بعض الفوائد الفقهية الضرورية واللغوية، مبتعداً قدر الإمكان عن الخلافات التي لا تفيد في هذه المرحلة نقياً من «الإسرائيليات» بعيداً عن كل ما يعارض العقيدة والإيمان.

٣ - أن يكون مما جرى العرف على قبوله في تاريخ المسلمين، غير دافع لبدعة محرمة.

٤ - أن يكون سهل التناول، متوافراً.

ولابدّ من أن نشير هنا إلى أنّ هذا النهج المرحليّ الذي عرضناه يكشف لنا لونا من ألوان النقص في المكتبة الإسلامية. فعلى عظمة المكتبة الإسلامية فما زال هنالك نقص لم ينهض المختصون لمعالجته، ويمكن عرض أهم مظاهر النقص بشكل موجز في ما يلي:

١ - كتب مرحليّة في التفسير، تحقق أهدافاً إيمانية في كل مرحلة. وبذلك تصبح جهود المختصين في التفسير تصب كلها في نهج موحد مدروس، يعالج متطلبات الناشئة في أجيالها المختلفة، وفئات الأمة وعناصرها. فهذا النهج المرحليّ مازال يحتاج إلى جهود منسقة.

٢ - كتب منهجيّة مرحليّة في تقديم أحاديث رسول الله ﷺ، تخضع لخطّة ونهج، وتحقيق أهدافاً واضحة محددة في كل مرحلة. ولبلوغ ذلك لابد من تحديد النهج والأهداف أولاً. ويمكن الآن أن نحدد جزءاً من النهج والأهداف، على أن ينمو العمل ويتكامل في ظل رعاية مؤمنة قادرة. وأهم ملامح النهج والأهداف يمكن إيجازها بما يلي:

أ - تسهيل الدراسة المنظمة لأكبر عدد من أفراد الأمة.

ب - تحقيق معنى التناسق والتكامل في أحاديث رسول الله ﷺ، وتناسقها كذلك مع القرآن الكريم، ليكونا معاً المنهاج الربّانيّ المتكامل، الذي يشمل جوانب الحياة كلها وميادينها.

ج - تسهيل التناسق بين جهد الفرد في الأمة وسائر مؤسساتها وطاقاتها.

د - أن تساهم هذه الدراسة المنهجية المرحلية في تحقيق أهداف إيمانية ثابتة أو مرحلية.

هـ - توفير كتاب واحد يجمع الأحاديث الصحيحة والمعتمدة من كتب الصحاح والسنن والمسانيد، يعتمد عليه المسلم في دراسة الأحاديث في صورتها المتكاملة. وتصبح الصحاح والسنن والمسانيد مراجع رئيسية لكل مسلم.

وإذا كان علماؤنا السابقون قد خدموا السنة خدمات مؤمنة عبقرية، فإن واقعنا اليوم يكشف أنه مازال أمام علماء المسلمين المختصين ميدان واسع ممتدّ إلى يوم القيامة، لخدمة السنة والأحاديث الشريفة خدمة تتصل مع سابقاتها، ليقوم بناء متماسك شاق بإذن الله، فلكل عصر حاجته التي تتصل وتقوم على حاجة العصور السابقة دون أن تلغيها.

- ٣ - كتب منهجية في دراسة الواقع ، تخضع كذلك إلى منهج علمي إيماني مدروس ، يوفر للمؤمن فهم واقعه وواقع أمته وواقع الإنسان ، حتى لا يقع فريسة لفتنة ، أو ضحية لتكاسل وهوى . ولا بد كذلك من توافر النهج الواعي أولاً ، ولا بد من تنسيق الجهود .
- ٤ - كتب منهجية مرحلية تسهل دراسة أسس علوم مصطلح الحديث ، وعلوم القرآن وأصول الفقه ، حتى يسهل تعميم هذه الأسس على أكبر عدد من أفراد الأمة ، دون الدخول في خلافات هي من شأن العلماء المختصين . ولتكون هذه الدراسة سبباً معيناً في تنمية مواهب أمة ، ومتابعة جهود أجيال ، وإقامة بنيان مرصوص .
- ٥ - كتب منهجية مرحلية منقاة ومدققة في التاريخ الإسلامي ، لتناسب كل جيل وكل مرحلة . ومع توافر بعض الجهود ، فإننا نعتقد أن تاريخ المسلمين مازال يحتاج إلى تنقية وتمحيص ، تقوم بذلك كله قلوب مؤمنة عالمة مختصة . ولا بد من أن تهدف مثل هذه الكتب والدراسات إلى بعث الطمأنينة المؤمنة لما تحمل من معلومات في بيان أسس الدراسة ، ومصدر المعلومات ، ونهج التدقيق والتمحيص ، وتجنب العصبية والخلافات .

القائمة المبسطة

لمراجع المراحل الرابع الأولى

أولاً: مراجع دراسة المنهاج الرباني: القرآن الكريم، السنة النبوية، اللغة العربية:

١ - القرآن الكريم:

أ - التلاوة:

أ - ١. تفسير الشروق: ابن صمادح الأندلسي.

أ - ٢. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

أ - ٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي.

أ - ٤. التجويد الميسر. مع ثلاثة أشرطة: د. عبد العزيز القاري.

ب - التفسير والحفظ:

ب - ١. تفسير ابن كثير: أو (مختصره لمحمد علي الصابوني).

٢ - السنة النبوية:

٢ - ١. الأربعين حديث النووية: يحيى بن شرف الدين النووي.

٢ - ٢. رياض الصالحين: يحيى بن شرف الدين النووي.

٢ - ٣. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ: منصور علي

ناصر.

٢ - ٤. سبل السلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام): محمد بن اسماعيل

الصنعاني - (أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني).

٣ - اللغة العربية:

أ - قواعد اللغة في النحو والصرف:

أ - ١. مختصر قواعد اللغة العربية: فؤاد نعمة.

ب - علوم البلاغة :

ب - ١. البلاغة الواضحة : علي الجارم ومصطفى أمين .

ح - الأدب الإسلامي :

ح - ١. الأدب الإسلامي انسانيته وعالميته : د. عدنان علي رضا النحوي .

ح - ٢. دواوين مختارة للشعراء الإسلاميين .

ح - ٣. قصص مختارة للأدباء الإسلاميين .

ثانياً - مراجع دراسة الواقع :

١ - أهمية دراسة الواقع :

١ - ١. دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية : د. عدنان علي رضا النحوي .

(باب المنهاج الرباني ودراسة الواقع) .

٢ - دراسة طبيعة الإنسان :

٢ - ١. خطوط متقابلة في النفس البشرية : محمد قطب .

٢ - ٢. ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية (الباب السادس والباب السابع والباب

الثامن) د. عدنان علي رضا النحوي .

٣ - دراسة المجتمع والناس وقواعد التربية الإسلامية :

٣ - ١. دروس ونفوس : محمد توفيق سبع .

٣ - ٢. دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية : د. عدنان علي رضا النحوي .

٣ - ٣. منهج التربية الإسلامية : محمد قطب .

٣ - ٤. نحو تربية إسلامية حرة : أبو الحسن الندوي .

٣ - ٥. التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة : د. اسحق فرحان .

٤ - دراسة بلد إسلامي :

٤ - ١. سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية : محمود شاكر .

٥ - واقع العالم الإسلامي :

٥ - ١. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي .

- ٥ - ٢ . حصوننا مهددة من داخلها : د . محمد محمد حسين .
- ٥ - ٣ . قسّات العالم الإسلامي المعاصر : مصطفى مؤمن .
- ٥ - ٤ . جاهلية القرن العشرين : محمد قطب .
- ٥ - ٥ . حركات ومذاهب في ميزان الإسلام : فتحي يكن .
- ٥ - ٦ . مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب .
- ٥ - ٧ . دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية : د . عدنان علي رضا النحوي .

٦ - الحرب الدائرة على الإسلام :

- ٦ - ١ . الغارة على العالم الإسلامي : أ . ل شاتليه . ترجمة محب الدين الخطيب .
- ٦ - ٢ . المذاهب المعاصرة : د . عبد الرحمن عميرة .
- ٦ - ٣ . أساليب الغزو الفكري : علي أبو جريشه . محمد الزبيق .
- ٦ - ٤ . التبشير والاستعمار : د . مصطفى الخالدي . د . عمر فروخ .
- ٦ - ٥ . بروتوكولات حكماء صهيون : محمد خليفة التونسي .
- ٦ - ٦ . يهود الدونمة : د . محمد عمر .
- ٦ - ٧ . جذور البلاء : عبد الله التل .

٧ - الحركات المعادية للإسلام :

أ - القاديانية :

القاديانية : الندوي - المودودي - محمد الخضر حسين .

ب - البهائية :

حقيقة البابية والبهائية : د . محسن عبد الحميد .

ج - الماسونية :

أسرار الماسونية : جواد رفعت .

د - الصهيونية :

خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية : عبدالله التل .

هـ - الشيوعية :

المذاهب المعاصرة : د. عبدالرحمن عميرة .

و - النصرانية والتبشير :

التبشير والاستعمار : د. مصطفى الخالدي ، د. عمر فروخ .

ز - أديان ومذاهب أخرى :

أديان الهند الكبرى : د. أحمد شلبي .

يختار كتب أخرى في هذا الباب .

٨ - قضايا العالم الإسلامي :

أ - فلسطين :

تاريخ فلسطين القديم : ظفر الإسلام خان .

مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث : د. عبدالعزيز محمد عوض .

أعمدة الحكمة السبعة : لورانس .

مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني

حقائق عن قضية فلسطين : محمد أمين الحسيني .

جذور البلاء : عبد الله التل .

من تاريخ فلسطين : عزة دروزة .

الأفنى اليهودية في معاقل الإسلام : عبد الله التل .

السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين : شاكر رفيق التنشه

بروتوكولات حكماء صهيون : محمد خليفة التونسي

ب - لبنان وبلاد الشام عامة : .

الحرب الصليبية العاشرة : د. حلمي محمد القاعود .

حرب الألف سنة : جوناثان رندل .

ج - إيران :

إيران (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية) : محمود شاكر .

د - أفغانستان :

حدث في أفغانستان : فهمي هويدي .
أفغانستان والاحتياح الروسي : محمود المرداوي .

هـ - المسلمون في القارة الهندية وجنوب شرق آسيا :

المسلمون في الهند : أبو الحسن الندوي .
مأساة كشمير المسلمة : إحسان حقي .
الإسلام في أندونيسيا : محمد ضيا شهاب وعبدالله بن نوح .
سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية : محمود شاكر .

و - البلدان الإسلامية في أفريقيا :

الإسلام في أثيوبيا : زاهر رياض .
نيجيريا عملاق أفريقيا : سامي منصور .
قصة الثورة في السودان : مصطفى بكري .
أفريقيا بين التوحيد والتثليث : محمد أحمد مشهور .
سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية : محمود شاكر .

ز - الأقليات الإسلامية :

البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية : د . حسن صالح . د . محمد السيد غلاب .
محمود شاكر .

٩ - تاريخ الحركات الإسلامية :

أ - الوهابية :

آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب : د . أحمد محمد الضبيب .
الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ودعوته : أحمد بن ظامي بن علي .

ب - السنوسية :

الموسوعة الحركية : إشراف فتحي يكن .

ج - المهدية :

الموسوعة الحركية : إشراف فتحي يكن .

د - الإخوان المسلمون :

الإخوان المسلمون رؤية من الداخل : محمود عبدالحليم .

هـ - حزب التحرير الإسلامي :

الموسوعة الحركية : إشراف فتحي يكن .

الفكر الإسلامي المعاصر : غازي التوبة .

و - الحركة الإسلامية في تركيا :

الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا : مصطفى محمد .

ز - الجماعة الإسلامية في باكستان .

الموسوعة الحركية : إشراف فتحي يكن .

ح - ندوة العلماء في الهند :

ندوة العلماء تواجه التحدي الكبير : محمد الحسيني سعيد الأعظمي .

ط - الحركة الإسلامية في أندونيسيا :

حزب ماشومي في أندونيسيا الموسوعة الحركية : بإشراف فتحي يكن .

ي - الدعوة الإسلامية العامة .

١٠ - السياسة الدولية :

١٠ - ١ - الأحلاف والتكتلات في السياسة الدولية : د . محمد شكري .

١٠ - ٢ - القوى الخفية التي تحكم العالم : جان مينو .

١٠ - ٣ - حكومة العالم الخفية : شيريب بيريدوفتش .

١٠ - ٤ - أحجار على رقعة الشطرنج : وليم غاري كار .

١٠ - ٥ - السياسة والسياسة الدولية : سميح عاطف الزين .

ثالثاً: مراجع دراسة فقه الدعوة:

- ١ - سبل السلام: محمد بن اسماعيل الصنعاني.
- ٢ - النقد الذاتي للحركة الإسلامية: د. خالص جلبي.
- ٣ - نحو حركة إسلامية موحدة: فتحي يكن.
- ٤ - دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية: د. عدنان علي رضا النحوي.
- ٥ - لقاء المؤمنين الجزء الأول والجزء الثاني: د. عدنان علي رضا النحوي.
- ٦ - ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية: د. عدنان علي رضا النحوي.
- ٧ - الشورى لا الديمقراطية: د. عدنان علي رضا النحوي.
- ٨ - منهج المؤمن بين العلم والتطبيق: د. عدنان علي رضا النحوي.

رابعاً: مراجع العلوم المساعدة:

- ١ - السيرة النبوية:
 - ١ - ١ - سيرة ابن هشام أو: (مختصره - عبدالسلام هارون).
- ٢ - حياة الصحابة والتابعين:
 - ١ - ٢ - صور من حياة الصحابة: د. عبدالرحمن رأفت الباشا.
 - ٢ - ٢ - حياة الصحابة: الكندهلوي
 - ٢ - ٣ - صور من حياة التابعين: د. عبدالرحمن رأفت الباشا.
- ٣ - التاريخ الإسلامي:
 - ٣ - ١ - تاريخ الأمم الإسلامية: محمد الخضري.
 - ٣ - ٢ - التاريخ الإسلامي: د. حسن ابراهيم حسن.
 - ٣ - ٣ - سلسلة التاريخ الإسلامي: محمود شاكر.
- ٤ - علوم القرآن:
 - ٤ - ١ - لمحات في علوم القرآن: د. محمد بن لطفي الصباغ.
 - ٤ - ٢ - علوم القرآن: مناع القطان.

٥ - علوم الحديث :

- ٥ - ١ - لمحات في أصول الحديث : د. محمد أديب الصالح .
٥ - ٢ - الحديث النبوي مصطلحه - بلاغته - كتبه : د. محمد بن لطفي الصباغ .

٦ - أصول الفقه :

الواضح في أصول الفقه للمبتدئين : محمد الأشقر .

الباب الثاني
الأهداف والمراحل

الفصل الأول

أهداف المنهاج الذاتي

والتربية الإيمانية

المنهاج الذاتي له أهداف يسعى إلى تحقيقها. ولكن أهدافه لا تخرج عن أهداف التربية والبناء في الإسلام. فالمنهاج الذاتي يمثل جزءاً من نظام عام في التربية والبناء، حين يضع المسلم نفسه أمام مسؤوليته، لينهض لها، ويفزع إلى ميدان العلم والتربية والبناء، وليحمل قسطاً من واجب، ويؤدي قسطاً من أمانة، دون أن يقعد ينتظر ويلهو، ويتمنى على الله الأمانى.

ويهدف المنهاج الفردي أو الذاتي إلى غايات محددة نوجزها بما يلي:

١ - توحيد أسس التصور والفكر:

وبتحقيق هذا الهدف نغلق منافذ كثيرة يدخل منها الشيطان، ونسد أبواباً كثيرة من أبواب الفتنة، حين يصبح منهاج الله هو أساس العقيدة والتصور، والإيمان والتوحيد، والفكر والرأي. ويصبح منهاج الله والواقع هما أساس النهج والتخطيط، والتربية والبناء، والممارسة والبذل.

٢ - الاستجابة إلى الله ورسوله:

حين نعود بمصادرنا إلى منابعها الأصلية نحقق معنى من معاني العبادة، وصورة من صور القيام بالأمانة. فإن دراسة منهاج الله نداء من عند الله، وتوجيه من رسوله، ونصوص من قرآن وسنة.

٣ - تيسير العلم والبناء، والتربية والتكوين ومواءمة ظروف المؤمنين المختلفة:

فمن المؤمنين من يقيم في بلد مسلم، ومنهم من يضرب في الأرض طلباً للعلم، فيبلغ أمريكا، أو أوروبا، أو غيرها من بقاع الأرض. ولكن ترحاله هذا لا يُسقط عنه واجبات الإيمان، وتكاليف الدين. فلا بد من أن يكون مع المؤمن نهج يوائم واقعه، وخطة تناسب وسعه، حتى يمضي في دراسة منهاج الله، دون أن يقعده الهوى والأمانى. والمناهج الذاتي يحقق ذلك.

٤ - وضع الأسس التربوية للقاء المؤمنين:

ذلك لأن التربية في الإسلام تهدف إلى جمع المؤمنين في صف مرصوص واحد. وهذا الجمع يفرض أن تتناسق أسس البناء، وقواعد التربية، والخطوط العامة للنهج والتخطيط. وهذا ما يركز عليه المنهج الذاتي.

٥ - تنمية الإيمان:

لابد من أسس عملية تساعد على تغذية الإيمان وتنميته. والإيمان أساساً هو في فطرة الإنسان، والهداية من عند الله. ولكن الله سبحانه وتعالى وفر لعباده ما يحفظ عليهم إيمانهم إذا لم يغلبهم هواهم، ويسر لهم ما يزيد هداهم إذا استجابوا للدواعي الإيمان ونداء الرحمن. ومن أهم ما يسره الله لعباده، رحمة بهم، هو منهاج الله - قرآناً وسنة - فمنهاج الله يحفظ الإيمان ويغذيه، لمن أراد الله له الهداية. والعمل الصالح كذلك يجلب الرحمة، ويغذي الإيمان. ولقد سبق تفصيل ذلك في أكثر من موقف.

٦ - العلم وتنميته:

إن المنهج الفردي أو الذاتي يقدم للمسلم بعد الإيمان علماً. إنه لا يقدم «الثقافة» أولاً. ولقد سبق أن تحدثنا عن كلمتي العلم والثقافة وأصبح لكل منهما معنى مميز محدد. والعلم عرفه الإسلام، عرفه منهاج الله. وأساس العلم هو منهاج الله قرآناً وسنة.

فهو هدف المنهج الذاتي هو تقديم هذا العلم. إن هذا العلم ضروري لتغذية الإيمان وقواعده، ووضوح العقيدة والتوحيد من ناحية، ولاستقامة العمل الصالح وسلامته من

ناحية أخرى. ويدخل في باب العلم ما يحتاجه المسلم لدراسة الواقع دراسة من خلال منهاج الله، لا تظل قيد الظنون والتخمين.

ولقد سبق أن فصلنا في هذا في أكثر من موضع مما يُغني عن الإعادة هنا. ولكننا نشير هنا إلى هدف وغاية.

٧ - رعاية القدرات والمواهب:

لن تخلو أمة الإسلام من مواهبها. والمنهاج الذاتي يرمى المواهب وينميها، على نفس الأسس التي تقوم عليها رعاية التربية والبناء في الإسلام. فإذا مضت المراحل كلها على نهج واع، فإن المواهب تكون قد أخذت بالبروز أو تكون قد برزت وتميزت، وأصبح من حق هذه المواهب على الأمة كلها أن تنال ما تحتاج إليه وما تستحقه من الرعاية والبناء وإن المواهب هي ثروة الأمة الحقيقية، ومصدر قوتها، ونبع عطائها. وإن الأعداء يبلعون من الأمة مقتلاً حين يقتلون مواهبها، أو حين يدفنونها أو يخنقونها. ولكن الحسرة تكون أشد، والدمة أغزر حين يطوي بعض المسلمين المواهب، ويخنقون القدرات، ويضيّقون الوسع. إن مواهب الأمة باب من أبواب الأمل، ومنفذ من منافذ الرجاء، ولكنها مهما عظمت فلن تكون كذلك إلا إذا رعاها الإسلام، ونماها الإسلام، ورواها الإسلام. وبدون ذلك قد تنقلب الموهبة إلى فتنة وشر، وداهية وبلاء.

الموهبة هبة من الله. فهي نعمة أو ابتلاء وفتنة. هي نعمة حين تمضي في طاعة الله، قوة لدينه وإعلاء لكلمته. وهي فتنة إذا ضلت فتاهت، فتبددت في ظلام شديد.

والموهبة لا يجلوها إلا الإيمان، ولا يرهاها إلا الإسلام. فهي في فطرة الإنسان، يضعها الله في من يشاء من عباده. والإيمان في فطرة كل إنسان، والإسلام دين الفطرة، والإنسان يولد على الفطرة. فالفطرة هي بستان الموهبة وروضها، والإيمان هو ربُّها وغذاؤها.

رجل ذكي متوقد التفكير في مقاييس الناس، يضع طاقته تلك في تدبير مكر، وتدوير فساد، ودفع جريمة، ونهب وغصب وقتل. فهي طاقة مبددة في شر، مضیعة في فتنة. ورجل ذكي الفؤاد، متوقد التفكير في مقاييس الناس، يضع موهبته في تدبير إصلاح، وإتمام صلح، ومنع جريمة، وصدق وإحسان، وجلب نصر لأمته، ونشر كلمة حق. يحول في ميدان سلاح أو ميدان كلمة، أو ميدان فكر، فهو حيثما جال صدق واثقى، وأبدع وأحسن. فهذه هي الموهبة، أما تلك فشر وفتنة وفساد.

الموهبة غرسة إسلام ونبته إيمان، وعطاء يقين ودفق إحسان، وقوة كريم ووثبة وفي. وفي كل حال هي أولاً وقبل كل شيء هبة من عند الله.

وقد تظهر الموهبة قبل هذه المرحلة، ذلك أن الموهبة موجودة في فطرة صاحبها، تبحث عن منفذ وانطلاق. والموهبة تجاهد حتى تحمي نفسها، وتشق طريقها. ولا تموت الموهبة حتى يموت صاحبها، ولكنها تهدأ وتكمن، وتخبو وتنزوي، تحت مطارق الظلم والعدوان، والقسوة والحرمان. ما أشقى الأمة التي تدفن مواهبها تحت ركام الحسد والتناجش، والحقْد والتباغض، والفتنة والإجرام.

٨ - التدريب من خلال العلم والممارسة :

لا نهدف من المنهاج الذاتي إلى مجرد الدراسة أو الثقافة، أو حتى مجرد العلم. إن الذي نهدف إليه، كما يتضح من مراحل المنهاج الذاتي، ومن ترتيب عناصره، ومن شرح نظريته، هو الانتقال بالمسلم إلى مرحلة الممارسة الواعية والتطبيق الأمين.

قد يجد المسلم، حين ينال قسطاً من التدريب، يسراً في دراسة منهاج الله وتدبره. فقد يسره الله سبحانه وتعالى للذكر. فهو ميسرٌ بإذن الله على قلوب المؤمنين، ويزداد اليسر مع نمو الإيمان وزيادته. ولكن الممارسة قد يجد فيها المسلم بعض الصعوبة، لأنها تحتاج بطبيعة الحال إلى معاناة أشد. والدراسة نفسها باب من أبواب الممارسة الإيمانية، وباب من أبواب الذكر. ونوضح ما نرمي إليه بمثل. فعندما يقرأ المسلم قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .
(البقرة: ٢٦١).

عندما يقرأ المسلم هذه الآية الكريمة يفهمها، ويفهمها كل المسلمين الذين يعرفون العربية. وإن وجدوا معاناة فإنها لن تكون بقدر المعاناة التي يجدها بعض الناس في ممارسة هذه الآية. وتتعدد أسباب المعاناة في الممارسة في واقع الحياة. فهناك معاناة ناتجة عن طبيعة الشح :

﴿... وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ...﴾ .
(النساء: ١٢٨).

وهناك معاناة في معرفة كَيْفِيَّة الإنفاق، لمن، ومن هو أولى، ومتى، وكيف؟ كل هذه الأمور تُنشئ معاناة أشد من معاناة الفهم والدراسة.

وتزداد المعاناة حين تتطلب الممارسة بدلاً أوسع يبلغ حد الجود في النفس في قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾.
(التوبة: ١١١).

فهنا تبلغ المعاناة ذروتها في ممارسة الجهاد، لا يهونها إلا إيمان عظيم، ويقين بالله كبير، وفرحة بالجنة، وبشرى بقاء الله.

نخلص من هذا كله إلى أن حقيقة الذي نهدف إليه هو ممارسة إيمانية، تقوم على علم بمنهاج الله وعلم بالواقع. هذه الممارسة الإيمانية هي التي نفهمها من كلمة «العمل الصالح، عملوا الصالحات...» في كتاب الله. فالعمل الصالح يتطلب شرطين:

إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، وهذه تتطلب نمو الإيمان وصفاءه ثم مطابقة العمل لمنهاج الله، وهذه تتطلب العلم بمنهاج الله ونموه.

والإيمان يدعو إلى العلم بمنهاج الله، والعلم بمنهاج الله يغذي الإيمان وينميه لمن أراد الله له الهداية والنجاة:

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقْوَاهُمْ﴾.
(محمد: ١٧)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾.
(يونس: ٩).

من هنا كانت أهمية التدريب على سلامة الممارسة الإيمانية. إن أهمية التدريب تفرض أن يكون التدريب جزءاً لا ينفصل عن قواعد التربية والبناء، والإعداد والتوجيه.

إننا لا نتحدث هنا عن تفاصيل التدريب، ولكننا نشير إلى نقاط سريعة. فالتدريب يتطلب أولاً القدوة والمثل، ثم يتطلب المراقبة والإشراف، ثم يتطلب المعالجة والتوجيه. ولقد كان هذا كله سمة بارزة في مدرسة النبوة يقوم عليها التدريب. لقد كان التدريب منهجياً يقوم على قواعد وأسس، وفيه بمتطلبات الواقع، وطبيعة الإنسان، واختلاف الوسع والطاقة.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ، وعلم آدم الأسماء كلها ، وجعل في طبيعة بني آدم القدرة على التعلم والتدريب . إن أهون الأعمال وأشقها في حياة الإنسان يحتاج إلى أن يتدرب الإنسان عليه . ويتفاوت الناس في قدرتهم على التعلم وفي قدرتهم على التدرب .

فلقد علم الرسول ﷺ المسلمين قواعد الإسلام نصوصاً تتلى ، وعملاً يؤديه أمامهم ليقتدوا به ، ومراقبة وإشرافاً ، وتوجيهاً ومعالجة . لقد علم المسلمين قواعد الحج ، ثم قال لهم في الحج : « لتأخذوا مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه » .

رواه مسلم ^(١) والنسائي

فكان القدوة والمثل . ثم أشرف وراقب ، وأجاب ، ووجه ، وعالج ونصح ، وسدد وقوم .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : « حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْآخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، قَالُوا فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلِ » . أخرجه أحمد ^(٢) .

إنه علم وعمل ، وقاعدة وتطبيق ، وقدوة ومثل ، وإشراف وتوجيه ، ونصح ومعالجة .

وفي الحديث الشريف عن النبي في صلاته مثل واضح على أسلوب التدريب هذا ، حيث يكون التوجيه والمعالجة ، والشرح والأناة ، والقدوة والعمل .

وكان التدريب في مدرسة النبوة يشمل جميع ميادين الحياة دون استثناء . الرمي وسائر أبواب الفروسية ، وركوب الخيل وأبواب القتال ، والتجارة وسائر أبواب السعي ، والسياسة ، والاجتماع ، والذوق الاجتماعي ، وغير ذلك .

ومن خصائص التدريب المراقبة والإشراف والنظر والمحاسبة والنصح والتذكير . والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى في السموات والأرض ، يخاطب نبيه ورسوله محمداً ﷺ في كتابه العزيز :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج (١٥) . باب إستحباب رمي جمره العقبة . . . (٥١) حديث رقم (١٢٩٧) .

(٢) الفتح الرباني : كتاب فضائل القرآن وتفسيره وأسباب نزوله (٥٥) . باب مجاء في قراءة القرآن بأجر . . . جـ (١٨) ص (٩) .

شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا عَزَبَ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ (يونس : ٦١)

فهذه هي رأس المراقبة وأعلاها . فالله سبحانه وتعالى هو الرقيب على رسوله وعلى عباده جميعهم . وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بأن يُراقبوا أنفسهم وينظروا ما قدموا لغد :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . (الحشر : ١٨)

ويمضي التوجيه الرباني حين يأمر الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه محمداً ﷺ بأن يصبر نفسه مع المؤمنين ، وبأن لا تغيب عيناه عنهم ، ولا يترك نصحتهم وتبليغهم ، وتدريبهم ومراقبتهم ، من أجل زينة من الدنيا :

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . (الكهف : ٢٨)

والمراقبة ليست مراقبة جبار ، ولا مراقبة إيذاء . ولكنها مراقبة بناء وتوجيه ، ونصح وتذكير :

﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . (الذاريات : ٥٥)

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ .

(ق : ٤٥)

إنه تذكير بالقرآن الكريم ، ليس بسواه ، إنه تذكير بمنهاج الله ، لتلين القلوب وتخضع .

﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ . إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ . (الغاشية : ٢١ - ٢٤) :

ولقد مر معنا في أكثر من موضع حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري عن النبي ﷺ عن النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وتمضي المراقبة والتذكير في حياة الأمة المسلمة على امتدادها العظيم الذي رأيناه ، امتداداً يحمل الخشية من الله والخشوع له ، وهو يراقب كل حركة من عباده وخلقه ، وهو يرى عبده ورسوله . وكذلك تحمل النصح والتوجيه والبناء والرعاية من الرسول ﷺ ، وتحمل الحنان

والتربية، والجمع والإعداد. ثم إذا هي نصيحة عامة بين المسلمين، وصدق وإخلاص، وعلم وفطنة، ودراية وخبرة.

ويمتد التذكير والمراقبة حتى يراقب المؤمن نفسه، مراقبة متصلة مع كل ما سبق، مراقبة محاسبة:

عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

رواه الترمذي وقال حديث حسن^(١) وابن ماجه

وُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا».

رواه الترمذي^(٢)

وُروى عن ميمون بن مهران قال: «لا يكون العبد تقيًا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه».

رواه الترمذي^(٣)

وهكذا نرى امتداد المحاسبة والمراقبة، والتذكير والنصح في حياة الأمة المسلمة، ونرى تناسق وترابط قواعدها فيما بينها، وفيما بينها وبين غيرها من قواعد الإيمان.

٩ - حماية الروابط الإيمانية وتنميتها :

إن عناصر المنهاج الذاتي تقدّم مع العلم الذي تحمله حماية لروابط الإيمان، وتغذية لها. إن روابط الإيمان تنبع من عقيدة، وترتبط بتوحيد، وتمتد في نهج.

إن روابط الإيمان هي الروابط الحقيقية الوحيدة النابعة من احترام واع للإنسانية البشر، ولأصلهم الواحد. إن الروابط بين الناس في عقائد أخرى تقوم على شطط أو ضيق، وعلى مصالح تنسع أو تضيق، وعلى شهوات ورغبات. أما في الإسلام فإنها تنشأ من حقائق وعقيدة وإيمان:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

(الحجرات: ١٣).

(٣، ٢، ١) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة (٣٨) باب (٢٥) حديث رقم (٢٤٥٩).

وكان مما خطب به رسول الله ﷺ الناس في حجة الوداع أنه قال: «أيها الناس إن ربكم واحد وأبائكم واحد. لأفضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحر، ولا لأحر على أسود إلا بالتقوى، أبلغت؟». رواه الإمام أحمد^(١).

وتقوم روابط الإيمان على أسس نوجزها بما يلي:

- أ - الناس كلهم من آدم وخُلِقَتْ منه زوجة، وخُلِقَتْ منهما ذريتهما. وآدم من تراب.
- ب - كان الناس أمة واحدة. ثم اختلفوا. لذلك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وجعل الله الناس شعوباً وقبائل لتتعارف، فيكون ميزان التكريم هو التقوى وحدها.
- ج - أصبح المؤمنون في الأرض أمة واحدة من دون الناس، بعضهم أولياء بعض، تربطهم أخوة الإيمان.
- د - الأسرة نواة الأمة. وتحدد العلاقات بين أعضاء الأسرة بالتفصيل في منهاج الله، وتحدد الواجبات والمسئوليات.
- هـ - رابطة الجوار في المجتمع المؤمن، هي رابطة إيمان، تنشأ عنها حقوق وواجبات، وكذلك الصحبة المؤمنة في السفر والعمل وسائر ميادين الحياة.
- و - الأرحام رابطة إيمانية، جعلها الله في منزلتها الكريمة.
- ز - إن جميع هذه الروابط يقوّي بعضها بعضاً، على تناسق وتكامل، دون أن يتحوّل شيء منها إلى عصبية جاهلية.
- ح - لا تتحقّق تنمية هذه الروابط الإيمانية، وحماتها إلا على أساس من صدق الإيمان وصدق العلم، وصدق العزيمة. كما عرضنا سابقاً.

لقد استعرضنا هذه الأهداف أو بعضاً منها في كتابنا دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية: الباب الرابع - الفصل الثاني. لقد عرضناها هناك لنبرز دور المنهاج الرباني في تحديد النهج كله، القواعد والأسس، والأهداف والمدى، وغير ذلك. لقد كانت الغاية هناك إبراز دور المنهاج ذاته. إننا هنا نعيد العرض لنبرز الأهداف ذاتها في مسيرة الدعوة. والهدف والغاية هنا هو التركيز على أهمية هذه الأهداف، لتنهض الطاقات المؤمنة العاملة المدربة. فتضع الدراسات المنهجية المفصلة، ليظلّ العمل نامياً متطوراً، غنياً قوياً. فإذا

(١) الفتح الرباني: كتاب الحج والعمرة (١٠) باب الخطبة اوسط أيام التشريق (٤) جـ ١٢ ص ٢٢٦.

تخلّفت الدعوة عن ذلك، فالعجز في طاقتها البشريّة، في إيمانها، في علمها، في وعيها، فيها نفسها، ليس في غيرها. فلاتلّم إلا نفسها، حتى تؤوب وتستقيم.

١٠ - المساهمة في بناء الأمة :

إن بناء المسلمين في صف مرصوص على هذه الروابط، في لقاء واحد، هو لقاء المؤمنين، يحمل الخصائص الإيمانيّة، كما يعرضها منهاج الله، لتقوم منها في الأرض أمة الإسلام، أمة واحدة، تعبد رباً واحداً.

إنّ هذا البناء هو ميدان واسع للموهبة المؤمنة، لتمارس إيمانها وعقيدتها، في تحقيق هذه الروابط، وتنسيق هذه القوى، في مجرى واحد من الخير والنور. إننا نحتاج هنا إلى خصائص الإدارة، النامية المتطورة على أساس منهاج الله، لتصح مسيرة اللقاء، وتكون أمة الإسلام أمة واحدة، تعبد رباً واحداً.

من أجل هذا البناء، يجب التنزّه من العصبية الجاهليّة، المغلفة بشعارات محبّة للنفوس، مدغدة للعواطف، تجمع الناس إلى حين، ثم يتفرّقون هوى وجهلاً. إن الإيمان الصافي، النقي الطاهر، والعلم المتمكّن، والموهبة النامية، تستطيع أن تفعل الكثير في أقسى الظروف. وإن الضربة قد توجه للمسلمين من خلال: إيمان ضعيف، أو علم خفيف، أو جهل، أو هوى، أو أن تكون القدرات في غير موضعها. فيعجز الرجل عن أمانته، ويبرّر عجزه بإخفاء ضعفه، واتهام غيره. فيؤذي نفسه، ويؤذي المسلمين، جارياً وراء هواه، يحمل أثقال الجهل، والأنانيّة، والمصالح الشخصية. فيحطم دعوة، ويفجّر فتنة، ويمزق قوى، ويدمر أمة.

إن جمع القوى على ضلال وفتنة، قد يكون أخطر من تفرّق القوى المسلمة المضطربة. إن الصفاء والطهارة، والوضوح، والصدق والأمانة، وسائر ماسبق أن عرضناه، شرط أساسي لبركة اللقاء وخير الجمع. إن لقاء المؤمنين هو لقاء صدق مع صدق، وطهر مع طهر، وعلم مع علم، وإيمان مع إيمان، وجلاء مع جلاء. . . . وقوة مع قوة.

١١ - الإدارة والنظام، والنهج والتخطيط :

إنّ من أهداف التربية الإيمانيّة، إعداد الموهبة الإدارية، والطاقة المنظّمة، والقدرة المنسّقة. إنّ من أبرز ميادين التنافس في حياة الأمم، في التاريخ الطويل، هو التنظيم. إنّ

التنظيم ذاته، ثم نموه وتطوره، كان مجال جهد بشري عظيم، في مختلف ميادين الحياة. فالنظام ليس قاعدة عسكرية لا تصلح إلا في الجيش الذي يقف جنوده صفاً مرصوصاً، وحركة متناسقة وأوقاتاً محددة، وعملاً معيناً، لا. ! إن النظام وممارسته ضرورة أساسية لحياة الإنسان. وهي ضرورة في كل ميدان من ميادين نشاطه. ومن هنا كانت الإدارة والتنظيم هدفاً بارزاً من أهداف التربية الإيمانية. وتتضح لنا الصور العظيمة لنظرة الإسلام في التنظيم في العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج. فكل واحدة من هذه العبادات، تجمع الأمة على نظام مقرر، وقواعد محكمة. وفي الناحية العسكرية تجد القرآن الكريم يصف المؤمنين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾. ولقد نظم الإسلام في قواعده العامة، كل نواحي حياة الفرد والأمة. نظم طعامه وشرابه ولباسه، ونظم مأواه وسكنه، ونظم أسرته، ونظم العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، ونظم علاقة الجوار وأدب السير والتحية، وإعطاء الطريق حقّه مما لا نستطيع أن نتابعه هنا، ولكن التنظيم امتد بقواعده العامة حتى شمل كل حياة الأمة، من أدقّ شئونها، إلى أعظم أمورها. ثم ترك للمؤمنين، بعد ذلك، مهمة تنمية ممارسة النظام على أساس الواقع النامي، والحاجة المتجددة.

واليوم، ننظر في واقعنا، فترى أن روح النظام تكاد تختفي، وأن مهمة الإنسان المؤمن كأنها جمدت أو توقفت عن متابعة النمو والاستجابة لحاجات الواقع المتجددة. إن الإنسان ليعجب حين يرى المؤمنين صفوفاً مرصوصاً في المساجد على نظام محدد، وحين يراهم يصومون أمة واحدة على قواعد ثابتة، ويحجون ملايين على مناسك متتابعة، ومع ذلك كله اضطرب النظام في البيت والشارع، وهنا وهناك. وفي نفس الوقت، نرى في ديار الغرب والشرق نظاماً ملحوظاً في معظم شئونهم الدنيوية. إذا نزلت المطار، أو جئت عبر الحدود، أو راجعت دائرة أو شركة، أو فندقاً أو متنزهاً، تجد في معظم الأحيان نظاماً يتبعه الطفل والفتى والشيخ. إنهم يُدربون على ذلك كله منذ طفولتهم، كما يُدربون على الانحلال والفساد. يُدربون منذ نعومة أظفارهم على هذا وذاك، وتتعهدهم وسائل المجتمع كلها في ذلك كله: البيت، المدرسة، وسائر المعاهد العلمية، ووسائل الإعلام.

إننا اليوم بحاجة إلى النظام، إلى سلامة الإدارة في كل شئون حياتنا، حتى يستبدل الموظف في دائرته بسمة مشرقة بعبوسه المكفهر، حتى يتذكر حديث رسول الله ﷺ: «عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ

بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماتتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة».^(١) رواه الترمذي

إننا بحاجة إلى النظام حتى تصبح الآيات والأحاديث ممارسة إيمانية وعملاً صالحاً، يدفع النظام بركتها وإشراقها في حياة الأمة، على جدٍّ وعزيمة. إننا بحاجة ماسة إلى خير الإدارة المؤمنة الواعية، والنظام الإيماني العادل، يقوم هذا كله على الإيمان والمنهاج الرباني: نمواً وتطوراً، وبشرى وتيسيراً، وعزة وفرحة، وقوة وتمكيناً.

ونحن بحاجة إلى دفع عجلة النظام والإدارة في حياتنا، بكل ما نستطيع من جهد، في معركتنا الدائرة في أرض الإسلام، والتي لا تكاد تهدأ. إننا نسابق الزمن، إننا بحاجة إلى أن نكسب كل ثانية، لنحقق دُنُوًّا أسرع إلى السلامة والنَّجاة، ثم النصر والعزة. إنَّ النظام يختصر لنا الوقت، ويقتصر الدرب، ويقرب الهدف. إنَّ ما نتجه في شهر بدون نظام نستطيع أن نتجه بأيام مع حسن الإدارة ودقة النظام.

إننا بحاجة إلى أن نستفيد من كل جهد وطاقة مثمرة. والنظام يجمع الجهد، وينسق الخطأ، لتشقّ درباً واحداً يرسمه الإيمان، دون أن تتبعثر في تيه وظلام، ثم تطوى لا تترك أثراً ولا ثمراً.

إن التربية الإيمانية تقوم على الإيمان والعلم، كما عرضنا سابقاً، وعلى سائر الأهداف التي عدناها. فإذا لم يحقق الإيمان والعلم في نفوسنا حبَّ النظام والتعاون، فهناك خلل في أنفسنا نحن، وليس في ما تعلمناه فلنراجع أنفسنا، ولنحاسبها. والمحاسبة من أول أبواب الإيمان والعهد مع الله، والجهد والجهاد في سبيل الله.

إن الإسلام، منهاج ربّاني، دين الرسل والأنبياء كلهم، يحمل معه الدعوة إلى مكارم الأخلاق: من صدق، وعدم غيبة أو نميمة أو سوء ظنٍّ، وتجرد وصدق نية، والبعد عن الحسد والتناجش والظلم والافتراء، . . . إلى غير ذلك مما أرسى قواعده الإسلام من مكارم الأخلاق. وإنَّ مكارم الأخلاق نفسها قاعدة عظيمة من قواعد النظام المتماسك والإدارة السليمة والتعاون المنشق.

(١) سنن الترمذي. كتاب البر والصلة (٢٨). باب ما جاء في صنائع المعروف (٣٦). حديث رقم

(١٩٥٦).

إنَّ الإدارة والنظام أساس من أُسس الشورى، أساس يحفظ حسن ممارستها، وسلامة نتائجها. فمن النظام أن يعرف المؤمن حدوده، وميدان ما يعنيه، ومستوى قدرته، ومنازل الناس، حتى يستطيع أن يدلي برأى، أو يقدم نصيحة.

التربية الإيمانية عمل عظيم في حياة الإنسان، وتطلُّ أهدافه العظيمة النظيفة تتجدد في حياة الأمة العاملة، الأمة المؤمنة، الأمة المجاهدة. والمنهاج الذاتي هو جزء من التربية الإيمانية، يساهم في تحقيق أهدافها.

التربية الإيمانية، بهذه الأهداف المتجددة، تقود لقاء المؤمنين، إلى منارة مشرقة، وهدف من الأهداف الثابتة التي سبق عرضها، على طريق ممتد إلى الهدف الأكبر. . . . الجنة. والمنهاج الذاتي يهدف إلى ذلك ويساهم في تحقيقه.

إن التربية الإيمانية بكل وسائلها ومناهجها، حين تنضم إليها الدعوة بكل وسائلها ومناهجها، تدفع لقاء المؤمنين، لتصوغ له الجيل المؤمن، والطاقة المؤمنة، والموهبة المؤمنة، بكل خصائصها الربانية فإن تحققت هذه الخصائص فذاك، وإن لم تتحقق فلننظر في أنفسنا لعل الهزيمة كانت من أننا أصبنا من الكذب، والظلم والافتراء، والغش والخديعة، وقطع الروابط والصلات الإيمانية، ونبد العهود والركون إلى جهل طاغ، وظلم باغ، وتنافس الدنيا، وفتنة الظن والغيبة والنميمة، وموالة عدو ونبد صديق. فلننظر في أنفسنا وكم أظننا الله وكم عصيناه دون أن نتدعنا المظاهر، مهما حملت من زخرف، أو تفتتنا الأهواء مهما حملت من شهوة.

إن الله حق، عادل، حكيم، خير، يعلم ما تخفي الصدور. ومن ظن أنه يخدع الله فإنما هو يخدع نفسه. والعاقبة للمتقين، والعزة لهذا الدين.

١٢ - بناء الرأي العام المؤمن :

إن الرأي العام هو خلاصة لبنات يتكون منها المجتمع والأمة. إنه القوة التي تحمي الأمة وعقيدتها وأرضها وثرواتها. إن الرأي العام ينتج عن حركة من هذا المسلم وذاك.

الأمة هي لقاء المؤمنين في حمى عقيدة ودين. ومن هذا اللقاء تتكون قواعد وحصون، وأسس وقلاع، كلها تقوم على أساس من العقيدة. والأمة كلها، أفراداً وجماعة، يستندون على هذه الأسس، ويحتمون في هذه القلاع. ولقاء المؤمن بالمؤمن تظلمه الملائكة ويباركه الله

وتحميه جنود الرحمن . فلقاء المؤمنين الصادقين هو حاجة الإنسان أينما كان . وهو حاجة العصور ومطلب الكبير والصغير . إنه رحمة الله بعباده ، حين يتصل هذا اللقاء بحقيقة الحياة نوراً للناس ، وصدقاً للبشرية .

إن لقاء المؤمنين لا يمضي معزولاً عن الحياة ، منقطعاً عن الناس . فالناس منه ، وهو منهم . والرأي العام جزء من كيانه ، وجمعه ، وإعلامه ، وقوته . ولكن لقاء المؤمنين ينهض لبيني الرأي العام المؤمن ، بكلمته الصادقة ورأيه الأمين ، ومواقفه الواضحة ، ونهجه المشرق ، وسلوكه الذي يطابق ما يدعو إليه . ثم يساهم الإعلام المؤمن في توجيه الرأي العام ، ليظل في جوه المشرق ، الواضح الجلي . ليظل بعيداً عن زوايا العناكب ، وهمسة الظلام .

«الرأي العام المؤمن» هدف من أهداف لقاء المؤمنين . إن بذل الجهد لبنائه واجب وأمانة ، وضرورة وحاجة . ذلك حتى نغلق أبواب التجار المفلسين ، والمخادعين المضللين ، ونطوي الإشاعة الكاذبة فتدفن في أرضها وتجلو الحق بنور اليقين .

«الرأي العام المؤمن» لا تعيش فيه الظنون والأوهام ، ولا هو يعيش معها . إنه يبحث عن الحق في وضوح النهار . إنه «رأي عام» لا تعيش فيه الغيبة والنميمة ، والافتراء والظلم ، والكذب والغش . إن جميع ما يحمله الإسلام من بركة في أساليب الدعوة ومناهجها ، ووسائلها وعدتها ، وكذلك ما يحمله من نور في أهداف التربية والبناء ، هذا كله - يهدف بصورة أو بأخرى إلى أن يصوغ الرأي العام النظيف ، الرأي العام المؤمن .

إن قصة حديث الإفك تبرز لنا بقوة عظمة البناء الذي بناه الرسول ﷺ ، حين ثبت المؤمنون في نور واطمئنان ويقين ، إلا النفر القليل ، أمام إشاعة وفتنة ، وظلم وعدوان . ولقد عرضنا ذلك في كتابنا «ملاحم الشورى في الدعوة الإسلامية» . وتبرز لنا هذه القصة أهمية الرأي العام ، وخطورة تضليله وخداعه ، ووسائل بنائه وحمايته .

إن صياغة الرأي العام هي مسئولية لقاء المؤمنين . إنها مهمة العقيدة والإيمان والمنهاج الرباني الذي يملأ القلوب والصدور علماً ونوراً ، المنهاج الرباني الذي لا ينحصر في طبقة أو فئة ، المنهاج الرباني الذي يحكم أمة ، ويصوغ أمة ، ويصنع الرأي العام المؤمن . ثم إنها مهمة الكلمة الصادقة ، والموقف الصادق ، والجهد الصادق ، والجنود الصادقين ، والنهج الصادق . ثم إنها مهمة الوسائل والعدة التي تقودها الطاقات المؤمنة ، وتوجهها الموهبة العاملة . ثم إنها ثمرة الجهد والبذل ، والسعي والعمل ، دون ملل أو كلل ، والأبصار معلقة في الجنة .

١٣ - الإعلام الإيماني :

إن لقاء المؤمنين يحتاج إلى إعلام إيماني قوي، يعرض للناس، للبشرية كلها: منهاج الله، وعظمة ممارسته، في الواقع المؤمن. يعرض هذا، ويدعوا إليه، ليساهم في إنقاذ البشرية من الضلال والوهم، والدنس والوحل، والعتمة والظلمة، والخوف والقلق، والمرض والفساد، والجوع والعطش، والظلم والعدوان. إن الإعلام المؤمن نور يمتد في الأرض ليفتح العيون فتبصر، ويفتح القلوب فتخبت.

والإعلام الإيماني يساهم في عرض القضية وحلها. ويظل مع الإنسان، صاحباً رشيداً، وناصحاً أميناً، وفكراً معيناً. ولقد كان للعرب في الجاهلية أسواق كسوق عكاظ وسوق مجاز وغيرهما. وكان لهم مواسم عبادة ومواسم تجارة، فاتخذ الرسول ﷺ من هذه الأسواق والمواسم منابر دعوة، وصوت إعلان، ووسيلة بيان.

ولقد كان للبلاغة أثر آسر في النفوس، ونبضة قوية في القلوب. وكان الشعر والخطابة بابين واسعين للإعلام في الجاهلية. فجاء الإسلام وحول الإعلام إلى إعلام إيماني وفتح أبوابه: شعراً، وخطابة، ورسائل، وأدباً، يُدوي في الأرض كلها. وكان أبلغ ذلك كله وحي السماء، قرآنًا يتنزل، فيهرز القبائل هزاً، وتمتد آياته على الألسنة والقلوب. وكذلك أحاديث شريفة، لا يعلو بيان أحد من الناس عليها، وقد أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم وأصبح ذلك كله بلاغاً وبياناً وإعلاماً. وامتدت وسائل الإعلام مع امتداد الإسلام.

واليوم يملك الأعداء أقوى وسائل الإعلام في الأرض. يستفيدون من جميع الوسائل التي قدّمته الحضارة المادية، من خلال غيوبة المسلمين، وغيابهم، من خلال سُبّاتهم وأحلامهم.

لذلك يُصبح الإعلام هدفاً في حياة المؤمنين، وقوة في يد العاملين، إذا صدقوا الله ما وعده. ويظل الأدب كله، شعراً ونثراً، وسيلة من وسائل الدعوة والإعلام. والأدب قوة في الأمم كلها، وكذلك في العرب. لقد استفاد الإسلام من قوة الأدب وأثره في النفوس استفادة واسعة كما ذكرنا. وستظل هذه الاستفادة قائمة. وإننا نرى اليهود وهم يحاولون إحياء لغتهم، وبعث أدبهم، ونراهم لا يستعملون إلا لغتهم في كثير من المحافل الدولية، والمواقف العالمية، ونراهم يرفعون من شأن الأدب، ويدفعون مسيرته، على ضعف زادهم...

ولقاء المؤمنين، يسعى بنهجه ووعيه، إلى دفع الإعلام الإسلامي دفعة إيمان، ويغذيه بتتاج الموهبة.

١٤ - دفع أدب الإيمان، أدب الإسلام وتنميته :

إن أهداف المنهاج الذاتي في البناء والتربية لا تقف عند حد تربية الفرد المؤمن . فالمؤمن يلتقي المؤمن، وصف المؤمنين ينمو، والمؤمنون أمة واحدة .

ولابد لهذه الأمة من أدبها . إنه أدب الإيمان والعقيدة، إنه أدب الإسلام .

ولابد للأمة من هذا الأدب ليكون صورة بيان، وصوت إعلام، وقوة لقاء، وجمال صدق، وطهر تعبير. إن الأمة الإسلامية يجب أن تنهض بأدبها إلى مستواه العالمي، إلى مستواه الإنساني، ليخاطب الأمم كلها، والعصور كلها.

والأدب الإسلامي قوة من قوى الإعلام ووسيلة من وسائله وقوة من قوى الدعوة ووسيلة من وسائلها، وباب من أبواب الجهاد والجلاد. وقد سبق الحديث عن الأدب الإسلامي في الفصل الثالث من الباب الأول.

الفصل الثاني

مراحل التربية والبناء

لا تمثل مراحل المنهاج الفرديّ أو الذاتيّ التي سبق ذكرها في الفصل الثالث من الباب الأول ، جميع مراحل التربية والبناء والإعداد والتكوين . إنها تمثل مراحل في جهد المسلم وهويّني نفسه ، وبذلك يساهم في بناء غيره وأُمته ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

إن مؤسسات متعددة تعمل في الأمة في سبيل البناء والتربية والإعداد والتكوين . فالمعاهد في مختلف مراحلها تمثل لوناً من ألوان هذه المؤسسات ، ومراكز الإعلام تمثل لوناً آخر ، والمؤسسات الاجتماعية تمثل لوناً ثالثاً .

فالأساس إذن أن يكون هنالك نظرية عامة ، وقواعد مقررة ، يقوم عليها نشاط جميع الميادين والمؤسسات في الأمة ، حتى تتناسق الجهود وتتحد ، وتتعاون القوى وتتكامل ، وتمضي مسيرة الأمة نامية متطورة ، في جميع أوجه الحياة وساحات النشاط .

ومن ناحية أخرى فإن مجتمعنا الإسلاميّ اليوم يشمل ، بامتداده العالميّ الواسع ، نماذج من الأفراد متباينة في قدراتها ومواهبها ، وعلمها وثقافتها ، ونشاطها ، وعزمها ، وكذلك يشمل أفراداً متباينين في قهرهم أو بعدهم عن حقائق الإسلام وقواعده . هذه نظرة سريعة في الواقع لا نستطيع أن ننكرها ، ولا نستطيع أن نتجاهلها .

ومهمة الجهود المؤمنة مهمة الدعاة ، مهمة الدراسات والأبحاث ، أن تقدّم الإسلام والإيمان للناس جميعاً ، للنماذج جميعاً ، حتى يقوى الضعيف ويشدّ عوده ، وحتى يدنو القريب ويطيب قلبه . وكم من ضعيف نما واشتد حتى جاوز من عرفته قوياً ، وكم من بعيد دنا حتى كان أرحم وأدنى وأكثر حناناً .

«إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن» ، وإن الله يهدي من يشاء ، ويرفع من يشاء ، ويدني ويبعد على حكمة غالبية ، وعلم وعدل ورحمة .

ولكن مهمة الإنسان أن يبلغ ويدعو ويتعهد ، والله يقدر ما يشاء ، له الأمر وحده .

ومهمة الإنسان ومسئوليته تتركز في أن يتقن عمله، حتى يستوعب عمله إيمانه وعلمه، وخبرته وجهده. فيضع على أساس من ذلك خطة ونهجاً حتى تُساعد الخطة ويعين النهج في أداء المهمة والأمانة وإتقانها.

ويمكن بصورة عامة أن نتصور التربية والبناء جزءاً من عمل الدعوة وأن نتصور المنهاج الذاتي جزءاً من التربية والبناء، أو مرحلة من مراحلها. ومن هذا التصور نستطيع أن نضع مهمة البناء والتربية، أو بعض مراحل الدعوة في ثلاث دوائر:

الدراسة والتخطيط الاعداد والتوجيه العلم والتدريب

فلا بد من مرحلة تتم فيها الدراسة وتوضع فيها خطة العمل، حتى يكون العمل عملاً منهجياً لا يفقد الطاقة في جهد تائه، ولا يتبدد في فلاة واسعة.

ولابد من مرحلة إعداد وتجهيز، وتوجيه ودفع، حتى تتوافر القوى العاملة، والنفسيّة الراضية، والإمكانات الضرورية.

ثم يفرغ ذلك كله في تنفيذ وإجراء، وجهد مصبوب، وسعي ومعاناة، في بذل علم وإقامة تدريب.

وعندما يكون المسلم في الميدان، في المجتمع، يرى من خلال حركته ونشاطه نماذج الأفراد فيه. إنه يرى نماذج الإنسان، وهي تقدم الخطوط الكبرى لطبيعة الإنسان في خصائص التلاقي والتشابه وخصائص الافتراق والتباين. ولكنها كلها تمثل الخطوط العامة في طبيعة الإنسان. وفي الوقت نفسه يرى نماذج من الناس، يمثل كل نموذج منها جوانب متميزة غالبية، حتى كأن كل إنسان نموذج خاص.

من دراسة هذه النماذج أو من التعرف عليها، يدرك المسلم أهمية فهمها ودراستها في ميدان التربية والبناء. ويدرك كذلك أهمية هذه الدراسة والفهم في تحديد الأسلوب لهذا النموذج أو ذاك. ويبدأ مع هذا تصور العمل المنهجي، العمل المرحلي، حين تصبح كل

مرحلة تمهد للمرحلة التي تليها، على نهج واضح، ودرب مستقيم، وطريق ممتد إلى أهداف محدّدة مشرقة.

ومن هذا التصور تنبثق المراحل التي نعيشها في عملية التربية والبناء، والإعداد والتوجيه، حتى تقودنا هذه المراحل إلى المنهاج الذاتي، المنهاج الذي يتطلب قسطاً من الاعتماد على النفس، وقسطاً من الوعي والإدراك وقسطاً من القوة والوضوح. ويمكن أن نوجز هذه المراحل كما يلي:

١ - المرحلة الأولى: الدراسة والتخطيط.

وفي هذه المرحلة يدرس المسلم جميع الجوانب التي تساعد على اختيار أسلوب التربية والبناء، والدعوة والتكوين. يدرس البيئة والمجتمع، ويدرس الأفراد والنماذج.

حين يتعهد المسلم إنساناً في هذه المرحلة، وهو يهدف إلى أن يبلغه دعوة الله، أو يُدنيه من سلامة الفهم والممارسة، فلا بد من دراسة هذا الإنسان دراسة واعية إيمانية، تساعد على اختيار أطيب ما يناسب، وأكرم ما يُقرب، وأنقى ما يصلح.

ولا يستطيع المسلم أن يحقق ذلك إلا بجهود واع مؤمن، ونية خالصة لله سبحانه وتعالى، وعلم دقيق متين. لا بد من دراسة الإنسان دراسة تستوعب الجهد والعلم، وتبرز على صورة إيمانية دقيقة. ومثل هذه الدراسة تجتمع إلى دراسة أخرى، حتى تنمو هذه الدراسات فتقدم للمسلمين علماً جليلاً، وثروة عظيمة. فهي تضم الجهد للجهد، والخبرة للخبرة، والعلم للعلم، حتى يتحول هذا كله إلى زاد ينقله جيل إلى جيل. فيظل جهد المؤمنين نامياً، لا يبدأ مع كل محاولة من نقطة الصفر. وإنما يجد الجيل الواحد جهود الأجيال السابقة مرتبة منسقة في خدمته، لبني عليها ثم يمضي، دون أن يهدم جيل جهد جيل سابق، فيمضي النماء، ويعلو البناء.

ومن أجل ذلك لا بد من أن يكون هنالك تعارف أمين واضح، تعارف بين المسلم ومن يتعهده، تعارف يقرب النفوس، ويؤلف بين القلوب، وينشئ الودّ والاحترام، والثقة والتعاون.

وكأن المرحلة هي مرحلة تعارف وتآلف، كما هي مرحلة دراسة وتخطيط. والمسلم محاسب بين يدي الله سبحانه وتعالى على ما يقدم لغيره من علم وما يبلغه من دين. ومحاسب على

مستوى الجدة والعزيمة، وعلى طهارة الأسلوب وصدقه. إن المسلم محاسب على ذلك كله بين يدي الله. فهو أعجز من أن يصدق في هذا كله إذا لم يكن هو يتعهد نفسه محاسبة وتذكيراً، ودراسة وعلماً، وممارسة ونصحاً.

فالمسلم، حين يتعهد غيره من خلق الله، يجب أن يظلّ يتعهد نفسه، ويراجع أسلوبه، ويمتصّ عمله، حتى يصدق ويفوز عند الله.

في هذا الجو الطاهر المشرق تتعارف النفوس على أظهر ما يتعارف عليه إنسان مع إنسان. وفي هذا الجو الكريم تتألف القلوب على حقائق لا على ظنون، وعلى يقين لا على وهم، وعلى واجبات لا على أمان.

فيعرف المسلم من يدعوه معرفة إيمان لا معرفة شيطان، معرفة تقدّم الخير وتنفي الأذى، وتبني الصدق والجهد.

ويدور التعارف بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وغيرهم، على أسس تنشئ التعارف حقيقة لا وهماً، تنشئ التعارف الذي يقيم التفاهم وينفي الظنّ، على أساس من حقائق وصدق، وتقوى وإيمان.

فدراسة المعدن والفضة، ودراسة المواهب والقدرات، ودراسة الروابط ومدى التزامها بالإيمان، ومعرفة السيرة والحياة، وغير ذلك من الأمور الذاتية التي تعين على خير، وتقرب إلى طاعة، وتجمع النفوس، كل ذلك يحدد الأسلوب ويمهد لدرب مشرق في الحياة، وطاعة وإنابة، وصدق وإخبات.

٢ - المرحلة الثانية : البلاغ والإيمان.

إن الرعاية والتعهد، والبناء والتكوين يقتضي بلاغ الرسالة وبيان الدعوة. ولكن ذلك يجب أن يكون على أسلوب استقرّ في المرحلة الأولى، حتى يدخل الإيمان إلى النفوس بإذن خالقها، فهو هاديا، ﴿يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء﴾.

ويمكن أن نوجز الأمر هنا بإحدى حالات ثلاث. فإما أنك تدعو رجلاً إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين، تدعوه دعوة واضحة إلى الإسلام الذي لم يكن يعرفه أو يدين به. وإما أنك تعلم مسلماً جاهلاً، أو متفلتاً، أو غير ذلك، وإما أنك تدعو مسلماً يلتزم بجانب ويقصر بجانب فتتصح له، وتذكر وتعين.

ومدار حديثنا هنا هو الحالة الثالثة . ونخصها بالذكر هنا لأنها يمكن أن تفيد في الحالتين الآخرين .

ففي هذه الحالة نتعهد رجلاً مسلماً يعلن إسلامه ، ويقيم الشعائر كلها أو يقصر فيها أو في بعضها ، قليل العلم ، مضطرب التصور ، حائر النظرة .

فيكون أهم القضايا هنا هو الإيمان ، الإيمان كما أراده الله سبحانه وتعالى ، لا كما تتوهمه بعض النفوس . ولتوضيح الأمر نبين الخطوات التالية لتكون معينة ومساعدة في هذه المرحلة .

أ - تقديم حقيقة الإيمان وأسس العقيدة من خلال آيات كريمة وأحاديث شريفة ، لتكون هي مصدر العلم والمعرفة ، والتصور والتدبر . ويقدم المسلم في هذه المرحلة خصائص الإيمان وصفاته من خلال المنهاج الرباني آيات وأحاديث لتقوم سلوكاً وتصحيح نهجاً .

ب - تقديم معنى التوحيد وأأسسه من خلال آيات وأحاديث من خلال المنهاج الرباني ، ليقدم المنهاج الرباني التصور الكامل للتوحيد فتدرس آيات وأحاديث لتبين وحدانية الله سبحانه وتعالى ، ولتفهم من خلال الآيات والأحاديث فهماً يحرك العقل والتصور ، والفكر والشعور لمن يريد الله له الهداية . وآيات وأحاديث أخرى تعرض أسماء الله الحسنى وصفات الله سبحانه وتعالى ، لتقدم الآيات والأحاديث أوسع صورة وأدقها لدلالات أسماء الله الحسنى ، دون أن يدخلها تأويل بشري يعارض قواعد الإيمان . وهنا تصبح الآيات والأحاديث تفسر الآيات وتمد من ظلالها . ويتسع النور ويمتد في قلب المؤمن كلما ازداد ارتباطه بالآيات والأحاديث . وآيات وأحاديث أخرى تقدم نموذجاً لآيات الله في الحياة والكون ، ولسننه ومشيتته ، ونرى مثل ذلك من آيات الله في خلق الإنسان ، والسماء والأرض ، والنبات والزرع ، والحيوان وغيرها من المخلوقات ، تجتمع كلها ، أو نماذج منها لتقدم أدق معاني التوحيد ، وأوسع تصور له . ومن خلال ذلك نرى أن كل آية تضيف ظلاً جديداً . ومع امتداد الآيات يصبح التصور أدق وأعمق وأوسع ، ويدخل في شغاف القلب ، وأحشاء الصدر .

بهذا يرتبط الإيمان والتوحيد في قلب المسلم بالآيات والأحاديث ارتباط عقيدة ، حتى كأنها تجري في دمه خيراً ، وتموج في صدره نوراً .

ج - تقديم معنى الولاء من خلال الآيات والأحاديث ، وربط ذلك في واقع حياة الإنسان مع العوامل التي قد تؤثر في اضطرابه ، ذلك كله من خلال تصور قرآني متكامل .

د - تقديم معنى العهد كذلك من خلال المنهاج الربانيّ، وتوضيح العهد الأول الأساسي بين الله والإنسان، ليكون هذا العهد أساس عهود الإنسان في حياته، وتوضيح سبيل ممارسته في الواقع كذلك.

هـ - التصور العام للحياة والكون من خلال منهاج الله، يتلقاه المسلم آيات وأحاديث كذلك، حتى ينمو هذا التصور في قلبه ونفسه كلما امتدّت الآيات والأحاديث.

و - معالجة ما يكون قد نشأ عليه من عادات أو أفكار تخالف أسس الإسلام. وتكون المعالجة كذلك من خلال آيات وأحاديث. والخطوات الثلاث السابقة تساهم في هذه الخطوة نفسها. ولكن هذه الخطوة تطرق الانحراف مباشرة لتعالجه. ومن أهم القضايا التي يجب معالجتها: الولاء لله سبحانه وتعالى، إخلاص النية، تكامل الممارسة الإيمانية، وغير ذلك من القضايا التي تثور مع هذا الفرد. وقد لا تثور مع ذاك.

ز - أهمية دور المنهاج الرباني - قرآنا وسُنّة - في بناء العقيدة والتصور، والنهج والتخطيط، والسلوك والممارسة.

ح - أهمية دراسة الواقع من خلال منهاج الله في سبيل سلامة الممارسة الإيمانية.

ط - متابعة الدراسة والتخطيط، وبناء النهج النامي القويّ.

٣ - المرحلة الثالثة: التدريب والإعداد.

وتهدف هذه المرحلة إلى ترغيب الشباب المسلمين على دراسة منهاج الله، وتوجيهه إلى قلوبهم، وتيسيره إلى نفوسهم.

وأدنى أسلوب نقترحه هو اختيار نماذج من القرآن الكريم يتدرّب المسلم على تلاوتها، ونماذج يتدرّب على دراستها، ونماذج يتدرّب على حفظها.

ويمكن للمؤمن أن يتعهّد نفسه في هذه المرحلة، ويثابر عليها بثقة واطمئنان، حتى يزين الله له في قلبه الإقبال على منهاج الله. ويمكن للمؤمن كذلك أن يتعهد غيره وينصح له، ويمكن لسائر المؤسسات الإيمانية والمعاهد العلمية أن تأخذ من هذه القواعد والمراحل ما تراه يناسب حالة أو واقعا، أو يعين في تحقيق هدف إيمانيّ.

هذه المرحلة تهدف أساساً إلى إعداد المؤمن لمصاحبة المنهاج الذاتي مصاحبة عمر وحياة، وتدبر ووعي . ولكنها في الوقت نفسه تكون امتداداً للمرحلتين السابقتين .

فهي امتداد للدراسة والتخطيط، حيث تستمر الدراسة، وينمو النهج، ويقوى الفهم والتعارف، ويصدق الودّ في جو صافٍ طاهر نقيّ . تمتد مرحلة الألفة والودّ في نور متدفّق، وصحبة حانية، وكلمة طيبة، وتنمو النصيحة بعيداً عن تتبع العيوب والعورات .

وفي هذه المرحلة يمتد البلاغ والبيان، والتوحيد والإيمان، نوراً يشرق من منهاج الله، فيغسل النفوس والصدور والأضلاع . ويظل الإيمان ينمو والنهج ينمو من خلال الجهد البشريّ المؤمن، بإذن الله وعلى ما يقدره الله سبحانه وتعالى .

٤ - المرحلة الرابعة : المنهاج الذاتي :

هنا يمكن أن يبدأ المؤمن في مرحلة من مراحل المنهاج الذاتي، على صحبة دائمة لمنهاج الله، ودراسة ووعي للواقع، وانطلاق في العمل الصالح والممارسة الإيمانية .

في هذه المرحلة يكون المؤمن قد نال قسطاً من التدريب والتوجيه والإعداد وعسى أن يكون قد حُبّب الله إليه مصاحبة منهاج الله، وعرف أهميتها ودورها، وبادر لفهم الواقع مبادرة ذاتية واعية، مبادرة مؤمنة ترجو الله واليوم الآخر .

هنا تبدأ مصاحبة المنهاج الذاتي مصاحبة واعية على أساس من المرحلة الأولى من مراحل المنهاج الذاتي، أو على أساس أي مرحلة يصوغها المؤمن لنفسه على ضوء واقعه من عناصر وفقرات وبنود المنهاج الذاتي .

ويمكن إيجاز أهداف هذه المرحلة بالنقاط التالية :

- ١ - متابعة أهداف المرحلة الأولى وتنميتها .
- ٢ - متابعة أهداف المرحلة الثانية وتنميتها .
- ٣ - متابعة التدريب والإعداد ومتابعة أهدافه .
- ٤ - دراسة الأبواب التالية دراسة موسعة : النية، الإيمان، الولاء، العهد، الروابط الإيمانية، وربط ذلك كله بالواقع .
- ٥ - دراسة الشعائر واتقان ممارستها فقهاً وتطبيقاً وخشوعاً .
- ٦ - دراسة موجزة لمهمة المنهاج الرباني ودوره .

- ٧ - دراسة موجزة لأهمية دراسة الواقع .
- ٨ - اتقان أحكام التجويد وتلاوة كتاب الله ، والتدرب على قواعد الدراسة والتدبر ، والحفظ والتدبر ، على أساس منهجي .
- ٩ - استكمال التصور الإيماني للعناصر الأساسية للمناهج الذاتي : المنهج الرباني ، الواقع ، الممارسة الإيمانية .
- ١٠ - استكمال التصور الإيماني لسائر عناصر المنهج الذاتي : فقه الدعوة ، العلوم المساعدة ، مع جميع فقرات المنهج الذاتي وبنوده .
- ويمكن أن تستفيد هذه المرحلة من المرحلة الأولى من مراحل المنهج الذاتي ، أو من المرحلة الثانية ، أو من كليهما ، أو من أي مرحلة من مراحل المنهج الذاتي ، على ضوء الواقع والوسع والإمكانات .
- يجب أن نؤكد هنا أن التربية والبناء ، والإعداد والتكوين أمر هام ، يحتاج إلى جد وجهد وبذل . كما يحتاج إلى وعي وعلم وخبرة ، وإلى كفاءة ومقدرة .

٥ - المرحلة الخامسة : مرحلة التزام المنهج الذاتي صحة عمر .

في هذه المرحلة يكون قد استوعب المنهج الذاتي نظرية وفكرة ، وتدريب على ممارسته : عناصر وفقرات وبنوداً ، واستوعب ارتباط ذلك كله بمنهج الله .

لذلك يصبح المؤمن في هذه المرحلة قادراً على أن يضع مناهجه الذاتي خاضعاً للشروط التي تدرب عليها ، ليكون مناهجه هذا صحة عمره ورفقة حياته .

يمضي المؤمن في هذه المرحلة على نور يمتد معه عمره كله ، وبركة تحوط أيامه ، وخير ينتشر في أعماله .

إنه على خير ما صدق الله إيماناً ونيةً وجهداً . لا يرجو الأجر إلا من عند الله .

يمضي المؤمن وهو موقن أن هذا النور يمتد معه كله ، ما صدق الله ، ويمتد معه في قبره ما أخلص النية والعمل ، ويسعى به إلى الجنة إن كتب الله له النجاة والفوز .

﴿ ... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴾ . (المطففين : ٢٦) .

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ . (الصافات : ٦١) .

الباب الثالث موضوعات عامة

الفصل الأول

منازل المؤمنين بين

أحقوق والواجبات

عندما يساهم المنهج الذاتي في بناء الفرد المؤمن، فإنه يساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في لقاء المؤمن مع المؤمن، وفي بناء الأمة. ويمضي المؤمن مع منهاجه الفردي، كما رأينا، يمارس إيمانه وعلمه من اللحظة الأولى. يمارس ذلك في مجتمعه وفي أمته. ويمارس ذلك بين أهله وعشيرته، ويمارس ذلك بين المؤمنين.

وعندما يمارس المؤمن إيمانه وعلمه بين المؤمنين يكون أول ما يجب عليه هو أن يعرف مكانه ومكان غيره، ومنزله ومنزلة غيره، وحقوقه وواجباته، وحقوق وواجبات غيره.

ولم أر خطراً يهدد سلامة المؤمنين أشد من أن تضع المنازل، وتختلط الحدود، وتتطاول الأعناق، وتتزاحم الأكتاف، في أمواج التحاسد والتناجش والتباغض والغيرة والجهل، حتى يطمع الكثيرون في ما ليس لهم، ويثب الطامعون إلى أبعد من حدودهم، وأوسع من طاقتهم، وأعلى من أقدارهم، أو تموت المواهب التي لا تجد مكاناً لها.

إن هذا الخطر يشعل الفتنة بعد الفتنة، وينشر الظلام فوق الظلام، وتتآكل الأمة في ذاتها، وتهلك من داخلها، وتضيع قدراتها، وتموت مواهبها، وتصبح بعد ذلك فريسة سهلة لكل عدو طامع، أو غاز مستبجح، أو متآمر معتد.

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يكون عباده المؤمنون صفًا واحدًا، صفًا كالبنين المرصوصين. وإن الله سبحانه وتعالى يعلم أن المؤمنين لا يستطيعون أن يحملوا الأمانة، ويسيروا على الدرب، ويبلغوا هدفًا، وهم أحزاب تتآكل وقوى تتصارع. لذلك أمر الله عباده المؤمنين أن يكونوا صفًا كالبنين المرصوصين، حتى يستطيعوا أن يمضوا في عبادة صادقة، ودعوة ماضية، وجهاد مورق، ونصر كريم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ .
(الصف: ٤).

هذا ما يحبه الله ، وهذا ما يريد به ويأمر به . ولقد جاءت الآيات السابقة لهذه الآية في سورة الصف تكشف في تعبير عام ما يعطل هذه القاعدة في حياة المؤمنين وما يخلخلها :
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .
(الصف: ٢ ، ٣).

إن هذا التعبير القرآني الجامع : «لم تقولون ما لا تفعلون» ، ضَمَّ في ثناياه جميع الأسباب التي تهمز الصفَّ المؤمن المرصوص . إن جمال القول من الناس وبراعته يترك تأثيره العظيم في النفوس ، وفي النفوس المؤمنة بصورة خاصة . ذلك لأنها تتلقى الكلام الطيب والقول الكريم بصدر سليم ، وقلب مفتوح ، وتصديق أكيد ، وظنَّ حسن . فإذا قصرَّ الفعلُ عن الشُّعار أو على الأصحَّ ، إذا خالف القولُ الفعلُ فإن الخديعة كبيرة ، والإثم عظيم ، وكان مقت الله لذلك مقْتاً كبيراً .

إن المخالفة بين القول والعمل شرٌّ عظيم . وهو شرٌّ في الدنيا وشرٌّ في الآخرة . وحديث رسول الله ﷺ يبين لنا هول هذا الأمر :

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه ، ولا أقول لأحد يكون عليّ أميراً إنه خير الناس ، بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أفتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية» .

رواه مسلم^(١)

وهكذا جاء القرآن الكريم والحديث الشريف يعرضان هذه القضية على هذا النحو من القوة والتصوير ، والبيان والإيضاح ، والتحذير والإنذار . إنه مقتٌ كبير عند الله ، وإنه عذاب

(١) «صحيح مسلم : كتاب الزهد والرفائق - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله . . .» حديث رقم (٢٩٨٩) .

شديد في النار يوم القيامة. ولولا أنه خطر عظيم وشر كبير لم يأت التعبير على هذا النحو من التحذير والتنفير، على قوة وعنف وشدة.

وهذه المخالفة بين القول والعمل تصدر في أغلب الأحيان عن أناس أخذوا مكاناً أعلى من قدرهم، وجازوا مسافات أبعد من حدودهم، وحملوا أكثر من وسعهم. فدفعتهم مكانتهم إلى بهرج القول وزخرفته، يستترون بعده وراء أسوار وحجب تمنعهم من حساب أو عتاب، ومحكمة أو عقاب. ثم قصّرت بهم همتهم وهبط وسعهم، فلم يبلغوا ما قالوا، أو غرتهم أحلامهم فخالفوا ما ذكروا. وقد يكون الدافع إلى المخالفة بين القول والعمل أسباباً أخرى غير ما ذكرنا، ولكن هذا السبب هو الأعم الأغلب، وهو يطوي معه سائر الأسباب إن وجدت.

هذا المرض الخطير ينتشر بين الناس كثيراً، ويزينه الشيطان للناس حتى يقعوا فيه. وقد جعل الله سبحانه وتعالى الشرّ والفجور في طبيعة الإنسان إذا انحرفت عن جادة الإيمان، واتبعت الشيطان:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧، ٨).

فالنفس أمانة بالسوء إلا من رحمه الله واعتصم بالإيمان، واستقام على الحق:

﴿... إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(يوسف: ٥٣).

إنه من الفجور، وإنه من السوء. ولكن الإيمان يعصم، ورحمة الله تصون. ولا يترك الإسلام الإنسان لفجوره ولا لشره وسوئه. ولكنه يهيء له كل أسباب النجاة والعلاج، والاستقامة والفوز، وهذه هي من رحمة الله سبحانه وتعالى. ومن خلال ما يهيئه الإيمان من أبواب السلامة ومنافذ النجاة، من خلال ذلك يبتدىء الابتلاء الذي خلّق الإنسان له، وكتبه الله عليه، وجعله سنة من سننه التي لا تبدّل في الحياة الدنيا:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

(الكهف: ٧).

وعلى أساس من نتيجة الابتلاء يتمايز الناس عند الله درجات ومنازل. ومع الابتلاء تظل دائماً رحمة الله واسعة، ومغفرته ممتدة، وعدله ماضياً، فهو العليم الحكيم.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أن بعث محمداً ﷺ معلماً للناس كافة، ومرتباً. وأنزل منهاج الحق - قرآناً وسنة - ليرشد الإنسان، وينير له طريق الخير، ويحمي فطرته، ويرعى نفسه، ويوجه طاقته، ويهيئ للفرد والجماعة والأمة، وللبرية كلها، من أسباب التربية والبناء والإعداد والتكوين، ما يعالج الطباع والنفوس، ويدفع الخطر والفتنة، لمن آمن وصدق، وتاب وأناب.

ويعالج الإسلام هذه القضية، قضية منازل المؤمنين حين تتحدد على أساس من حقوق وواجبات، ووسع وطاقة. يعالج الإسلام هذه القضية كما يعالج سواها من القضايا، علاجاً مرتبطاً بكل أجزائه بالعقيدة والإيمان. بالتوحيد وإشراقته. وترتبط القضايا كلها، مع ارتباطها بالعقيدة، بمنهاج رباني واحد متكامل متناسق.

وحين نعرض ما ندركه من منهاج الله في معالجة هذه القضية، فإننا نعرض قبسات، ونشير إلى أسس، فمنهاج الله وحده هو الذي يعرض الصورة الكاملة المتناسقة. وإننا نعرض كذلك موجزاً، فكل قاعدة نعرضها تحتاج إلى بحث مستقل مفصل، يجمع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، مما لا يتسع المجال له هنا في هذه الكلمة.

ونعرض هنا أربع قواعد من قواعد الإسلام، بسطها منهاج الله لمعالجة هذه القضية، ليأخذ بها الدعاة ورجال التربية، والعلماء والسلطان. ولكننا نؤكد ثانية هنا أن هذه القواعد لا تؤخذ وحدها، ولا يؤخذ بعضها، منعزلة عن منهاج الله، ولكنها تؤخذ مع تكاملها وتناسقها في منهاج الله الحق - قرآناً وسنة -، منهاج الله الذي يؤخذ كله نهج حياة للبشرية كلها.

١ - معالجة النفس البشرية :

لقد تحدث منهاج الله بتفصيل عن طبيعة الإنسان وخصائصه، وكشف عن نواحي ضعفها وقوتها. ولقد جعل الله في فطرة الإنسان خصائص يتشابه فيها الناس جميعاً، وخصائص أخرى هي مدار التباين والتمايز. فخصائص التشابه والتماثل تبتدىء من الأصل الواحد، إلى الخلق، إلى التوالد والتكاثر، إلى الشكل العام والهئية، إلى صفات مميزة في الفطرة: محب للخير، على تقوى وفجور، هلوع، جزوع، منوع، إلا المصلين، عجول، ضعيف، شحيح، يحب الجدل، ونفسه أمارة بالسوء، يفرح للخير، يئأس في الشر، فيه

نسيان، وفيه رغبات وشهوات، ولقد كرم الله الإنسان، وجعله قادراً على العلم. والإنسان خطأ، يميل إلى الغيبة والنميمة وسوء الظن. ولكن الإيمان والشعائر والعلم بمنهاج الله، والتربية الإيمانية تخفف من الشرور وسقطات الضعف، وسعير الشهوات والرغبات.

أما خصائص التباين فمنها: اختلاف الأجال والرزق، والاختلاف في الوسع والقدرات، وتفاوت الدرجات، وتباين في الطبائع، وفي امتداد سمات الضعف وعلامات القوة وسورات الشهوة^(١).

هذه الطبيعة البشرية، وقد بسط منهاج الله خصائصها، يضع القواعد لمعالجتها وتهذيبها، وبنائها وإعدادها. ونشير إلى بعض وسائل معالجة النفس البشرية:

١ - أ - الإيمان بجميع معانيه وقواعده وظلاله، والعلم بمنهاج الله:

فالإيمان يهب النفوس الأمن والقوة، ويخفف من حمى الشهوات والغرور والكبر، ويوفر للإنسان كوابح تعمل فيه وتظل تردّه إلى حدوده، وإلى ساحات الخير. ونكتفي هنا بهذه الإشارة السريعة لهذا العامل، لأنه هو أساس جميع العوامل، وهو قاعدة سائر الوسائل، وهو مدار الآيات والأحاديث. ونربط العلم هنا بالإيمان. ذلك أن العلم يضعف عن أن يكون وسيلة معالجة إذا انفصل عن الإيمان. أما حين يقوم العلم على الإيمان، فعسى أن يزداد الإيمان بالعلم لمن يشاء الله له ذلك، فيشرق العلم بالإيمان ويمتد فضله وشرفه.

١ - ب - معالجة النفس من شرورها وفجورها بقواعد مباشرة:

وتولى الإسلام النفس البشرية يعالج فيها ما ركب من فجور، وما طبعت عليه من خصال، وما جبلت عليه من فطرة تكون مدار الابتلاء والاختبار، والامتحان والتمحيص، يعالجها بقواعد تبين لها ما تحذر، وتكشف لها ما يجب عليها أن تتجنبه، ويحبب إليها ما يجب أن تقبل عليه. بين الحلال وبين الحرام، وبين كذلك ما بينهما من أمور مشتهات. ومن خلال الأمر والنهي، والترغيب والترهيب يعالج الإسلام هذه النفس البشرية لينمي فيها نوازع الخير ويوهن نوازع الشر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد. فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. أو قال العشب». رواه أبو داود^(٢).

(١) يُراجع كتاب ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية - باب الاختلاف، لتفصيل ذلك.

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأدب (٣٥) - باب الحسد (٥٢) حديث رقم (٤٩٠٣). جزء (٥).

وفي الحديث الجامع لرسول الله ﷺ نجد التربية الفذة والبناء الكريم، والمعالجة القوية
لنفس الإنسان:

«فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظنّ، فإن الظنّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً». وفي رواية: «ولا يبيع بعضكم على بيع بعض».

(١) رواه مسلم

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ههنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات. «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

(٢) رواه مسلم

قرع للنفس البشرية قويّ، وإيقاظ لنوازع الخير في الفطرة وتزكية لها «وكونوا عباد الله إخواناً»، وإطفاء لنوازع الشر والفجور ولهيه: من حسد، وظنّ، وتحسس، وتجسس، وتنافس، وتحاسد، وتباغض، وتدابر، وغير ذلك.

وتمضي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تعالج نفس الإنسان وطبيعته وتقرعها قرعاً قوياً، وتربيّ وتبني، حتى تستقيم النفس المؤمنة في رعاية حادثة، ومراقبة حانية.

الحسد، والظنّ، والتجسس، والتجسس، والتنافس على الدنيا، والتباغض، والتدابّر، هذه كلّها إذا تمكّنت من الإنسان دفعته دفعاً عنيفاً ليتجاوز حدوده، ويطمع فوق قدره، ويزاحم على ما ليس له. إنها تدفعه ليسعى إلى مناصب الدنيا وأموالها ونسائها، لهواً وترفاً وغروراً، لا يلتزم بحدود شرع، ولا قواعد دين، ولا ضوابط أخلاق. فإذا الحياة صراع على الدنيا، والدنيا أهون عند الله من جناح بعوضة، وأهون عند الله من جيفة حقرها الناس. وإذا الدنيا تنافسٌ يُحِيلُ الناسَ إلى ذئاب تفترس، ووحوش تنهش. فإذا الناس لا يعرفون حدوداً يقفون عندها، ولا يأخذون منازل يقنعون بها، ولا ينتظمون في مراتب تجمع.

(١) صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) - باب تحريم الظنّ . . . ونحوه (٩). حديث رقم (٢٥٦٣).

(٢) المرجع السابق - نفس الكتاب - باب تحريم ظلم المسلم . . . (١٠) - حديث رقم (٢٥٦٤).

فبمثل هذه المعالجة الكريمة القوية . يمكن لمن كتب الله له الهداية أن يستجيب لعلاج وأن يستقيم على نهج كريم .

وقد تكون هذه الدوافع من ظنٍّ، وحسدٍ، وتنافسٍ، وتناجشٍ، وتدابرٍ، مخفية في طيات النفس، مستورة بمظاهر وزخرف، مدفونة تحت ركام هائل من الرايات والشعارات، والبريق والبهارج، لا يكاد يحس بها العامة من الناس، أو الخاصة أحياناً. وإن مثل هذه الأستار تنجح في كثير من الأحيان في أجواء الجهل وقلة الزاد من العلم، وفي غياب النصيحة وصدق الرأي، وفي غياب الشورى ووضوح الكلمة، وفي غياب النظام وحسن الإدارة، واضطراب المحاسبة والمراقبة .

في مثل هذه الأجواء المظلمة بالجهل، يندس كثير من الضعفاء إلى منازل الأقوياء، ويأخذ بعض الجهلاء بعضاً من أماكن العلماء، وتنحدر المواهب في الأمة وتطوى، وتغيب الطاقات وتدفن، وتختلط المنازل والحدود، وتضطرب الموازين والأموال .

ولكن المنافق ينكشف بين الأتقياء، والجاهل ينفضح بين العلماء، والضعيف لا يتوارى بين الأقوياء، هذا إذا جمع الأتقياء والعلماء والأقوياء نور الإيمان وبركة التقوى، وزاد العلم وأدب النصيحة، ووضوح الكلمة .

إن دوافع الفتنة قد تخفي تحت طلاء المكر والخداع والنفاق . ولكن الأمة المؤمنة، والصف المرصوص، والأخوة المتعاونة، في أجواء الإيمان والعلم تكشف الزيف كله، وتصون الجوهر حتى يشع .

١ - ج - محاسبة النفس ومراقبتها :

يربط الإسلام التقوى بأمور كثيرة في حياة الإنسان، من خلال الآيات والأحاديث . ومن جملة ما يربطها به هو أن ينظر المؤمن التقى في نفسه، يراقبها ويحاسبها على ما أعدت لغدها، ليوم الحساب، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

(الحشر: ١٨ ، ١٩) .

فالإسلام طلب من المؤمنين أن يتقوا الله وينظروا في أنفسهم حتى يعرفوها ويعرفوا ما قدمت لغد، وما وافق من عملهم منهاج الله وما خالفه منه، حتى يستطيعوا أن يدركوا التوبة والأوبة، ولا يكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فأولئك هم الفاسقون.

نعم ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾، ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾، فلم ينظروا ما قدمت نفس لغد. هذه هي عظمة التوجيه الرباني حين يدعو المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ لأن يتقوا الله ولأن تنظر نفس ما قدمت لغد. والنظرة المطلوبة هي نظرة محاسبة وتدقيق، ومراجعة وفحص، ومطابقة مع منهاج الله. ولن تتم هذه النظرة المطلوبة على صورتها الإيمانية إلا إذا توافر شرطان رئيسيان هما: الإيمان أولاً والعلم بمنهاج الله ثانياً. ودون هذين الشرطين ستظل النظرة ضائعة تائهة، أو عاجزة مقصورة.

إنها القاعدة الأولى للبناء والتكوين والتربية والإعداد. إنها نظرة المؤمن في نفسه وفي عمله ليزنه بميزان الإسلام، بميزان منهاج الله. وتتوالى الآيات الكريمة لتعطي محاسبة النفس ومراقبتها عمقاً أبعد، ومعنى أوسع، وممارسة أدق: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْعَرَصَادِ﴾^(٢).

وفي حديث رسول الله ﷺ عن عمر بن الخطاب، الذي يعرف فيه الإسلام والإيمان والإحسان... فقيه: «قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فهنا تبرز مراقبة النفس، وتعمل الكوابح واللجم حتى تحفظ النفس من الهوى، وحتى تستقيم على أمر الله.

وكذلك حديث رسول الله ﷺ عن أبي ذر جندب بن جنادة، عن رسول الله ﷺ، قال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

رواه الترمذي^(٤).

(١) آل عمران: ٥.

(٢) الفجر: ١٤.

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان (١) - باب (١). حديث رقم (١).

(٤) سنن الترمذي - كتاب البر والصلة (٢٨) - باب ماجاء في معاشره الناس (٥٥). حديث رقم (١٩٨٧).

وكذلك عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك.» .
رواه الترمذي^(١) وقال حسن صحيح .

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كثيرة في هذا الباب، تظل تقرر النفس المؤمنة حتى لا تهبط عن المحاسبة ولا تغفل عن المراقبة، ولتظل تنظر في ذاتها وعملها وكلمتها وتزنها بميزان منهاج الله عن إيمان وعلم وتقوى .

٢ - تكامل القواعد في ميدان الممارسة والموازنة بينها :

ومع هذه المحاسبة والمراقبة، ومع هذه المعالجة والتربية، فإن الإسلام يضع قواعد يلتزمها المؤمنون فيلتزمون بذلك حدوداً ومنازل، حتى يُعرفَ لكل رجل قدره وفضله، وحتى لا تضطرب الموازين ولا تظل خاضعة للأهواء والرغبات. تأتي القواعد لتحدد للمسلم سلوكه واتجاهه، ومداه ومكانه، وما يفعله وما لا يفعله. وهذه القواعد تأتي في مختلف الميادين والساحات، ومختلف أساليب التوجيه والتربية. ولا نستطيع أن نجعلها هنا، ولكننا، كما ذكرنا سابقاً، نأخذ قبسات وأمثلة لنوضح الفكرة والرأي. ولا بد من أن نؤكد هنا أن أي قاعدة من قواعد الإسلام لا تعمل عملها الكامل المتناسق إلا مع عمل سائر قواعد المنهاج الرباني مترابطة، متناسقة، متكاملة. وما نذكره هنا من القواعد والنماذج إنما هي أمثلة فقط فيجب أن نعلم أن هنالك قواعد غيرها في منهاج الله يجب الموازنة بينها كلها متناسقة، وأن هذه القواعد كلها يجب أن نربطها بسائر قواعد منهاج الله، ليظل منهاج الله في قلوبنا وتصورنا منهاجاً متكاملاً مترابطاً متناسقاً.

٢ - أ - من قواعد الإمارة وحدودها :

عن أبي سعيد عبدالرحمن بن سُمرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : «يا عبدالرحمن بن سُمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها. وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير، وكفر عن يمينك» .
أخرجه البخاري ومسلم^(٢)

(١) سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة (٣٨) . باب (٥٩) . حديث رقم (٢٥١٦) .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الأيمان (٢٧) . باب نذب من حلف يميناً . . . (٣) حديث رقم (١٦٥٢) وكتاب الإمارة (٣٣) . باب النهي عن طلب الإمارة (٣) .

ففي المجتمع المؤمن المتراس، يُعَرَفُ النَّاسُ وتعرف منازلهم وأقدارهم، ويعرفُ الرأي العام كذلك أهل الفضل فيقدّم الناس إلى منازلهم دون أن يطلبوها أو يسعوا لها. ففي هذا المجتمع المتناسك القوي الواعي، جاء توجيه النبوة لعبدالرحمن بن سُمرة كما رأينا. ولكن يجب أن نطمئن إلى كفاية الأمة وقدرتها على معرفة منازل الناس. فإن خُشِيَ أن تقع الإمارة في يد ضعيف أو منافق أو غير كفء وجب طلبها حماية للأمة. والله يعلم ما تخفي الصدور. ومن طلب الإمارة حباً لها ورغبة في الدنيا ساء طلبه وذهب أجره، وسقط فضله.

ولننظر في صورة أخرى من صور طلب الإمارة وتوجيه النبوة لها:

«عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: «يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»»^(١)
رواه مسلم

فهنا تظهر عظمة قيادة النبوة، والدقة والصدق والوضوح في التوجيه النبوي، وربط الأمر بمنهاج الله وقواعده، وليس بشيء آخر. وإرساء قواعد متينة ليعيها الفرد وتعيها الأمة: «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» ومنهاج الله يُفَصِّلُ كُلَّ كلمة في هذا الحديث الشريف، يفصلها ويبيّن حدودها ومداهها: أمانة، حساب يوم القيامة، حق الإمارة، وما على المسلم من واجب فيها.

وتوجيه آخر وقواعد أخرى في الإمارة:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»^(٢)
رواه مسلم

نعم، إنه توجيه النبوة، وقواعد منهاج الله. فالإمارة تحتاج إلى قوة وصلابة في الحق. والإمارة تتولى حقوق الناس وفيهم الضعفاء والأيتام. فلا بد من أن يكون الأمير قوياً يرقى حقوق الضعفاء والأيتام وسائر الناس، ولا يضيعها بضعفه، مهما كان لون ضعفه.

فمن هذه القواعد وحدها نجد أن من شروط الإمارة: الإيثار والتقوى، والعلم والخبرة، والقوة والمران، وأن يعرف المؤمن سبيل الإسلام الذي يرسمه لها. هذه بعض قواعدها وليس

(١) صحيح مسلم - كتاب الإمارة (٣٣). باب النهي عن طلب الإمارة (٣). حديث رقم (١٨٢٥).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإمارة (٣٣). باب النهي عن طلب الإمارة (٣). حديث رقم (١٨٢٦).

كلها. ونؤكد ثانية أن جميع القواعد يجب أن تعمل كلها معاً لا بعضها. وأنا هنا نقدم أمثلة وقبسات، ومنهاج الله وحده يقدم الصورة المتكاملة.

٢ - ب - من قواعد متابعة الأمور:

عندما يقفو الإنسان أمراً يجب أن يكون له علم به ودراية، حتى يكون تدخله بالأمر صادقاً عادلاً أميناً. ومن يتبع ما لا يعلم يهلك ويهلك. ولذلك جاء القرآن الكريم مبيناً لهذه القاعدة العظيمة:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. (الإسراء: ٣٦).

وهذه قاعدة واحدة من جملة قواعد عديدة ترد في سورة الإسراء لتبين للمسلم حدوده في الإنفاق، وتربية الأبناء، وحقوق وليّ المقتول، واليتيم، والوزن والكيل، وعدم الكبر والغرور والخيلاء... قواعد تأتي كلها متماسكة فيما بينها، متماسكة مع منهاج الله حتى يعرف المسلم حدوده في مختلف شئون حياته، وحدوده في علاقاته مع الناس، وحدوده مع أمته ومجتمعه. ويسمى القرآن هذه القواعد «من الحكمة»: «ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة...».

وعندما يتأدب المسلم بأدب الإسلام، بأدب منهاج الله، لا يدفع نفسه في ما لا علم له به، حتى يتقي الله في قوله وعمله. ولذلك جاءت تعليمات الإسلام واضحة قوية تطلب من المسلم أن يتثبت من كل ما يقول ويفعل، وأن يتبين حتى لا يقع في إثم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». (رواه مسلم^(١)).

٢ - ج - معرفة المسلم لحدود ما يعنيه وما لا يعنيه:

إن من أهم ما يجب على المسلم معرفته هو ما يعنيه وما لا يعنيه، حتى يستطيع أن يقترب من أمور يحسنها وينال أجره من الله سبحانه وتعالى عليها، ويكسب محبة المسلمين واحترامهم. ولا يتيسر هذا الأمر للجاهل أو لصاحب هوى. فكل الصنفين من الناس يتورط في ما لا يعنيه، هذا بجهله، وهذا بهواه. فيؤذي نفسه، ويؤذي الناس، ويؤذي الأمة.

(١) صحيح مسلم - المقدمة - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (٣). حديث رقم (٥).

والجهل الذي نعينه هو الجهل بمنهاج الله قرآناً وسنةً، وكذلك الجهل بالواقع الذي يعيش فيه ويبارس إيمانه فيه. فتدبر منهاج الله عن إيمان يدفع المسلم ليفهم واقعه فهماً إيمانياً، وبذلك يصبح فهمه وتدبره لمنهاج الله والواقع عوناً له على كبح هواه إذا تحرك، وضبطه إذا أراد أن يتفلت.

لهذا كله نجد عظمة حديث رسول الله وهو يضع هذه القاعدة العظيمة التي تساعد المؤمن على معرفة حدوده فلا يتجاوزها، ومعرفة حدود الناس فيعينهم فيها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».

رواه الترمذي ومالك^(١)

وقد يحسب بعض الناس أنه يجد في هذا الحديث ما يبرر إدمانه عن بعض واجباته وأمانته ومسئوليته: في حياته، أو حياة أسرته، أو أصحابه، أو أمته. إن الحديث واضح جلي، وهو مرتبط، متماسك، متناسق مع سائر قواعد منهاج الله. فلا مجال لمسلم في أن يتفلت من أمانته ومسئوليته. ولكن المسلم يجب عليه أن يعرف مسئولياته وواجباته وأمانته من منهاج الله أولاً. فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي وضع الأمانة، وحدد المسئولية، وشرع الأحكام. فمن العيب أن يضيق المسلم وقته وجهده ليقرر هو لنفسه حدوداً يرسمها هواه ورغباته. على المسلم أن ينهض إذن إلى منهاج الله ليعرف من هناك - لا من أهوائه وأهواء الناس - مسئولياته وأمانته وما عهد الله إليه به من واجبات. وليذكر المؤمن دائماً أنه على عهد مع الله وميثاق، وأن هذا العهد مع الله وهذا الميثاق يعرضه منهاج الله مفصلاً^(٢).

لذلك كان من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. إنه من حسن علمه بالإسلام، وحسن ممارسته للإسلام، حين يعرف معرفة إيمان وعقيدة، لا معرفة ظنون وتخمين. إنه يعرف حدوده وواجباته معرفة إيمان ويقين، ومعرفة تصديق ووعي.

بهذه القاعدة الإيمانية العظيمة تنتظم أمور المسلمين، وتغيب بواغ الفتن، وتستقيم الخطأ على نهج قويم ودرب كريم، ويعرف الناس حدودهم، وتنهض العزائم متكاتفه، والنفوس مترامحة، والقوى متناسقة.

(١) سنن الترمذي - كتاب الزهد (٣٧) - باب (١١) - حديث رقم (٢٣١٧) - موطأ مالك - كتاب الجامع -

باب ما جاء في حسن الخلق - حديث رقم (١٦٢٩).

(٢) يُراجع كتاب لقاء المؤمنين الجزء الأول باب: الإيمان والعهد.

٢ - د - إنزال الناس منازلهم :

من البدهة إذن بعد هذه التوجيهات التي عرضناها، أن يستقيم الناس إذا اتبعوها، فيأخذ كل إنسان منزلته، ويعرف لكل إنسان قدره. فإن هذا هو باب من أبواب العدالة والحق، والأمانة والأمن، والمروءة والشرف، ولا يُظلم أحد.

فجاء حديث رسول الله ﷺ يثبت هذه القاعدة في المجتمع، ويبني النفوس على إشراقها ووضوحها:

عن ميمون بن أبي شيبه رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مرَّ بها سائل فأعطته كِسْرَةً، ومرَّ بها رجل عليه ثياب وهية فأقعده، فأكل فقبل لها في ذلك. فقالت: قال رسول الله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم». رواه أبو داود^(١)

لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة. وذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال: «وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم». وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه: «معرفة علوم الحديث» وقال: هو حديث صحيح.

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون منازل بعضهم بعضاً، ويعرفون أقدارهم، ويرتبط سلوكهم بهذه المعرفة، فيصوغ الإيمان أخلاقهم وأساليبهم:

عن أبي سعيد سَمُرَةَ بن جُنْدَبٍ رضي الله عنه قال: لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنتُ أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالاً هم أسنّ مني». رواه البخاري ومسلم^(٢)

ولا يضطرب سلوك المؤمنين وهم في مدرسة النبوة، ونور الإيمان وجلاء العلم. لا يهبط بهم أبداً زخرف شعارات كاذبة، وحمية جاهلية مطلية بأصباغ وألوان.

ولا يضطرب سلوكهم والقرآن الكريم ينتزل على الرسول ﷺ، يتلونه، ويتعلمونه، ويتدبرونه، ويعملون به:

﴿وَالْإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُ وَاللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

(١) سنن أبي داود. كتاب الأدب (٣٥). باب تنزيل الناس منازلهم (٢٣). حديث رقم (٤٨٤٢).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الجنائز (١١) باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه (٢٧). حديث رقم (٦٩٤).

غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ بِئِنَّهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ (الأعراف: ٨٥).

وهكذا كان توجيه شعيب رسول الله عليه السلام لقومه مرتبطاً بالعقيدة والتوحيد:
﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾. إنه تعبير عام يرد عادة بخصوص البيع والشراء. ولكن الميزان أمر
وضعه الله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.
(الرحمن: ٧، ٨).

فالميزان تعبير عام يدل على ضرورة وزن الأمور كلها بمنهاج الله، ووزن حقوق الناس
كذلك بمنهاج الله. وجاء التبعيز القرآني، في الآية الكريمة بعد الكيل والميزان، عامّاً
يشمل أشياء الناس كلها: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. جميع أشياءهم، جميع
حقوقهم، أموالهم، ومنازلهم، وعلمهم، وشرفهم، وغير ذلك.

إنّ هذا التوجيه هو أساس هام يقوم عليه المجتمع، وتنهض عليه الأمة. والأمة العزيزة
الشريفة تحفظ للناس شرفهم ومروءتهم، وتعرف للناس منازلهم، ولا تبخسهم أشياءهم.

بمثل هذا التوجيه تحفظ الأمة قوتها من أن تتبدّد، وتصون طاقتها من أن تتمزّق، وتحمي
مواهبها من أن تموت وتدفن. وينتظم الناس على منازل أمينة، ومواقع عادلة، ويصبح
المؤمنون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص. وخلاف ذلك فإنه فساد في الأرض وإفساد.
نعم..! إنها قاعدة عظيمة: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

إنها قواعد الإيمان، يتمسك بها المؤمنون. ويقوم عليها مجتمعهم، ويستقرّ بها أمنهم،
وتنزل عليهم رحمة الله بها.

٣ - معرفة المسلمين بعضهم بعضاً:

إن معرفة المسلمين بعضهم بعضاً أمر هام وضروري في حياة الأمة المسلمة. إن كثيراً من
قواعد الإسلام في الحياة العامة تقوم على أساس من معرفة الناس بعضهم بعضاً. ومن أخطر
هذه الأمور هو معرفة منازلهم وحدودهم، وإنزال الناس منازلهم. وهذا أمر واسع ممتد في

نشاط الحياة العامة، لا ينحصر في زاوية ضيقة مخنوقة، ولا ينحصر في نظرية ورأي. إنه أمر ممتد في الممارسة العملية التطبيقية في حياة الجماعة المؤمنة.

كيف يكون المؤمنون صقاً واحداً كالبنيان المرصوص إذا لم يعرف المؤمنون بعضهم بعضاً؟

كيف يستطيع المؤمنون أن ينزلوا الناس منازلهم الأمانة إذا لم يعرف الناس بعضهم بعضاً؟ كيف يصدق التعاون الذي يأمر به الإسلام، وكيف تصدق الأخوة في الله، وكيف تقوم سائر روابط المؤمنين وموالاتهم، إذا جهل بعضهم بعضاً؟

لا تقوم قواعد الإسلام على جهل. ولا تمارس في جهل، ولا تنجح حياة المؤمنين في ظلمات الجهل. إن الإسلام نور ووضوح، وهو يعمل في نور ووضوح وصدق.

ولذلك جاءت تعاليم الإسلام وقواعد الإيثار لترسي هذا المبدأ العظيم في حياة المؤمنين، مبدأ معرفة بعضهم بعضاً في حدود ما تطلبه أمانة الممارسة الإيمانية، وسلامة المجتمع الإيماني. ونورد هنا موجزاً سريعاً لأهم هذه القواعد، ويظل منهاج الله وحده هو الذي يعطي الصورة الكاملة المترابطة المتناسقة لهذه القاعدة وغيرها من قواعد الإسلام والإيمان:

٣ - أ - الاختلاط بالناس وفضله :

في الحديث المرفوع عن ابن عمر رضي الله عنه : «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

رواه أحمد والترمذي وابن ماجه^(١)

فالاختلاط بالناس هو أول أبواب المعرفة، وأول المسالك لفهم الناس ودراستهم، ومعرفة أصولهم، وأخلاقهم، وعلمهم، ونفوسهم، ونشاطهم وهذه المعرفة نفسها تساعد على الاتصال بالناس والاختلاط بهم، والاختلاط نفسه ينمي هذه المعرفة، حتى يظل التأثير متبادلاً، يقوى هذا بقوة ذاك، فتشدد روابط المؤمنين، وتقوى عُراهم.

ولا يدعو الإسلام إلى هذا الاختلاط دون أن تكون هنالك أهداف نظيفة مشرقة واضحة من ناحية، وأساليب نظيفة مشرقة واضحة من ناحية أخرى. وبذلك يكون التعارف مرتبطاً بالإيمان وأسس، وبالعقيدة كلها: نية وأهدافاً وأساليب.

(١) سنن ابن ماجه. أبواب الفتن (٣١). باب الصبر على البلاء (٢٣). حديث رقم (٤٠٨١). سنن الترمذي كتاب صفة القيامة (٣٨). باب (٥٥). حديث رقم (٢٥٠٧).

وأهم أهداف دراسة الناس والتعارف إليهم هي : الدعوة إلى الله ورسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يسر الممارسة الإيمانية في الواقع، للإصلاح بين الناس، أداء الواجبات الاجتماعية من شفاعة، وشهادة، ونصيحة، وبر، وزيارة، وتعاون، وإنزال الناس منازلهم، والحذر من خطأ المسلم حتى لا يتسع الخطأ ويتراكم إلى شر وفتنة، والحذر من خطر المنافق، وكيد الكافر، ومكر شياطين الإنس والجن.

وأهم الأساليب تعتمد على صفاء الأخوة بالله، صفاء مبنياً على صدق في الإيثار وقوة في العلم، تيسر ممارسة الأخوة ممارسة ربانية واعية. وتعتمد الأساليب بذلك على حقيقة فهم الحب في الله فهماً صافياً كذلك، لا يقعد بالمسلم عن واجب، ولا يدفعه إلى فتنة وظلم، ولا إلى عصبية وجهل.

٣ - ب - الروابط الإيمانية :

والروابط الإيمانية التي وثق عراها الإسلام هي من أهم العوامل التي تيسر معرفة المسلمين بعضهم بعضاً، ومن ثم تساعد على معرفة المسلم لحدوده وحدود الآخرين، ومنازل الناس وأقدارهم.

ولقد سبق أن درسنا أهم هذه الروابط الإيمانية في كتابنا دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية (الباب الرابع - الفصل الثاني - البند السابع) : فالناس أولاً وقبل كل شيء من أصل واحد، من آدم عليه السلام، يعبدون رباً واحداً هو الله سبحانه وتعالى، على دين الإسلام. ثم رابطة الولاء بين المؤمنين، الرابطة النابعة من صدق الولاء لله سبحانه وتعالى. فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض في أخوة واعية وحب طاهر في الله. وينشأ عن الموالاة والأخوة في الله حقوق شرعها الإسلام وواجبات بينها. ثم رابطة العائلة والأسرة، وبرّ الوالدين وصلة الأرحام كلها. ثم حق الجوار وإكرام الضيف، ثم برّ أصدقاء الأب، والأهل والأقارب على طاعة الله وعلم بدين الله.

هذه الروابط الإيمانية كلما اشتدت عراها دنا المسلمون بعضهم من بعض، وسهل تعارفهم، وتيسر تآلفهم، في إشراقة إيمان، ووضاءة حب، وطهارة تعاون، ووعي لا يضيع في غفلة حمقاء، ولا في فتنة مأكرة. وهذا العامل يرتبط ويتناسق مع سائر العوامل، ويعمل معها بدون أن يعمل وحده، حتى يتحقق إيمان ويصدق إسلام.

والأنساب من الروابط الإيمانية، حين يصوغها الإسلام برأ وإحساناً، وحتى ينفي عنها الإسلام عصبية الجاهلية، يوجه أبناءه إلى هدف الأنساب، وغايتها الإيمانية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم. فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأثر».

رواه الترمذي وقال عنه حديث غريب^(١)

٣ - ج - الآداب الاجتماعية :

ولقد أقر الإسلام آداباً اجتماعية ترتبط مع سائر قواعد الإيمان ارتباط عقيدة ونهج . وتأخذ هذه الآداب الاجتماعية دورها في تحقيق سلامة تعارف المسلمين، وقوة تحقيق أهداف هذا التعارف. فالزيارات في مختلف وجوها الاجتماعية، حين يصوغها المجتمع صياغة إيمانية تحقق أهداف التعارف الكريم. وعيادة المرضى تأخذ دوراً عظيماً في الحياة الاجتماعية في أسلوبها الإيماني النظيف، والنية الصادقة الواعية، علاوة على الحافز الرئيسي وهو الأجر من عند الله والثواب. والرفقة في السفر قاعدة أوصى بها الإسلام، وهي تغذي التعارف وتنمي بصورة لا تتوافر في السكن والإقامة، وتنشئ من صور التعارف ما لا يتيسر في غيرها، والسلام وردّ السلام وإفشاءه قاعدة عظيمة أخرى تقرب المسلمين بعضهم من بعض، وتربط القلوب برباط الألفة والمحبة.

٣ - د - الشعائر :

وجاءت شعائر الإسلام تركز على هذا العامل الهام من تعارف المسلمين وربطهم في صف واحد كالبنين المرصوص.

فصلاة الجماعة في المسجد خمس مرّات في اليوم، وصلاة الجمعة مرة كل أسبوع، والحج مرة كل سنة، والعمرة كذلك هي تجمع وتعارف خلال العام، هذه كلها تؤدي دورها العظيم في تعارف المسلمين وربطهم. وتؤدي دورها في بناء التعاون والتراحم وحماية روابط الإيمان، وصون الآداب الاجتماعية.

والزكاة تجمع الأغنياء والفقراء في بوتقة الإيمان، وتراحم الإسلام، وجمع القلوب السليمة. والصدقة عامة تؤدي الدور العظيم في هذا المجال.

(١) سنن الترمذي - كتاب البر والصلة (٢٨) - باب ما جاء في تعليم النسب (٤٩). حديث رقم (١٩٧٩).

إن جميع شعائر الإسلام التعبدية تساهم مساهمة واسعة في حقيقة تعارف المسلمين على نحو متميز. إنها تهَيِّء الجوَّ النظيف الطاهر لهذا التعارف الكريم.

٣- هـ - الأخلاق الإيمانية:

وتساهم الأخلاق الإيمانية بدور عظيم في تحقيق تعارف المؤمنين على أهدافه الطاهرة وأساليبه الطاهرة. وتستمر أخلاق الإسلام تقدم الريِّ والغذاء الدائمين لهذا الأمر الهام. إن أخلاق الإسلام كلها، واحدةً واحدةً، تساعد في ذلك. وأخلاق الإسلام تمتد إلى جميع ميادين الحياة، وجميع أشكال الممارسة الإيمانية. ومن هنا كانت أهميتها وعظمتها. وأخلاق الإسلام نابعة كلها من الإيمان، مرتبطة بعقيدة ونهج. فهي أخلاق متكاملة متناسقة. وهي تستل الضغائن والشحناء، وتورث المحبة والألفة في عناصر الخير ومعادن الرجال.

فالتواضع وخفض الجناح للمؤمنين، والرفق وعدم الغلظة، وتحريم الكبر والغرور والإعجاب، وإقرار التواضع والتواضع، وتحريم الغيبة والنميمة والظن والافتراء والظلم كله، والتعاون والكرم والإحسان في العمل كله، هذا كله يقرب النفوس ويربطها، ويحفظها ويصونها، ويسر تعارفها في جو مشرق واضح كريم، لا دسيسة فيه ولا خيانة، ولا تجسس ولا كيد.

وأمثلة الأخلاق الإسلامية كثيرة. ونكتفي هنا بالإشارة التي عرضنا، على أن تظل الأخلاق الإسلامية موضع الدراسة والتربية، والإعداد والتدريب، حتى تؤدي حقيقة دورها في بناء الأمة.

وأخطر ما يصيب الأخلاق هو أن تصبح شعارات برّاقة تملأ الكتب والصفحات، والحناجر والهتافات، ولا تجد لها رصيلاً كريماً في الواقع، تحت ضربات معاول الغيبة والنميمة، ومُدَى الظن والدسيسة، وخناجر المكر والافتراء. إن أخطر ما يصيب الأخلاق حين يعلنها جبناً وضعفاء وأهل كيد، يخفون جرائمهم تحت طلاء الشعارات والزخارف.

إن معرفة المسلمين بعضهم بعضاً ضرورة حتمية حتى تُرعى المنازل والحدود، وحتى يقف كل مسلم عند حدوده وقدره، وحتى ينتظم المؤمنون منازل يشد بعضها بعضاً، صفّاً واحداً كالبنیان المرصوص، كالجسد الواحد.

بدون هذا يضطرب صف المؤمنين، فيتقدم منافق ويتأخر صادق، ويعلو عدو ويهبط صديق، وينتهي حال المسلمين إلى مأساة بعد مأساة، ومحنة بعد محنة، تحت خدر الشعارات، وبريق المظاهر.

بدون معرفة المسلمين بعضهم بعضاً ينسل جهلاء، ويندس ضعفاء، يوردون الأمة موارد الهلاك. والمعرفة يجب أن تكون بوسائل نظيفة وعلى أسس نظيفة، تصدر كلها عن منهاج الله. فلاختلاط الكريم بالناس، والروابط الإيمانية، والآداب الاجتماعية، والأخلاق الإيمانية هي جزء من وسائل الإسلام التي تحقق هذه الغاية.

٤ - ميزان عادل أمين للحدود والمنازل :

مع هذه القواعد التي سبق عرضها، وضع الإسلام ميزاناً عادلاً أميناً تقاس به الرجال، وينزل بموجبه الناس منازلهم الأمانة العادلة إنه الميزان الذي ينظم الصفوف، ويضبط الرغبات، ويكبح الهوى، ويجمع العزائم.

إنها سنة من سنن الله أن جعل الناس درجات، ورفع بعضهم فوق بعض. فالناس درجات في الوسع والطاقة، والموهبة والمقدرة، والخبرة والمران، والإيمان والعلم، والحكمة والعقل، والسعة والرزق، والخلق والسلوك، والحلم والصبر، والرحمة والتواضع، وسائر ما يهبه الله للناس من نعم. إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس يتفاوتون في هذه القدرات على حكمة ربانية بالغة، وعدالة ربانية ماضية.

ومن هذا الاختلاف في الوسع والقدرة، وما يهبه الله لعباده من أرزاق ونعمة يقع الابتلاء ويجري التمحيص، وتمضي أقدار الله غالبية عادلة.

ولقد بين الله سبحانه وتعالى هذه الحكمة الربانية أدق بيان :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . (الأنعام : ١٦٥).

فارتبطت الدرجات هنا بالابتلاء الذي ينتهي بعقاب سريع أو رحمة ومغفرة من الله. وارتبطت الدرجات كذلك بوجه من وجوه مهمة الإنسان على الأرض ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض...﴾. فخلائف الأرض والدرجات والابتلاء قواعد ترتبط وتتناسق في منهاج رباني متكامل.

والآية الكريمة في سورة الزخرف تضيف ظلالاً جديدة:

﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . (الزخرف: ٣٢).

فارتبطت الدرجات هنا بالرزق من ناحية، وبتسخير الناس بعضهم بعضاً من ناحية أخرى، وذلك كله يمضي على سنن ربانية. ويظل السعي إلى رحمة الله خيراً من جمع المال وكتره. وتظل الأمور كلها مرهونة بأمر الله وقضائه فهو الرحمن الرحيم، وهو الذي يقسم الرزق بين عباده ويرفعهم درجات بعضهم فوق بعض. ويبقى الميزان الأول هو رحمة الله، وليس المال والرزق.

وفي سورة آل عمران:

﴿ أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ . (آل عمران: ١٦٣).

أما هنا فارتبطت الدرجات برضوان الله. والدرجات هنا تحمل ظلال الدار الآخرة. وتصبح سنة الله مشرقة أمام الناس، واضحة، بيّنة. إنها درجات في الحياة الدنيا، وإنها درجات في الدار الآخرة. وتزداد الصورة وضوحاً مع آيات أخرى:

﴿ كَلَّا نُمَدِّدُهُمْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ . (الإسراء: ٢٠، ٢١).

فهي درجات في الدنيا، وهي كذلك درجات في الآخرة. ولكن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً.

﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ . (طه: ٧٥).

إنها الدرجات العلى في الآخرة حيث تقوم الموازين القسط ليوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً، وتأخذ كل نفس درجتها ومنزلتها العادلة الحقّة بميزان الله الحق العادل. ودرجات الدنيا درجات ابتلاء وتمحيص، ودرجات تبرز من بين عقاب عادل الله، أو ورحمة واسعة منه.

وهي تمضي على سنن ربانية ماضية في الحياة الدنيا حتى تتحقق كلمة الله، وينفذ أمره. أما درجات الآخرة فهي نعمة محضة ورحمة سابعة للذين يأتون يوم القيامة مؤمنين، قد عملوا الصالحات في الحياة الدنيا، والذين نالوا رضوان الله، وفازوا برحمته.

وجاء منهاج الله لبيّن للناس الميزان الذي يجب أن يقوم بينهم في الحياة الدنيا لدراسة الناس وفهمهم، ولإنزال الناس منازلهم. وجعل الله تطبيق هذا الميزان العادل الأمين في الحياة الدنيا باباً من أبواب الابتلاء، ولوناً من ألوان التمحيص، حتى لا يقع من يسعى للحق في ظلم تدفعه إليه عصبية جاهلية، من قرابة أو مال أو منصب، أو عامل من رغبة أو رهبة، وحتى لا يكون لأحد حجة على الله يوم القيامة وقد فصل لهم منهاجه تفصيلاً.

ونستعرض هنا ملامح هذا الميزان العادل، ملامح منه وقبسات فقط. ونؤكد أن الصورة الكاملة لهذا الميزان لن يجدها المؤمن إلا في منهاج الله. فهناك يبحث المؤمن عن الصورة الكاملة مشرقة جلية، واضحة بيّنة. وهنا نحن نذكر أنفسنا والمؤمنين فحسب.

وأهم قواعد المفاضلة والميزان نعرضها فيما يلي:

٤ - أ - الإيمان والتقوى:

ولقد بحثنا في هذا الموضوع في أكثر من موضوع فهو العامل الذي يؤثر في كل أوجه النشاط الإيماني، وعوامل الموازنة، ومنهاج العمل. ولكننا نعرض هذا الركن الأساسي كعامل رئيسي في ميزان تقويم الناس وإنزالهم منازلهم. فالإيمان أمر يستقر في القلب، ثم يبرز في حياة المؤمن الصادق عملاً وسلوكاً، وفكراً ونهجاً، وطريقة وأسلوباً. أما النية فإننا في هذا المجال نكلها إلى الله، ولا نستطيع أن نحاسب الناس على نياتهم، ولا أن ننزلهم منازلهم على أساس ما يمكن أن يدعيه الناس من أمر نياتهم. ولكنَّ العنصر الذي يعيننا، والذي نتحمل مسئوليته في الحياة الدنيا مسئوليّة ابتلاء وتمحيص، هو العمل والسلوك، والفكر والنهج، والطريقة والأسلوب، وما يحمل ذلك كله من ارتباط بمنهاج الله وقواعده وأأسسه، بعيداً عن الهوى، بعيداً عن موازين المصالح والعصبية، وموازين الجهل والغفلة، وموازين الشعارات والزخارف.

إن الإيمان والتقوى، حين يستقران في القلب عن يقين وعلم ينتقلان إلى العمل والممارسة الإيمانية. ويبرز ذلك في حياة المسلم في أمور عدة مما يمكن أن يراه الناس، ويزنونه بميزان الإسلام.

فشعائر العبادات حين تؤدي بخشوع، والمحافظة على السنة الثابتة بمحافظه وعي وعلم وفقه، والتوبة والاستغفار والدعاء عامة، ذلك كله يمكن أن يشير إلى إيمان وتقوى:

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهْتِدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨).

وفي الحديث الشريف: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا
رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان». رواه الترمذي^(١)
ثم السلوك عامة من مبادرة واضحة إلى الخيرات، ومجاهدة النفس على طاعة الله،
والابتعاد عما حرم الله، والصبر، والانقياد لحكم الله ولنهاجه، والتعاون على بر وتقوى،
والنصيحة الصادقة الأمانة، والأمانة والاستقامة، وحفظ حقوق الناس عامة، وبر الوالدين
والأرحام والجار والمؤمنين عامة، ذلك كله مما يشير إلى إيمان وتقوى. ولا ننكر أن الوسع
والفطرة وما نشأت عليه تؤثر في كثير من نواحي السلوك، ولكن الإيمان يملؤ ذلك حتى من
وسع ضيق، ليزر صفاء الإيمان وجمال الخشوع، ورونق العبادة. ولا نأخذ أمانة واحدة
نكتفي بها لتشهد لصاحبها بالإيمان وصدقه إذا كانت سائر الأمارات معطلة أو متناقضة مع
الإيمان. فاعتقاد المساجد اعتياد صدق وإيمان يقضي بأن ينعكس ذلك على سائر السلوك
حتى تصح الشهادة بالإيمان. فمن اعتاد المساجد صادقاً يكون قائماً على سائر العبادات،
أميناً، لا يكذب ولا يغش ولا يخدع ولا يفترى ولا يأكل حقوق الناس ولا يظلم عباد الله.
وكذلك فسائر ما يرد من قواعد وأسس لهذه الموازنة يرتبط بالإيمان حتى لا تصح بغيره،
ولا تستقيم في موازنة إذا انفصلت عن الإيمان.

ولابد من أن نوضح قضية تكون أحياناً موضع لبس واختلاط. فالرجل المؤمن لا يعني
أنه أصبح بإيمانه فحسب صالحاً لأن يُسند إليه أي عمل، أو يُعهد إليه مسئولية. فلكل عمل
قدرة خاصة يحتاجها، ولكل مسئولية وسع لازم لأدائها. فالإيمان لا يجعل الجاهل عالماً إلا
إذا نهض إلى العلم واستوعب وسعه فيه، فينال منه بقدر ما وهبه الله من وسع. والإيمان
كذلك لا يجعل الرجل خبيراً اقتصادياً، وعالماً رياضياً، وأديباً عبقرياً، أو رجل سياسة، أو
طاقة إدارة، إلا إذا وهبه الله مع الإيمان موهبة تتسع لهذا التخصص أو ذاك. وعلى قدر ما
يكتسب من علم وخبرة تصقل موهبته يصبح أهلاً لهذا العمل أو ذاك.

(١) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن (٤٨) - باب ومن سورة التوبة (١٠) حديث رقم (٣٠٩٣).

نقول ذلك لأن كثيراً من الناس يطلب من الرجل الصالح ما لا يقوى عليه . فأما المؤمن الصادق فلا يقفو ما ليس له به علم ، ويلزم حدوده ، ويعرف منزلته . وأما الضعيف فإن الشيطان يزین له بضعفه شهوة الوثبة إلى ما ليس هو له بكفء . فإذا بلغ ذلك أخذ الشيطان يزین له الفتنة بعد الفتنة ، والغرور بعد الغرور ، فيقع في آثام ومعاصٍ كان يمكن أن ينجو منها لو عرف حدوده .

ولذلك نجد القرآن الكريم يربط الإيمان والذين آمنوا بعنصر آخر من عناصر الموازنة . وترتبط هاتان اللفظتان غالباً بالعمل أو العلم .

﴿ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ﴾ (يونس : ٩) .

ويتكرر هذا التعبير القرآني كثيراً في كتاب الله ، يقرن الإيمان بالعمل ، بالعمل الصالح ، فتصبح الموازنة بعد ذلك أوضح صورة .

وفي سورة المجادلة تتضح المنازل على صورة بينة لتقدم كذلك عنصرين من العناصر التي تساعد على تحديد المنازل والدرجات :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اسْكُرُوا فَأَسْكُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ﴾ (المجادلة : ١١) .

٤ - ب - العلم :

ولا يصح العلم في ميزان الإسلام إلا إذا قام على الإيمان . ويكون أساس العلم هو العلم بمنهاج الله قرآناً وسنة . عندئذ يصبح العلم عنصراً يقدم المؤمن ويرفعه ، ويزكيه وينفعه .

ولقد سبقت الآية الكريمة من سورة المجادلة قبل أسطر قليلة وفيها : ﴿ ... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ... ﴾ .

ونأتي المقارنة والموازنة قوية جلية في سورة الرعد :

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَمْنًا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذِرُكُمْ أَنْتُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝ ﴾ (الرعد : ١٩) .

وكذلك :

﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ...﴾ .

(الرعد : ١٦) .

وفي سورة الزمر تأتي الموازنة مباشرة بين العلم والجهل مرتبطة بالإيمان وأداء الشعائر قنوتاً وخشوعاً وخشية اليوم الآخر :

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِذْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ . (الزمر : ٩) .

وفي حديث رسول الله ﷺ تأتي الموازنة العادلة والقواعد الآمنة كذلك في واقع الممارسة والتطبيق :

عن جابر بن عبد الله قال كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصلّ عليهم .
(١) رواه البخاري

«أيها أكثر أخذاً للقرآن؟» هكذا يرد التعبير ليضع الميزان في صورته الصحيحة . فالأخذ لا يعني التلاوة وحدها، ولا التجويد وحده، ولا العلم وحده . ولكنّ الأخذ يجمع ثلاثة أمور في لفظة واحدة : العلم بالقرآن مع الإيمان والتصديق، ثم العمل به .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» . ثم قال رسول الله ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلّون على معلمي الناس الخير» .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

ونمضي الأحاديث الشريفة تبين منزلة العلم والعلماء وتؤكد دور العلم في تحديد منازل الناس، دون أن ينفصل العلم عن سائر العناصر في ميزان الإسلام .

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز (٢٣) باب الصلاة على الشهيد (٧٣) . وفي كتاب المغازي (٦٤) باب (٢٦) .

(٢) سنن الترمذي - كتاب العلم (٤٢)، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (١٩) حديث رقم (٢٦٨٥) .

والذي نودّ أن نشير إليه في موضوع العلم، وما يتصل بذلك في تحديد منازل الناس ومعرفة حدودهم ودرجاتهم، هو التخصص العلمي في العمل الذي يسند إلى هذا الرجل أو ذاك. فمع أنه من واجب المسلم أن يتعلم كتاب الله وسنة نبيه، لأن هذا هو المنهاج الرباني الذي يرسم للمؤمن نهج حياته كلها، فلا بدّ للمسلم كذلك من أن يتقن العلم الذي يرتبط بما يعهد إليه من عمل. فالتخصص العلمي ضرورة في تحديد الدرجات والمنازل في هذا الميدان أو ذاك. وتبرز هذه الناحية في عصرنا الحاضر بروزاً قوياً. ولكنها لا تعني أن هذا التخصص العلمي ينفع في ميزان الإيمان، إذا تجرد صاحبه من إيمان وعلم بمنهاج الله قدر وسعه وطاقته.

وكذلك حديث رسول الله ﷺ:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

متفق عليه^(١)

ونعني أحاديث رسول الله ﷺ توضح الآيات الكريمة.

٤ - ج - القرآن الكريم والسنة الشريفة:

لقد مرّ معنا بعض الأحاديث الشريفة عن دور العلم بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وما يقدّمان لصاحبهما من درجات. فإذا كان هذا العلم مرتبطاً بالإيمان نفع صاحبه في الدنيا والآخرة، ورفع درجاته وأعلى مرتبته.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

رواه مسلم^(٢)

فالمنهاج الرباني هو أساس كل علم. وهو يرفع الناس درجات مع قوة إيمانهم وتصديق عملهم. وتنخفض درجات الناس بضعف علمهم بالمنهاج الرباني، وضعف إيمانهم وعملهم، أو مخالفة عملهم لمنهاج الله. هكذا يكون الميزان العادل الأمين. وهذا هو أساس كل ميزان.

(١) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) - باب فضل من يقوم بالقرآن... (٤٧).

حديث رقم (٨١٥).

(٢) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين (٦) - باب فضل من يقوم بالقرآن... (٤٧) حديث رقم (٨١٧).

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدرى الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمَهُمْ بِالسَّنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ سَنًا. وَلَا يُؤْمِنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ». وفي رواية فأقدمهم سِلْمًا. أي إسلامًا.^(١) رواه مسلم

فهذا موضع تظهر فيه الدرجات، وموقف تتميز فيه المنازل وهو الإمامة في الصلاة ومن أحق بها. فلقد جعل الإسلام لها ميزاناً واضحاً عدلاً أميناً: القرآن، السنة، الهجرة، السنن، ثم أدب التعامل وحقوق صاحب السلطان. ميزان عادل لا يحق لأحد أن يبدل فيه أو ينقص منه. ميزان يوضح الدرجات والمنازل في موقف من المواقف، ومثل من الأمثلة.

ومع الصفوف في الصلاة ودرجاتها:

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلْنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنَهْيِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».^(٢) رواه مسلم

وهكذا يظل ميزان الإسلام العادل الأمين هو الذي يحدد المراتب والمنازل والدرجات. وهنا يأتي التعبير على نفس النسق من البيان والقوة: «أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنَهْيِ» إنهم البالغون أهل الحلم والفضل والعقل.

ويظل أهل الحلم والفضل والعقل، وهم بالنتيجة أهل الإيمان والعلم كذلك، يظلون هم الأقرب للإمام في الصلاة وفي غيرها. فالإمام لا يحتاج أهل الأهواء وأرباب المصالح حوله، وإنما يحتاج أهل الإيمان والتقوى، وأهل الحلم والفضل، وأهل العلم والنصيحة.

٤ - د - الفطرة والمعدن، والموهبة والوسع:

ويتميز الناس بمعادنهم وفطرتهم، ويتميزون بمواهبهم ووسعهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الناس معادن كالذهب والفضة،

(١) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) - باب من أحق بالإمامة (٥٣) - حديث رقم (٦٧٣).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الصلاة (٤) - باب تسوية الصفوف (٢٨) حديث رقم (٤٣٢).

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواحُ جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». ^(١) رواه مسلم

فارتبطت الموهبة والمعدن والفطرة والوسع في هذا الحديث الشريف بأمرين: أولهما الإسلام «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»، والثاني هو الفقه. والفقه يقوم على العلم بالمنهاج الربانيّ أولاً ثم العلم بالواقع، ثم هو مرتبط بالمعدن والفطرة، والموهبة والوسع. وذلك كله يقوم على الإيمان الذي فطر عليه الإنسان، إذا حافظت فطرته على سلامتها ولم تنحرف إلى جاهلية وضلالة.

والحديث الشريف يقارن الناس ويبين لنا عنصراً من عناصر المفاضلة لا يؤخذ وحده. إنه المعدن الذي جُبل عليه الإنسان، والفطرة التي ولد ونشأ عليها. إنها عنصر يقدم الخيار من الناس، يقدم أهل الجود والشجاعة، والوسع والقوة، والموهبة والسداد، إذا وهبهم الله ذلك في فطرتهم. وإن العلم والفقه ليجلوا الموهبة والوسع، ويجلوا الفطرة والمعدن حتى يشع ذلك كله في نور الإيمان وضياء الإسلام.

ويرتبط هذا العنصر من خلال الآيات الكريمة بكل عناصر القوة والخير المغروسة في الفطرة لتقدم «أولو الألباب» كما يعرفهم القرآن الكريم فأولو الألباب هم الذين يمتد وسعهم إلى أن يجمع العلم والحكمة والتدبر والذكرى والهدى. . . . وسائر ما يغرسه الله من قدرات ونوازع للخير والقوة.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَُولُوا الْأَلْبَابِ ۖ﴾ (الزمر: ١٧، ١٨).

وهكذا يبرز المعدن والفطرة، والوسع والموهبة لتكون عاملاً من تحديد المنازل والدرجات. ويظل هذا العمل، مثل سائر العوامل، لا يعمل وحده، وإنما يرتبط بسائر العوامل الأخرى، لتعمل كلها معاً، فتتضح الدرجات والمنازل.

وكل عامل من هذه العوامل يظل يذكرنا بأهمية معرفة الناس ودراستهم، وفهمهم وتجربتهم، حتى تنجلي معادنهم وسجاياهم، ووسعهم وقدراتهم، وسائر خصائصهم، فيوفي كل إنسان حقه.

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) - باب الأرواح جنود مجنّدة (٤٩) - حديث رقم (٢٦٣٨).

٤ - هـ - الخبرة والمران، والعمل والممارسة :

في معظم مواقف التقدير والدراسة، يكون الرجل صاحب الخبرة والمران، أقرب إلى التوثيق والاعتماد من غيره. فالخبرة تنمي على أساس الإيمان والعلم موهبة الإنسان ووسعه وطاقته، وتجلب مداركه ومعدنه، وتبرز حقه ودوره.

وإذا اجتمعت الفطرة والمعدن مع الإيمان والعلم والخبرة فإن عناصر الخير تلتقي لتقدم للأمة بذور النماء والغناء. ولا تأتي الخبرة إلا عن عمل وممارسة، وجهد وبذل. فإن العمل هو الذي يقدم الخبرة وينميها ويغذي الزاد ويعظمه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا حلیم إلا ذو عَثْرَةٍ، ولا حَكِيم إلا ذو عَجْرَةٍ». رواه الترمذي^(١) وأحمد والحاكم

٤ - و - الحكمة والحجة :

والحكمة ثمرة طيبة مباركة، ونعمة وارفة خيرة، وزاد هنيء كريم. إنها لقاء الإيمان والعلم والموهبة والخبرة، تجتمع كلها في إنسان نعمة عليه من الله، فيؤتي خيراً كثيراً، وما يبلغها إلا أولو الألباب.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَئِ الْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. (النحل: ١٢٥).

وترفع الحكمة في منزلتها حتى تكون زاد الأنبياء ومدار بلاغهم ونعمة الله عليهم:

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...﴾ (الإسراء: ٣٩).

﴿...وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾.

(المائدة: ١١٠).

﴿...يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾.

(البقرة: ١٢٩).

وتتوالى الآيات الكريمة لتحمل كل آية ظلاً جديداً من معانيها، وبعداً أعمق، ومدى

أوسع.

(١) سنن الترمذي - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في التجارب - حديث رقم (٢٠٣٣).

وفي حديث رسول الله ﷺ :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحقّ ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .
(١) متفق عليه

فالحكمة نعمة واسعة من الله على الإنسان ، وخير كثير ممتد . وهي عامل هام في معرفة الناس وتقديرهم ، وإنزال الناس منازلهم . وهي عامل هام في معرفة الحدود والدرجات ، تعمل مع سائر العوامل لتكون كلها الميزان العادل الأمين .
والحجة هي ثمرة الحكمة وعطاؤها ، وهي كذلك نعمة من الله يرفع بها الدرجات والمنازل . ذلك ما دامت الحجة قوة للحق ، قائمة على الإيمان ، جامعة لسائر عناصر ميزان الإسلام ، ليمضي الحق في الأرض قوياً عزيزاً .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .
(الأنعام : ٨٣) .

والحجة لا تكون ثمرة الحكمة ولا عاملاً من عوامل ميزان الإسلام ، إذا كانت حجة باطل ، وعدة منافق ، وكلمة مفتر . ومن هنا ترتبط الحجة بالإيمان والعلم والخبرة والوسع ، إنها ترتبط بالحكمة .

٤ - ز - الجهاد والعمل :

والجهاد في سبيل الله قاعدة كبيرة في الإسلام ، ولكننا ندرسه هنا من حيث أنه عامل في معرفة الحدود والدرجات والمنازل ، حتى لا يُظلم الناس وحتى تعرف حقوقهم . ولقد توالى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في بيان منزلة الجهاد . ونود أن نستعرض قبسات من كتاب الله تبيّن دور الجهاد في تحديد الدرجات والمنازل بين المؤمنين . ولكننا نبادر لنستدرك هنا أن الجهاد الذي نعينه ليس القتال العسكري تحت أي راية وأي شعار ، أو في ظل أي عقيدة وأي مبدأ . إنه الجهاد في سبيل الله فقط مستوفياً جميع شروطه التي وردت في منهاج الله شرطاً شرطاً . وبإيجاز إنه جهاد الأمة المسلمة التي تشقّ طريقها إلى الجنة لتجعل كلمة الله هي العليا .

(١) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين - حديث رقم ٨١٦ ، وفي صحيح البخاري في كتاب العلم .

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ .

(التوبة : ١٩ - ٢١) .

فهذه الآيات الكريبات تبين مقارنة بين المنازل والدرجات : ﴿ أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ ، في موقف من مواقف التقدير والمقارنة . وفي سورة النساء تأتي المقارنة بين درجتين أخريين خلاف ما عرضت الآيات السابقة .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

(النساء : ٩٥) .

إنها درجات عند الله ، وإنها مغفرة ورحمة من الله . وإننا نتأدب بأدب القرآن الكريم لنجعل ميزاننا في الحياة الدنيا هو ما نتعلمه من كتاب الله وسنة نبيه ، لا ما توحيه أهواؤنا ، وتزينه شياطين الإنس والجن .

والعمل كله يقدم الإنسان أو يؤخره . يقدمه العمل الصالح الدائب المرتبط بالإيمان وبمناهج الله . ويؤخره الباطل والعمل الفاسد . ويصبح العمل عنصراً من عناصر التقدير والتقويم ما دام مرتبطاً بعناصره الإيمانية .

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

(الأنعام : ١٣٢) .

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴾ . (الأحقاف : ١٩) .

فالعمل عنصر من عناصر التقدير وعامل من عوامل التحديد ، يرفع الإنسان درجات . ولكن إذا أخطأ الناس في التقدير والتحديد ، وفات على الإنسان حقه من عمله ، ولم يوفَّ درجته ومنزلته ، فإن الله عالم بعمله ، سيوفيه حقه ، ويبلغه درجته ولن يظلم أبداً .

ويرى الله عمل الناس ليوفيهم أجورهم ، ويرى المؤمنون ذلك أيضاً حتى لا يبخسوا

الناس أشياءهم وحتى ينزلوا الناس منازلهم في الدنيا، ولكن منازل الآخرة أعظم درجة .

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ عَلَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ﴾
(التوبة: ١٠٥).

والإنفاق من أبواب الجهاد والعمل، بل ومن أهم أبوابها. ويضع الإسلام قواعد مترابطة للإنفاق حتى يكون الإنفاق باباً من أبواب الجهاد والعمل الصالح، وعنصراً من عناصر التقدير والميزان .

ونرى في سورة الحديد كيف تتحد المنازل والحدود، وتقوم الدرجات والمراتب على أساس من الإنفاق، وقته ومكانه، ومدى تأثيره على مسيرة الدعوة، ودوره في دفع خطواتها.
﴿ وَمَالِكُمْ إِلَّا نُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وََعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَمَاتُ تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ۝ ﴾
(الحديد: ١٠).

لقد كانت الدعوة في أول خطواتها، تمضي والمحنة تتلوها محنة. وجنود الدعوة لا يملكون الثروة الطائلة لينفقوها في سبيل الله، ففي تلك المرحلة وتلك الظروف كان الإنفاق على الدعوة يمثل خطوة هامة وعملاً كبيراً. ذلك لقلّة القادرين على الإنفاق ولعظم الحاجة إلى المال كذلك. وأما بعد فتح مكة فقد هبّ الله للدعوة مصادر واسعة، وأفراداً أعظم عدداً وأوسع مالاً. ولقد استقرت الدعوة وظهر أمرها.

فجاءت المقارنة بين الإنفاق في مرحلتين لتعطي درجة أعلى لمن أنفق من قبل الفتح وقاتل. وارتبط الإنفاق هنا بالقتال ارتباط إيمان وعقيدة. فأصبح الميزان عادلاً دقيقاً.

٤ - ح - السنّ والشبهة :

وللسنّ والشبهة دور في تحديد المنازل في بعض المواقف . فللسنّ حقّه في التوقير والاحترام، والمساعدة والعون، والتقديم والتقدير على حسب الأمر الذي يعرض. ويزداد دور السنّ والشبهة في تحديد المنازل إذا اقترن مع عنصر أو أكثر من العناصر السابقة، كالعلم والموهبة والخبرة وغيرها.

ولقد مر معنا حديث رسول الله ﷺ عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البصري الأنصاري عن الإمامة في الصلاة ومن هو أحق بها (بند ٤ . ج .) ورأينا في الحديث الشريف أن «أقدمهم سنًا» يُقدَّم للإمامة في الصلاة إذا كانوا سواء في القراءة لكتاب الله ، وفي السنّة ، وفي الهجرة ، وفي الإسلام . وتأخذ أحاديث شريفة أخرى لنرى حق السنّ والشبهة في الإسلام ، ودورها في تحديد المنازل والدرجات .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «أراني في المنام أتسوك بسواك فجذبني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر فقبل لي : كبر . فدفعته إلى الأكبر منهما» .
رواه مسلم ^(١) والبخاري

وهنا نرى دقة الإسلام في تأديب أبنائه وجنوده . ففي الأمر الذي قد يراه بعض الناس هيئاً ، لا يستحقّ تأديباً أو توجيهاً ، رفع الإسلام من دوره وجعل له أدباً وقواعد ، وجعل للسنّ حقوقاً ودرجات في الأمور الهيئّة ، وفي ما هو أجلّ منها .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط» .
رواه أبو داود ^(٢)

ميزان عادل أمين . ودرجات بيّنة واضحة . وحقوق كريمة وأدب كريم . إنه الإكرام الذي يستحقّه ذو الشبهة المسلم وحامل القرآن بشروطه ، ذو السلطان المقسط . وهكذا يتأدّب المسلمون بأدب القرآن والسنة ، حتى يعرف الناس فضل بعضهم بعضاً ، وتزداد مودتهم ، وتقوى عراهم ، ويقومون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يعرف شرف كبيرنا» .

رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح ^(٣)

(١) صحيح مسلم - كتاب الرؤيا (٤٢) - باب رؤيا النبي ﷺ (٤) - حديث رقم (٢٢٧١) .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب إنزال الناس منازلهم .

(٣) سنن أبي داود . سنن الترمذي - كتاب البر والصلة (٢٨) - باب ما جاء في رحمة الصبي . حديث رقم

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنّه إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنّه». رواه الترمذي وقال حديث غريب^(١)

وعن أبي سعيد سمرّة بن جندب رضي الله عنه قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنّ ههنا رجالاً هم أسنّ مني». متفق عليه^(٢)

ونلاحظ هنا أدب سمرّة بن جندب في مجالس المؤمنين حين تذكر أحاديث رسول الله ﷺ. ولكن إذا تحدّث من هو أصغر سنّاً في علمه المختصّ به، أو فيما يعلمه ويجهله غيره، فلا بأس في ذلك، وقد يكون الحديث من الصغير في بعض المواقف واجباً عليه حتى لا يكتّم علماً. وإنّما هنا يعرض الحديث الشريف أدب المسلمين في مجلس يدور فيه ما يعلمه الكبير والصغير أحياناً. فيكون حق الكبير أن يتكلّم. ويجب أن نلاحظ هنا أن من يتكلّم من كبير وصغير يحتاج إلى أن يتجه بنيتّه إلى الله حتى يكون كلامه تعبّداً لله تعالى، يبحث المسلم فيه عن الأجر والثواب، لا عن السمعة والرياء، وحب الدنيا، ومزاحمة الدرجات والمراتب.

وهكذا نرى قواعد الإسلام تتوالى لتتناسق فيما بينها من ناحية، ولتتناسق مع منهاج الله كله من ناحية أخرى، حتى يتكامل ميزان الإسلام في إنزال الناس منازلهم، وإعطائهم حقوقهم، وتأخذ كل قاعدة قدرها المحدد، وحجمها المبيّن، ودورها العادل.

٤ - ط - القوّة الإيمانيّة:

قد يأتي هذا العنصر أو ذاك، هنا أو هناك، ضعيفاً في أثره، واهياً في عطائه. فيكون لكل عنصر دوره بقدر قوته وفضله وأثره. فكلما ازداد المؤمن علماً علت مرتبته وارتفعت منزلته.

ذلك لأنّه أصبح أكثر قوّة وأبعد خدمة لدين الله. فالإسلام يُعدّ جنوده ليكونوا أقوياء في إيمانهم، وعلمهم، وخبرتهم، وموهبتهم، وأجسامهم، وسائر ما يهبهم الله من نعم القوّة، ليضعوا ذلك كله في طاعة الله ونصرة دينه. وكلّ عامل من العوامل السابقة يفقد دوره وأثره ومكانته، إذا لم يكن عامل قوة لدين الله ونصرته، وإعلاء كلمته. فيسقط دور العلم والخبرة

(١) سنن الترمذي - كتاب البر والصلة (٢٨) - باب ما جاء في اجلال الكبير (٧٥). حديث رقم (٢٠٢٢).

(٢) رواه البخاري في الفضائل. ورواه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز (١١) باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه (٢٧) حديث رقم (٩٦٤).

والموهبة وغير ذلك، إذا اتجهت إلى الدنيا تجمعها «سمعة» و«رياء»، و«جاهلية»، و«عصبية». إنها عندئذ تصبح في ميزان الإسلام ضعفاً لا قوة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. أحرص على ما ينفعك. واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان».

فالقوة عامل من عوامل التقدير في المنازل والدرجات. ولكن القوة تؤخذ عندئذ حسب دورها ومكانها في هذا الموقف أو ذاك. ففي الإمامة في الصلاة مثلاً ننظر إلى القوة في كتاب الله وقراءته أولاً، لا إلى القوة في البدن وغيره. ويمضي الميزان على ترتيبه الرباني، كما يعرضه منهج الله. وتأتي القوة في المال لتقدم الرجل في ميدان الإنفاق لينال أجره على قدر نيته وإنفاقه. ولكن القوة في المال والثروة والغنى لا تقدم الرجل إلى درجة العالم القوي، ولا إلى مرتبة المسؤولية لمجرد غناه. أما إذا اجتمعت بركة قوة الإنفاق مع بركة قوة العلم، كان الإنفاق عاملاً مساعداً ومميزاً، حين لا يدفع هذا الإنفاق الجهلاء والضعفاء، وأهل المصالح والهوى، إلى مراتب أعلى مما وهبهم الله من الوسع والموهبة.

إن ممارسة هذا الأمر في واقع المسلمين ضرورة. إنه يحمي مواهب الأمة وطاقاتها بدلاً من أن تبثد في صراع محموم، وفتنه هوجاء. إنه كذلك يجمع الجهود وينسّقها لتعمل كلها متعاونة صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص. إنه كذلك يجنب الأمة كثيراً من مواطن الزلل، ويقلل مجال الخطأ، ويضيّق منافذ الشيطان وأبواب الأبالسة. إنه مع هذا كله يصبح محكاً يكشف المعادن والنفوس، ويميز الخبيث من الطيب.

ومن دون ممارسة هذا الميزان الرباني العادل الأمين، تفتح فُرجة بعد فُرجة للضعفاء والمنافقين، يتسللون إلى صفوف المؤمنين ومنازلهم ودرجاتهم، تحت مظاهر من الفتنة والخذاع، والتمويه والزخرف. فتُخذع بذلك أعداد هائلة من المؤمنين، ثم تقف على أبواب الفتنة التي تحرق الأخضر واليابس.

لقد كانت أعداد المنافقين في حياة الرسول ﷺ غير قليلة وكانوا يعيشون مع المؤمنين دون

(١) صحيح مسلم - كتاب القدر (٤٦) - باب ما جاء الأمر بالقوة وترك العجز... (٨) حديث رقم

أن يكشف الله ورسوله أساءهم إلى جميع المؤمنين. ولكن السلوك والعمل كشف بعض المنافقين، فعرفهم الناس حين كان الميزان الذي يعمل هو ميزان المنهاج الرباني. وأسر الرسول ﷺ بأسائهم لحذيفة بن اليمان الذي لم يكشف السر ومضى معه. وقد يرى بعض الناس أن لو عرف هؤلاء. ولكن حكمة الله غالبه، وقدره ماض. وهو أرحم بالمؤمنين من أنفسهم بأنفسهم. فما كشفت أساء المنافقين، إلا لتظل هي مهمة الصف المؤمن أبدا الدهر أن يبارس ميزان الله في إنزال الناس منازلهم، ومعرفة حدودهم، وتقدير درجاتهم. فالمنافقون والضعفاء ممتدون في حياة الأمة على مدى العصور كلها. فلا فائدة من معرفتهم في مرحلة محدودة من الزمان معرفة تقوم على كشف أسائهم دون أن يتحرى الصف المؤمن واقعه، وحقيقته، ودون أن يمارس ميزان الإيمان، ميزان الإسلام ليقدر الناس، والقضايا، والمواقف، على أساس من إيمان وعلم بمنهاج الله، وبالواقع الذي يُدرَس ويُوزَن. إنها مسئولية الصف المؤمن أن يرعى بُنيانه المرصوص، حتى لا ينخره الفساد والتفاق والوهن. إنها مسئولية الصف المؤمن أن يمارس منهاج الله عن إيمان وعلم وخبرة ووسع، لا أن يمارس هواه عن مصالح وجهل وتدن بالوسع والقدرات، ثم يسمي ذلك عملاً صالحاً تحت طلاء الأصباغ. إنها مسئولية الصف المؤمن كله، ومسئولية كل فرد في أن يمارس ميزان الإسلام لا ميزان غيره، ولا ميزان هواه ومصالحه. فإذا لم يفعل المؤمنون ذلك - وهي مسئوليتهم في الدنيا، وهي أمانتهم، وهي مسئولية كل فرد منهم على قدر ما وهبه الله من وسع، وما كسب بوسعه ذلك من علم واجب عليه يستوعب وسعه، وما بذل بعد ذلك من ممارسة أمانة لإيمانه وعلمه، إذا لم يفعل المؤمنون ذلك فإنهم محاسبون على تقصيرهم في الدنيا والآخرة، تأخذهم الفتنة في الدنيا بما كسبت أيديهم، والحساب الشديد في الآخرة.

ولا يحسن أحد أن حديث رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، يبرر لأحد من المؤمنين إدباره عن ممارسة ميزان الله في حدود ما وهبه الله له من وسع استوعبه هو في إيمان وعلم. لا يُعذر مؤمن في أن يدبر عن مسئولياته نحو نفسه، وأهله، ومجتمعه، وأمته. ومسئوليته يحددها منهاج الله لا هواه، وميزان الله لا مصالحه. وممارسة ميزان الله تكشف الطبائع والسجايا، والمعادن والوسع، والعمل وأماراته.

لذلك جاء توجيه القرآن الكريم ليبين لنا هذه الحقيقة، وليجعل ممارسة المؤمنين لميزان الله ولنهاج الله ابتلاء يُمحّص ويختبر، ويكشف ويميز:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفَنَّهُمْ بَسِيمَهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ .
(محمد : ٢٩ - ٣١).

إن جميع عناصر التقدير والموازنة السابق عرضها تتجمع كلها لتبرز على صورة جهاد وعمل وبذل. إن الإيمان إذا صدق، والعلم إذا صح، والتجربة إذا نمت، إن هذا كله عندما يجتمع يقدم جهاداً وعملاً يراه الله والمؤمنون، ويصبح بذلك هو مصدر الموازنة، ومدار الابتلاء والتمحيص، وقوة الكشف والتمييز.

ولقد كانت هذه القضية إحدى القضايا البارزة في مدرسة النبوة. ولم يكن البناء والتوجيه مقصوراً على عرض الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة، مما سبق أن عرضنا قبسات منه، ولكنه كان تدريباً وسلوكاً ومواقف كذلك، تجعل القاعدة الإيمانية أثبت في القلب وأعمق في الصدور. ولقد عرف صحابة رسول الله ﷺ هذه القاعدة ووعوها، وضربوا أمثلة كريمة على حسن ممارستها.

فلما آلت الخلافة إلى أبي بكر رضي الله عنه انقطعت سبل الخلاف وسدّت أبواب الجدل، ذلك لأن المسلمين كانوا يعرفون كلهم شرف أبي بكر ومنزلته. ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصعد المنبر قال: «ما كان الله ليراني أني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر. فنزل منزل مرقاة ثم حمد الله وأثنى عليه وخطب في الناس.

ونحن اليوم نحتاج أن تكون هذه القواعد جلية مشرقة في حياة المسلمين، في مناهج البناء والتربية، وفي ميادين العمل والسعي، والجهد والجهاد، لتتكامل هذه القواعد مع سائر قواعد مناهج الله.

الفصل الثاني

الموازنة بين مسؤولية

الفرد والأمة

إذا كنا نتحدثنا في الفصل السابق عن خطر يهدد سلامة الممارسة الإيمانية، فإننا نعرض هنا مصدراً آخر من مصادر الخطر، حين تضطرب الموازنة عند المسلم بين مسؤوليته وبين مسؤولية الجماعة والأمة. فمن الناس من يستكين ويغيب في استرخاء وكسل، يحسب أن غيره سيقوم بالأمانة، فلا عليه إذا هو استراح. وينسى أنه يحمل مسؤولية، هو نفسه سيحاسب عليها يوم القيامة. ومن الناس من يتجاوز مسؤولياته إلى مسئوليات الأمة. ويقع الناس بعد ذلك بين رجل غاف في أمانه، ورجل تحرقه الفتنة. ولقد ذكرنا في مواقف متعددة قبل الآن طرفاً من ضوابط هذا الأمر، ولكننا هنا نؤكد القضية ونربطها بنصوصها من القرآن والسنة، حتى تستقيم الممارسة الإيمانية على نهج صادق.

خلق الله الإنسان وجعله خليفة في الأرض ليقوم بواجب الطاعة لله والعبادة، وليحمل مسؤولية ويؤدي أمانة، وليعمر الأرض بما فيها من نعم ظاهرة وباطنة، ويمضي ذلك كله من خلال تمحيص وابتلاء، حتى يتحدد مصير كل إنسان إلى الجنة أو إلى النار.

وتمتد المسؤولية في الإسلام من الفرد إلى الجماعة والأمة ثم إلى الناس كافة. وتنظم المسؤولية في حياة المؤمنين على تناسق كامل وترابط، حتى تتحدد الجهود، وتتحقق الأهداف.

وأول ما تبتدىء المسؤولية في نظر الإسلام من الفرد. إنها تبتدىء منه، فهو الذي يكون الجماعة والأمة. فما الأمة إلا أفراد التقت على مسيرة واحدة، ودرب واحد، ونهج واحد. وفي نظر الإسلام تكون الأمة المسلمة هي مجموعة الأفراد الذين يخضع كل واحد منهم لمنهاج الله، وتخضع الأمة كلها كذلك لمنهاج الله.

وتبتدىء المسؤولية من الفرد حين بين القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس

يوم القيامة فرداً فرداً، لا يغني أحد عن أحد شيئاً. إن هذه الصورة المتكاملة المتناسقة في منهاج الله تأتي قوية واضحة. وتكرر في كتاب الله حتى تزداد قوة ووضوحاً، وحتى لا يتفلسف منها أحد.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَدِيقِهِ، وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. (عبس: ٣٣ - ٣٧).

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ، مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ. يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. (الدخان: ٤٠ - ٤٢).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقَارَتِكُمْ، وَخَشَوَاتِكُمْ وَلَا يُجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾. (لقمان: ٣٢).

إن هذه الآيات الكريمة وكثيراً غيرها يكشف عن هول الحساب يوم القيامة، ويوضح بشكل حاسم مسئولية كل فرد أمام الحساب، حيث يكون لكل امرئ شأن يغنيه، ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً، (يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً). وتتوالى الآيات الكريمة لتثبت هذه الصورة من المسئولية يوم القيامة، يوم الحساب:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. (الأنعام: ٩٤).

صورة مربعة مفزعة، تجعل الإنسان وحده أمام هول الحساب، فردا تخطى عنه جميع الشفعاء من أهل وأصحاب وسلطان. وصورة أخرى:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا. أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا. وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾. (مريم: ٧٧ - ٨٠).

﴿ويأتينا فرداً﴾...! فردا واحداً، تخطى عنه الجميع. فلكل امرئ يومئذ شأن يغنيه.

ويتأكد المعنى في نفس السورة «مريم» بعد آيات قليلة من الآيات السابقة، مع ظلال جديدة:

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾. (مريم: ٩٣ - ٩٥).

وهكذا نرى دقة الصورة وهول الموقف مع كل آية.

ولكن هذا الحساب الذي يقف له كل فرد من بني آدم يوم القيامة، وهذا الهول في هذا الموقف، هو موقف حساب عما فعل هذا الإنسان الفرد من عمل في حياته الدنيا. فارتبط عمل الإنسان في الحياة الدنيا بهذا الحساب يوم القيامة، وبمصير الإنسان إلى جنة أو إلى نار. وهكذا تتحدد مسئولية الفرد، وتمتد من الحياة الدنيا إلى الآخرة، حيث يكون الحساب، الحق والميزان القسط، فلا تظلم نفس شيئاً.

وفي الحياة الدنيا يبرز الإسلام مسئولية الفرد ودوره كذلك في الأمة والمجتمع.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. فالأمر الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم. والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه. ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

رواه البخاري ومسلم^(١)

تحديد دقيق مفصل بين مدى المسئولية. إنها مسئولية الفرد نفسه: الأمير، والرجل، والمرأة، والعبد. مسئولية ممتدة في الأمة كلها.

وكل فرد فيها مسئول ومحاسب: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». تعبير دقيق للأمانة. إنها رعاية حقوق وأداء واجبات يُسأل عنها الإنسان ويُحاسب عليها.

ويمضي منهاج الله - قرآنًا وسنة - يفصل المسئولية لكل عضو في الأمة. يفصل مسئولية الأمير، ويبين حقوقه وواجباته، ويبين مسئولية الرجل في مختلف الميادين: تاجراً، عاملاً، زوجاً، إلى غير ذلك من الأمانات، يحدد كذلك حقوق الزوجة ومسئولياتها، والعبد كذلك

(١) صحيح البخاري. كتاب النكاح (٦٧). باب المرأة راعية في بيت زوجها (٩٠). وصحيح مسلم. كتاب الإمارة (٣٣). باب فضيلة الإمام العادل.. (٥). حديث رقم ١٨٢٩. والنص لمسلم.

تتحدّد حقوقه وواجباته ، حتى تكون الصورة جليّة مشرقة أمام كل فرد في الأمة ، فينهض إلى واجباته مهمة وعزيمة ، دون أن يجد سبباً للاختفاء وراء الأعذار . وترتبط هذه المسؤولية الواردة في الحديث السابق مع منهاج الله ارتباط إيمان وعقيدة ، وترتبط المسؤولية في الدنيا بالمسؤولية والحساب بين يدي العزيز الجبار .

وتتركز المسؤولية وتتضح ، وتغلق أبواب الأعذار ، في حديث رسول الله ﷺ عن حذيفة رضي الله عنه :

عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلمنا . ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» .
رواه الترمذي وقال حسن غريب^(١)

هكذا : «لا تكونوا إمعة» والأمعة هو الرجل الذي لا رأي له ، يتبع الناس على الحالة التي هم عليها من إحسان أو ظلم . والمؤمن يسر الله له هذا المنهاج الرباني ليكون هو ميزانه ، وليحدّد بموجبه رأيه وموقفه في ما هو في حدود وسعه وطاقته التي وهبها الله له . وهو محاسب بين يدي الله على نيّته وكلمته وعمله كله ، وعلى مواقفه وسلوكه . إنه محاسب على ما وهبه الله من نعمة في الدنيا ، من علم ومال وعافية وزوجة وولد وغير ذلك . إنه محاسب حساباً شديداً يوم الحساب على مدى خضوعه والتزامه لمنهاج الله ، في شئون حياته كلها .

وتمضي الآيات والأحاديث تبين مسؤولية الفرد بدقة وجلاء ، حتى لا يتفلت منها أحد وحتى تقوم الحجة على كل إنسان فرداً فرداً ، حين يقف بين يدي الله . ولا يقف مال الإنسان في الدنيا ، ولا منصبه ، ولا عشيرته ، حائلاً بينه وبين الحساب . ولا ينفعه كذلك أن يقول أضلّني فلان ، وخدعني فلان ، وزين لي الشيطان هذا الأمر أو ذاك . لن ينفعه شيء من ذلك أبداً فإذا سار على درب فإنها مسؤوليته أن يتبين وأن يردّ الأمر إلى منهاج الله ، فلا يتبع هوى ، ولا يمضي جاهلاً ، ولكنّ إيمانه و يقينه وعلمه بمنهاج الله ، وفهمه للواقع الذي يبارس إيمانه فيه يمدّ له نوراً يزيح الظلمة ، وضياء يكشف السبيل .

هذه هي المسؤولية الفردية عرضناها من خلال قبسات من منهاج الله . ولكنّ منهاج الله هو وحده يعرض هذه المسؤولية بصورتها الكاملة المتناسقة . وما دورنا هنا إلا أننا نذكر أنفسنا ليهب المؤمن إلى منهاج الله فيرى الصورة المشرقة والحجة الغالبة .

(١) سنن الترمذي . كتاب البر والصلة (٢٨) . باب ما جاء في الإحسان والعفو (٦٣) . حديث رقم

وهذه المسئولية الفردية لا تتعارض مع حقّ المؤمن في أن يستعين بصديق أو عالم. وقد يكون التعاون واجباً في موقف من المواقف ولكنّ التعاون لا يبطل المسئولية، ولا يلغي التكاليف، ولا يذهب الحساب، ولا يمنع العقاب.

والمسئولية الفردية لا تتعارض مع مسئولية الجماعة والأمة، ومسئولية القيادة والسلطان. ولكن المسئوليات كلها تتناسق وتتكامل حتى تصبح كل مسئولية أشد وضوحاً وأقوى جلاء بسبب هذا الترابط والتناسق. وحين يكون الفرد في الأمة مسئولاً، فإن مسئولية الأمة تنهض من امتداد مسئولية الأفراد وترابطها.

وترابط هذه المسئوليات كلها وتتناسق من خلال منهاج الله - قرآنا وسنة - وعقيدة. فيصبح منهاج الله نفسه هو الذي يوفر الموازنة الآمنة بين مسئولية الفرد ومسئولية الأمة. فإذا تفشى الجهل تعذر قيام موازنة بين المسئوليات، واضطربت الموازين، واختلطت الحدود، وعمل الهوى. فيظهر الناس الذين يتبعون عن جهل أو عن هوى، ويظهر الذين «اتبَعُوا» والذين «اتَّبَعُوا» وينفذ الشيطان من خلال الجهل والهوى، ليزين الفتنة والضلالة، وليمزق الوشائج. وليستبدل بها وشائج الجهل والأهواء، مغلفة بالزخارف والأصباغ.

فمنهاج الله إذن هو مصدر تحديد المسئولية الفردية، ومصدر تحديد مسئولية الجماعة والأمة، وهو الذي يقيم التوازن والتناسق والترابط بين جميع المسئوليات، على صورة لا تلغي أيّ مسئولية ولكن تقوّيها وتبرزها.

ويضع منهاج الله قواعد تهئية هذا التناسق والترابط، ويُقيم علاقات وروابط، ويضع مناهج ومسالك، لتؤمن هذه كلها هذا التناسق والترابط.

فالشعائر هي أول ما يقوم بذلك: صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، والزكاة، والحجّ والعمرة، والصيام. إن جميع هذه الشعائر تحمل معها القواعد التي يلتزمها الفرد ويكون مسئولاً عنها، وتحمل معها اللقاء الذي يربط المسئوليات في صورة جماعة وأمة ولا مجال للتفصيل هنا في هذه وإنما نكتفي بهذه الإشارة حتى يتنبّه المؤمن إلى جمال التناسق، وقوة الترابط بين المسئوليات.

والروابط الإيمانية: من أرحام وجوار وأخوة الإيمان وغير ذلك، تقيم كذلك هذه الموازنة الدقيقة، وتقيم التناسق والترابط. ولكن الموازنة تضطرب، والتناسق يبهت، والترابط

يضعف، حين تصبح هذه الروابط شعارات محلولة العرى، تحمل اللفظة والاسم، دون أن تحمل صفاء الممارسة العملية الإيمانية، من خلال إيمان وعلم.

وجود وليّ الأمر يربط الأمة كلها من خلال منهاج الله في مسئوليات محددة واضحة. فقيام السلطان المؤمن ينسّق هذه المسئوليات ويربطها، ويساهم في قيام الموازنة العادلة الأمانة.

وتمضي سائر قواعد منهاج الله لتحقيق هذه الغاية العظيمة في الموازنة بين المسئوليات كلها والتنسيق بينها: فالتعاون الذي يأمر به الإسلام، والنصيحة التي عبر عنها الحديث الشريف كأنها الدين كله، والشورى التي جعلها الإسلام نظاماً متكاملًا، هذه القواعد كلها تحفظ المسئوليات وتصونها، وتقيم بينها الموازنة الأمانة، وتنشئ بينها التناسق والترابط. فلو أخذنا النصيحة مثلاً، فإن التقصير فيها أو الإخلال بها يسبب اضطراباً في مسئولية الفرد نفسه من ناحية، واضطراباً في علاقات الأفراد، ومن ثم خللاً في مسئولية الأمة. وتكاد تكون النصيحة من أكثر قواعد الإسلام التي يتفلسف منها كثير من الناس، تحت أعدار الجهل والهوى، والنفاق، والمصالح.

ولو نظر أحدنا إلى نفسه ليرى كم هو نصيح لأُمته وإخوانه بالكلمة والرأي والعمل، وكم تلقى هو من نصيحة في حياته من إخوانه وأصحابه ورحمه، لو نظر أحدنا إلى نفسه في ذلك لوجد أن النصيحة التي جعلها الحديث الشريف كأنها الدين كله «الدين النصيحة...» هي قاعدة تكاد تكون واهية في حياتنا، لا تأخذ شكلها وأسلوبها وقوتها التي يريد لها الإسلام. فغياب النصيحة يوهن المسئولية الفردية، ويوهن مسئولية الأمة، ويجعل الموازنة بينهما مضطربة قلقلة. فإذا أضفنا إلى هذا ضعف أثر قواعد أخرى، ندرك طرفاً من أسباب اضطراب واقعنا، واختلاط الموازين فيه.

وفي معظم آيات القرآن الكريم يأتي خطاب المؤمنين على صيغة الجمع، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾. فكأن القرآن الكريم ينظر إلى الجماعة والأمة يحملها مسئولياتها ويبيّن واجباتها.

وفي القتال تظل نظرة الإسلام موجهة إلى الصفّ المؤمن الواحد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرُصُوصٌ﴾^(١) ولا يستقر هذا الصف الواحد إلا إذا

(١) الصف: ٤.

صدق كل فرد فيه في مسئوليته . ويكون خطاب الجمع يحمل ظلين : ظلٌ يوحي بمخاطبة كل فرد ليُحمّله مسئوليته ، وظلٌ يوحي بمخاطبة الصفِّ الواحد الذي تنشأ مسئوليته من قيام كل فرد بواجبه .

وتأتي بعض الآيات الكريمة لتحدد المسؤولية في الأمة كلها حتى عندما يكون التقصير أو الإثم في عدد محدود :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .
(الأنفال : ٢٥) .

هذه حالة يعم فيها العذاب فيطوي الأمة كلها . وهنالك حالة أخرى تُبين أهمية المسؤولية ، ولو قام بها نفر من الأمة :

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ يَبِيسٍ لِّمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ .
(الأعراف : ١٦٤ ، ١٦٥) .

ولا نجد فرقاً بين الحالتين إلا أن الحالة الثانية قامت فيها طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ﴿فأنجينا الذين ينهون عن السوء . . . ﴾ . أما الحالة الأولى فقد كان هناك طائفة ظالمة لا يظهر معها في الآية الكريمة طائفة أخرى تنهى عن السوء ، فأخذهم العذاب وأخذتهم الفتنة جميعاً .

ويتضح هذا الأمر عندما يأتي أمر الله سبحانه وتعالى موجهاً إلى المؤمنين جميعاً في سورة آل عمران لتنهض منهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .
(آل عمران : ١٠٤) .

مهمّات ثلاث مترابطات : يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . هذه هي أولاً مهمة كل فرد في الأمة يجب أن يقوم بها قدر وسعه وطاقته ، لا يعفى منها أحد :

عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان» ﴿^(١)﴾
رواه مسلم

فالمهمة مهمة كل فرد «من رأى منكم...»، والمسئولية هي مسئولية كل فرد. ومن هذه المسئولية الفردية تنشأ مسئولية الجماعة والأمة، ويأخذها العقاب إن هي قصرت بأمانتها، يأخذها العذاب كلها. ولذلك نجد الحديث الشريف الآتي يخاطب الأمة كلها:

عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه... ثم تدعونني فلا يستجاب لكم».
رواه الترمذي ^(٢) وابن ماجه

فمن هذا الحديث الشريف والحديث الذي قبله نرى شدة ارتباط مسئولية الفرد ومسئولية الجماعة.

ويخاطب القرآن الكريم الأمة في مسئوليتها، كما رأينا قبل قليل خطاب القرآن الكريم للفرد في مسئوليته:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْخَسِرُ الْمُبْطِلُونَ. وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
(الجاثية: ٢٧ - ٢٩).

صورة واضحة لقوة ارتباط مسئولية الفرد مع مسئولية الأمة. ولا تنهض واحدة منهما بدون وجود الأخرى. ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾. إنه تعبير عن استنساخ عمل كل فرد في الأمة، والأمة كلها جاثية تدعى إلى كتابها.

وجعل الله لكل أمة أجل، كما لكل إنسان أجل:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾
(الأعراف: ٣٤).

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان (١). باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (٢٠). حديث رقم (٤٩).

(٢) سنن الترمذي. كتاب الفتن (٣٤). باب ما جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٩). حديث رقم (٢١٦٩).

والأجل للفرد وللأمة عامل من عوامل المسؤولية والمحاسبة، يستوفي فيه الفرد، كما تستوفي الأمة، رزقه وعمله حتى لا يعود له حجة عند الحساب. إن الأجل هو المدة التي قضاهها الله بحكمته وعلمه وعدله للإنسان وللأمة حتى تحمل خلالها الأمانة والمسئولية فتحاسب عليها.

﴿وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زِينًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾
(الأنعام: ١٠٨).

فكل أمة مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى لينبئها بما عملت وليجري الحساب، وليقضي في أمرها بالحق. وإذا كان الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة أجلاً رحمة منه وعدلاً وحكمة، وجعل بذلك للأجل دوراً في سبيل الحساب، فقد بعث الله لكل أمة رسولاً كذلك ليكون الحساب مستوفياً أسس الرحمة الربانية الواسعة، وعدل الله الممتد، وحكمته الغالبة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾
(يونس: ٤٧).

وتمضي الآيات الكريمة تحدد وتبين ما من الله به على كل أمة من نعمة تكون موضع الحساب. فجعل الله برحمته لكل أمة منسكاً هم ناسكوه، وجعل لكل أمة شرعة ومنهاجاً، وينزع الله يوم القيامة من كل أمة شهيداً من أنفسهم.

ويمضي منهاج الله في بناء هذا التلاحم بين الفرد والأمة بناءً متيناً. فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال وهو على منبر من آجرٍ وعليه سيف فيه صحيفة معلقة: «والله ما عندنا من كتاب يُقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة فنشرها فإذا أسنان الإبل وإذا فيها المدينة حرم من غير إلى كذا، فمن أحدث بها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً. وإذا فيه ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. وإذا فيها من وإلى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».^(١)
رواه البخاري

فهي الذمة التي لا تخفر، ذمة تربط الأمة كلها في مشارق الأرض ومغاربها، تربطها في رباط متين لا يقطعه إلا منافق أو فاسق أو عدو للمسلمين.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩٦) باب (٥).

كما ذكرنا سابقاً فإننا هنا نأخذ نماذج فحسب، لا نعرض الصورة المتكاملة. فالصورة المتكاملة يعرضها منهاج الله وحده.

ولا يستطيع الفرد أن يؤدي أمانته، أو أن يرقى مسؤوليته، إلا إذا استوفى شروط القيام بها. ونستطيع أن نضع ثلاثة أسس رئيسية لذلك: الإيمان، العلم بمناهج الله وبالواقع، الوسع، وعلى قدر ما يقوى كل عنصر من هذه العناصر تقوى المسؤولية.

كذلك ترتبط مسؤولية الفرد بمعرفته لحدوده ودرجته، ومعرفته لحدود من يتعامل معهم ودرجاتهم. ومن هنا يرتبط هذا البحث بالبحث السابق حتى يكمل أحدهما الآخر. ويرتبط الأمران بالممارسة الإيمانية ليوفر لها سبيلاً أقوم وموازنة أدق.

إذا كنا عرضنا في الصفحات السابقة أهم العوامل الإيمانية التي تقيم الموازنة بين مسؤولية الفرد والأمة مثل: المنهاج الرباني، الروابط الإيمانية، السلطة وولي الأمر، التعاون، النصيحة، الشورى، إلى غير ذلك من القواعد الإيمانية، فلا بدّ هنا، مع ختام هذه الكلمة، من أن نشير إلى عنصر هام كذلك تجتمع في ممارسته العناصر السابقة كلها. هذا العنصر هو التنظيم الإداري الذي يحدد الصلاحيات والمسؤوليات والواجبات، والذي تنهض من خلاله مؤسسات إيمانية تساعد في هذه الممارسة الإيمانية الواسعة.

فالإدارة والتنظيم الإداري والمؤسسات الإيمانية تمثل في حقيقة الأمر موهبة الأمة وقدرتها على ممارسة منهاج الله في الواقع البشريّ النامي المتطور، دون أن تتعطل قواعد الإيمان، أو تترك. وإنما تدفع موهبة الأمة الإدارة والتنظيم الإداري والمؤسسات، والنهج والتخطيط، من خلال نور الإيمان وبركة قواعده ومناهجه.

ويمكن على ضوء ذلك أن نضع العوامل الرئيسية التي توفر للمؤمنين موازنة أقرب للتقوى، وممارسة أدنى من الأمانة، على النحو التالي:

١ - أن تكون الأمة كلها ملتزمة بمناهج الله إيماناً وتدبيراً وممارسة، يردّون أمورهم كلها إليه عن إيمان وعلم وخبرة.

٢ - أن يكون للأمة نهج في كل ميدان من ميادين الممارسة الإيمانية، نهجاً يرسم التفاصيل، وتضعه الأمة على أساس من منهاج الله والواقع البشري الذي تعيشه. إن هذا النهج تضعه مواهب الأمة المؤمنة، وقواها العاملة. ويظل هذا النهج ينمو مع الممارسة.

٣ - أن يكون هنالك نظام إداري يقوم كذلك على أساس من منهاج الله والواقع البشري، يحدّد الصلاحيات والمسؤوليات في كل مستويات الأمة، من خلال هذا النظام المتناسق.

٤ - أن تضع المهوبة المؤمنة المختصة القوانين التي تبين الجزاء والحساب، والحدود والوسائل بشكل تفصيلي لكل حالة في واقع الأمة، لتقوم هذه القوانين على أساس من منهاج الله، والواقع الذي تعيشه الأمة بما فيه من نهج وإدارة.

٥ - أن يظلّ عبق الحرّية غنيًا، وطيب الأمن نديًا، حتى يشعر المؤمن بحقيقة عزة الإيمان، ولحمة الإسلام، حبلاً مشدودة، وعرى موثقة، لا تقطعها عصبيّات جاهليّة.

ونرى أنه بغياب هذه العوامل كلها أو بعضها، تضطرب المواقع، وتختلط الحدود. وعلى قدر غيابها يكون الاضطراب.

ونشعر هنا أنه لا بد من التأكيد أن القاعدة هذه أو تلك من قواعد الإيمان لا تعمل وحدها معزولة عن سائر قواعد الإيمان. فقواعد الإيمان تمثل شبكة متلاحمة، ترتبط كلها فيما بينها وتتناسق على نحو رباني معجز. ويأتي هذا الإعجاز على صورتين على الأقل: فهو ترابط معجز من حيث أنه لا تستطيع قوى الإنسان أن تضع من عند أنفسها نظاماً ترابط قواعدهِ وتتناسق على نحو ما هي عليه في منهاج الله، حيث تكاد تتشابك كل قاعدة مع سائر القواعد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه القواعد بالرغم من الإعجاز في ترابطها، فإنها ميسرة بأمر الله تيسيراً معجزاً كذلك، حتى أصبحت ميسرة لكل إنسان مكلف، لا يجد العنت في فهمها وذكرها، إذا عرف اللغة العربية وضح إيمانه.

إننا نثير هذا الموضوع: «الموازنة بين مسئولية الفرد ومسئولية الأمة» لأن المسئولية تكاد تهبط وتضيع في حياة المسلمين اليوم، ومع أن مسئولية الأمة عامة مضطربة تائهة، فإنها بلغت هذا الاضطراب بسبب اضطراب مسئولية الفرد.

أعداد هائلة في الأمة تعطلت طاقتها وقدراتها، وهي جالسة تنتظر، على أرائك من اللهو والاسترخاء، لا يعرف «الفرد» فيها مسئوليته وحدوده، وواجباته ومدى الأمانة الملقاة على عاتقه. إنه ينتظر العبقرى المصلح والبطل الملهم ليصلح الأمة كلها، وليعيد فلسطين، ويتنصر على الأعداء كلهم، بعبقريته دون أن يشعر «الفرد» بمسئوليته هو، أو بأن عليه قسطاً من المشاركة والواجب. إنه يريد أن يجلس ويسترخي وعلى القائد الملهم العبقرى أن يصنع

وحده المعجزات، وحوله نَوْمٌ وغفاة وسكاري. وما درى «الفرد» أن الله قد وضع في عنقه أمانة، وفي حياته مسئولية، وأنه مدعو للقيام بأمانته هو ومسئوليته هو، سواء أظهر العبقري الملهم أم لم يظهر. وكان صاحبنا لا يدري أنه لو ظهر هذا العبقري فإنه بحاجة إلى قدرات وطاقات، لا إلى نَوْمٍ وكسالى، وأن من أول أعماله أن يوقظ من يستيقظ. فأما من استيقظ ورشد فيتخذ فيهم حسناً، وأما من ظلم نفسه وأتمته وغاب في سكر وخدر، فإنه يعذبه ثم يُرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً:

﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ قُلُّوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَإِنِغ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا أَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحَسَنَى وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾ . (الكهف: ٨٣ - ٨٨).

﴿قال أما من ظلم . . . !﴾ وأي ظلم أشد من أن يسترخي الرجل في هو وخدر، وأتمته تنهشها الذئب وتفتح حولها الأفاعي، وتطبق عليها وحوش الأرض، مدت مخالبها وكشرت عن أنيابها، تهدد الأرض والثمر والثروة والأعراض. أي ظلم أشد من ظلم رجل غفا وأتمته تناهبها المحن والنكبات، دماء ومجازر هنا، وهيب وحرائق هناك، ودمار وأطلال . . . ! أي ظلم أشد؟ أي ظلم أشد من أن يجهل أو يتجاهل أحد مسئوليته، واجباته، أمانته، أو يدبر عن واجب، أو ينسى عهداً، أو ينقض ميثاقاً وثقه مع ربه وخالقه؟

ولا يستطيع أحد أن يعرف مسئوليته المنوطة به، والأمانة التي حملها، والعبادة التي خلِقَ لها والخلافة التي جُعِلَ لها، إلا من منهاج الله - قرآنًا وسنة - فمن أدار ظهره لمنهاج الله، وهجر القرآن والسنة، ورضي بالجهل، وقنع بالعجز، واكتفى باللوم، والقليل والقال، وقتل الوقت باللجاج والجدال، أو أقام كل يوم صنفاً يحسب أنه يقربه من الله، من فعل هذا وذاك قَانَى له أن يعلم حدوداً، أو يعرف مسئولية.

الفصل الثالث

قضايا في الممارسة الإيمانية

١ - بين الأمس واليوم :

لم يكن الرسول ﷺ حين بعث بالرسالة من عند الله ، لم يكن يجابه قوماً ضعفاء في قدراتهم . لقد كان يجابه سادة الجزيرة العربية ، ويجابه أعظم دولتين على الأرض . وكان سادة قريش رجالاً عُرِفوا بين قومهم بكل أسباب السيادة والرياسة آنذاك . فقد كانوا في ميزان القوم عقلاء ، أذكىء ، شجعاناً فرساناً ، رجال نخوة وحمية جاهلية . وكانوا أغنياء ، وكان الناس يدينون لهم بالسمع والطاعة . وكانت قدراتهم ومواهبهم الذاتية بارزة . ألم يدعُ الرسول ﷺ بأن يعزَّ الإسلام بأحد العمرين ؟ لقد كانوا رجالاً عظماء في كل موازين القوم آنذاك وأشار القرآن الكريم إلى هذه المنزلة التي يراها الناس في سادتهم :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَاتِ عَظِيمٍ ﴾ . (الزخرف : ٣١) .

فلم يكن الرسول ﷺ إذاً يجابه قوماً أغنياء ذوي قدرات متدنية . لقد كانوا ذوي قدرات متميزة في ميادين شتى . ألم يكن خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وعمر بن هشام ، والوليد بن المغيرة ، وأبو سفيان ، وكثير غيرهم ، ألم يكن هؤلاء ذوي قدرات متميزة ؟ لقد كانت قدراتهم متميزة حتى بلغ حرص الرسول ﷺ شديداً على دعوتهم . ولما دخل بعضهم الإسلام كانوا من أعظم طاقات المسلمين وقدراتهم ، كل في ميدانه وساحته .

وأما على الصعيد الدولي ، فقد كان الرسول ﷺ يعلم أن أمامه أعظم دولتين تتقاسمان الأرض . فجاءت أحاديث الرسول ﷺ تبشر بفتح كنوز هاتين الدولتين ، وخضوع شعوبها إلى الإسلام .

ولقد كانت رؤية النبوة أبعد من ذلك وأعمق . لقد كانت رؤية تخرق الأجيال والعصور بما يوحيه الله على عبده من علم الغيب ، وبما يهبه من عزيمة وقوة . فبشر الرسول ﷺ بفتح القسطنطينية ، وبشر بامتداد الإسلام . وانتصر الرسول ﷺ ، وانتصر المسلمون ، على أكبر أعدائهم كلهم .

حين بُعث الرسول ﷺ لم تكن مهمته سهلة على الصورة التي يظنها بعضهم اليوم . لقد كانت القوى أمامه أعتى من القوى التي نراها اليوم تحاول منازلة الإسلام . فعندما نقارن بين تلك الفترة وبين أيامنا هذه ، فإن قوى الأعداء كانت على عتوها الذي نجده اليوم ، وعلى جبروت وكبر وغرور ، وسلطان متمد ، وسلاح وعدة ، ومال ونفير . عندما نقارن بين الفترتين لا نجد الفرق في هذا الطرف من الفريقين . فهذا الطرف - طرف الأعداء - متشابه إلى حد كبير ، مع فروق يفرضها اختلاف الزمن وطبيعة السنن . ولكن الفرق العظيم نجده في طرفنا نحن ، في جبهتنا نحن . ففي هذا الجانب - جانب المسلمين نلمس الفروق العظيمة بين الفترتين . ومن هذه المقارنة والدراسة نعرف ميدان عملنا الأساسي ، ولكنه ليس الميدان الوحيد . إن هذا الميدان هو أنفسنا نحن . فقبل أن نضع اللوم على أعدائنا لأنهم غدرُوا بنا ، ولأنهم كذبوا ، وقتلوا ، وأفسدوا ، قبل أن نقول هذا كله ليكون تبريراً لهزيمتنا ، يجب أن نتوجه إلى أنفسنا ، لننظر في نيَّاتنا ، وإيماننا ، وعلمنا ، وكلمتنا ، وخطوتنا ، وعملنا كله . فإذا نظرنا في ذلك ، عرفنا سبب الهزيمة ، ودواعي الخذلان .

كثيرون يريدون النصر من خلال أرائك الراحة واللهو ، والبخل والجبن والنوم والحلم . وآخرون يريدونه من خلال الفاحشة والجريمة ، وآخرون يريدونه من خلال السهوة والجهل ، وآخرون يتطلعون إلى النصر من خلال الفتنة والشقاق والتنازع . ومن خلال هذا الواقع المرّ تمضي معاول الفتنة تهدم وتهدم وتهدم .

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها . وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها . ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال لي : إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد . وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضاً» . أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ^(١)

(١) سنن الترمذي . كتاب الفتن (٣٤) . باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته (١٤) . حديث رقم (٢١٧٥) .

ولو رجعنا إلى تاريخنا حتى يومنا هذا لوجدنا صدق حديث رسول الله ﷺ. فلقد عجزت دول أوروبا كلها على أن تهدم بناء الإسلام، لولا أن وجدت بيننا من حمل المعاول فهدم، ولولا أن كان بعضنا يهلك بعضا.

لقد كان لنا عدو من أنفسنا. وما كان لهذا العدو أن يظهر، ولا أن ينجح في فتنته، لولا الجهل الذي طغى، الجهل بكتاب الله وسنة رسوله، والجهل بالواقع، حتى اضطربت الموازين فصار الصديق عدواً، والعدو صديقاً، وصار المرض عافية، والعافية مرضاً، وصار الجهل تقدماً، والإيمان جهلاً، فاضطربت الموازين واختلطت الأمور، ودلف الأعداء.

من خلال هذا الواقع الذي نراه، يجب أن تمضي الممارسة الإيمانية، دون أن تتخذ من الواقع مبرراً لكسل وجهل، وتراخ واستسلام. من خلال هذا الواقع يجب أن تمضي الخطوات المطمئنة إلى الجنة، تشق طريقها وهي مطمئنة بالنصر، كما كان الرسول ﷺ وأصحابه مطمئنين إلى الله، واثقين بوعدده، وهم يجابهون أعتى القوى وأكثرها ضراوة ووحشية.

والممارسة الإيمانية تهدف إلى المساهمة في إعلاء كلمة الله ونصرة دينه، وحماية داره وثرواته وأهله، ودفع الدعوة الإسلامية في الأرض لتبني حضارة الإيمان.

إن الممارسة الإيمانية تهدف إلى هذا كله. ولا بد من أن تنطلق إليه من الواقع مهما كان ذلك الواقع. ومن أجل ذلك لا تستطيع الممارسة الإيمانية أن تنطلق، وتمضي من نصر إلى نصر، حتى يغير المسلمون ما بأنفسهم.

﴿... إِنْ أَلَّهِ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد: ١١).

وربما ينجح بعض المسلمين إلى شرح هذه الآية الكريمة من خلال فلسفة وجدل، تموت في حياتها الممارسة، ويضيع الجهد، ولا يعرف الناس ماذا يفعلون ولا أين يبدؤون، بعد أن تحذّرهم حلاوة شعار، وبريق مقال. لذلك نسهل الأمر على أنفسنا وعلى غيرنا، ونقول إن على المسلم أن يبدأ بنفسه، عليه أن يبدأ هو ليغير ما بنفسه هو، لا أن يجلس في صراع فلسفي، ينتظر الناس حتى يغيروا هم ما بأنفسهم. إن الآية الكريمة هذه نور مشرق في صدر المؤمن، يراها جلية قوية تأمره أن يبدأ بنفسه ويدعو غيره. ولكن لا تدعوه إلى أن يركن وهو ينتظر البشرية كلها حتى يغير الناس ما بأنفسهم، دون أن يأخذ نفسه بذلك.

لقد اعتاد كثير من المسلمين أن يطلبوا الصلاح في غيرهم، دون أن يطالبوا به أنفسهم، حتى لم يعد يعرف الناس من أين يبدأ الإصلاح.

لهذا كله نقول إن القضية الأولى في الممارسة الإيمانية هي أن يعرف المسلم أنه هو مطالب ومكلف، وأنه محاسب بين يدي الله يوم القيامة، لا يغني مولى عن مولى شيئاً.

من هنا يكون المنهاج الذاتي منفذاً للمؤمن، وعدة وقوة، ووسيلة وعلاجاً، ودرباً ونهجاً، ونجاة بإذن الله، دون أن تسقط مسئولية الآخرين، ودون أن يضيع واجب الموازنة بين مسئوليات الفرد ومسئوليات الأمة.

٢ - تكامل سلوك المؤمن وتناسقه :

من الناس كذلك من تراه ينهض للصلاة، فإذا نظرت إليه وهو في صلاته أيقنت أنه يصلي صلاة المسلمين. ولكنه بعد ذلك إذا خرج من الصلاة ومارس الفكر والسياسة كان اشتراكياً، وإذا عارك الأدب كان شيوعياً، وإذا تاجر كان جاهلياً رأسالياً، أو بدّل بين المذاهب كما يشاء. كم من الناس تراهم يصلون ثم إذا خرجوا من الصلاة شعروا كأن مهمة الإسلام انتهت، ودوره توقف. فإذا قرأت له في الأدب لا تحس بنبضة الإيمان فيه، ولا حرارة اليقين، ولا ترى أثر خشوع الصلاة. وإذا قرأت له فكراً لا تحس بحلاوة التوحيد ونور العقيدة. قد يصلي ويصوم، وقد يؤدي فريضة الحج، ثم ترى ولأه لعائلته قبل كل شيء، أو لمصالحه، أو لعصبته مهما تكن عصبته. إنه لا يستطيع أن يكون مسلماً في شعائره، مسلماً في فكره، مسلماً في أدبه، مسلماً في تجارته ومعاملاته، مسلماً في وطنيته إنه يجمع مذاهب الأرض كلها أو بعضها في ميادين سلوكه ونشاطه.

فإذا استطاع في الحياة الدنيا أن يموه بطلاء، وأن يزين بزخرف، فإن الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

نقلت مجلة «المجتمع» في عددها ٧٧٩ للسنة السابعة عشرة تاريخ ٧ ذو الحجة ١٤٠٦ هـ (١٢ أغسطس ١٩٨٦ م). حواراً دار في ندوة عنوانها «الإسلام والعلمانية». وتحدث أحد الاساتذة ليحاول البرهان على أن العلمانية لا تتعارض مع الإسلام. الأمر الغريب كان في الأدلة التي ساقها. قال: «إن العلمانية كانت في مصر كذا وكذا من السنين، فهل يعني هذا أن مصر كانت كافرة؟». لقد وضع الاستفهام بشكل حساس مغلوط. فإذا كان النظام

الذي طُبِّقَ في مصر في فترة من الفترات تبنى العلمانية فإن هذا التبنى لم يبلغ وجود المؤمنين العاملين في مصر. فمصر بلد مسلم وشعبها مسلم لا يلغيها قرار نظام. فلاستتاج خاطيء مثير ومحرج. وقال كذلك «إن النحاس باشا كان أكثر الزعماء تمسكاً بالإسلام ومع ذلك فقد كان علمانياً حتى النخاع». لقد نسي الاستاذ أن حقائق الإسلام تؤخذ من الكتاب والسنة، وليس مما يقوله أي زعيم. فإذا أخطأ إنسان، أو ناقض نفسه، فلا يفرض هذا التناقض على المسلمين، ولا ينشأ عنه نهج إيمان ولا يكون منه أبواب تبرير. وكان الأخرى بالاستاذ أن يتجنب هذا الاختيار، وتلك التعبيرات حتى يكون أقرب للبحث العلمي الدقيق، بعيداً عن إثارة العواطف.

ولقد ردّ في هذه الندوة الاساتذة المشتركون وقدموا رأي الإسلام بجلاء وبيان.

وجاء في كتاب الولاء والبراء في الإسلام للأستاذ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني في الصفحة ٣٩٣ من الطبعة الأولى مستشهداً على اضطراب الولاء لله سبحانه وتعالى، ما يلي:

«أما عباس محمود العقاد فيقول في كتابه «التفكير فريضة إسلامية»: ما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديمقراطية أو يعمل للاشتراكية، أو يعمل للوحدة العالمية؟ وما الذي يمنع المسلم من أحكام دينه أن يقبل مذهب التطور أو يقبل الوجودية في صورتها المثلثية...» انتهى.

نجيب العقاد بكلمات قليلة فنقول له: نعم إن دين المسلم كله يمنعه من ذلك لأن دينه يعلمه أن يعمل إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، يعلمه أن يعمل الخير لا الشر، والحق لا الباطل. ونعجب من تناقض العقاد حين يقول هذا، ويكتب كذلك كتبه «العبريات»، فالديمقراطية والاشتراكية والوجودية تحمل في جذورها وكيانها نظريات فكرية وفلسفية تتعارض مع الإسلام. وما كان لمثل هذه الحقيقة أن تغيب عن العقاد.

من هذه الأمثلة نرى مدى اضطراب الميزان، واضطراب الولاء، واضطراب العقيدة في نفوس الكثيرين. وربما دفع هذا الاضطراب أناساً كي يضعوا ولاءهم لعدو للمسلمين، مع وجود النص الصريح على حرمة ذلك، تحت ضغط الهوى والجهل والمصالح الذاتية.

ولو نظرنا في مجتمعنا وتاريخنا لوجدنا نماذج شتى من ذلك، كانت باباً دلف منه الأعداء، وثغرة تدفق منها البلاء.

ونعجب ونعجب حين يصرح بعض المسلمين، كما نشرت جريدة اللواء الأردنية في عددها رقم ٦٨٥ تاريخ ١٩/١٠/١٤٠٦ هـ من «أنه مع الديمقراطية بكل أبعادها ومعناها الكامل

والشامل فالشعب هو الذي يحكم على الأشخاص والأفكار». ولا نردّ على ذلك، فقد سبق أن رددنا على كل هذه التصوّرات والأفكار في كتابين: «ملاحم الشورى في الدعوة الإسلامية، الشورى لا الديمقراطية»^(١).

هذه نماذج، كما ذكرنا، مما يعانیه مجتمعنا من اضطراب التصورات والموازين. ولقد كان من أهم أسباب هذا الاضطراب هو تعدد المصادر البشريّة التي يأخذ منها المسلم دينه وعقيدته بعيداً عن منهاج الله، أو قريباً منه قريباً لا يبغي.

لذلك كان المنهاج الذاتي يقوم على أساس المنهاج الربانيّ ودراسة الواقع من خلاله، حتى تتوحد مصادر الرؤية، وينهل الناس جميعاً من منهل صاف عذب، فنكون نحن قد أدينا واجبنا، واستجبنا لداعي الله، والله يفعل ما يشاء.

لذلك كان المنهاج الذاتيّ حلّاً لهذه المشكلات والتناقضات، حلّاً تقوم به الطاقة البشريّة وفاء بعهدّها، وقياماً بخلافتها، وأداءً لأمانتها والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء. إنّ هذا التناقض في حياة المسلم يمزّق شخصيته، ويترك في داخله صراعاً هائلاً يستنفذ طاقته وقدراته، ويبعد قواه ومواهبه، ويسحق نفسيته وشخصيته. والوضوح والتناسق، والترابط والتكامل، يهب النفس هدوءاً وطمأنينة، ورضا وسكينة، وقوة وعطاء.

٣ - تكامل فقه الدعوة:

إن فقه الإسلام يمثل في أساسه صورة متكاملة متجانسة، لا يتمزّق إلى قطع، يحسب بعض الناس أن قطعة منها تغني عن القطع الأخرى.

ربما علق في ذهن الكثيرين أن الفقه هو أحكام الشعائر فحسب، وربما ظن بعضهم أنه أحكام المعاملات فحسب، وربما رأى آخرون أنه هنا أو هناك. والحق أن الفقه أمر عام يشمل ميادين الممارسة الإيمانية كلها، على تناسق وترابط وتكامل، وهو يرتبط كله بالعقيدة والتوحيد، وينبثق عنها، ويظل في نورها وبركتها.

عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

(١) يراجع كتاب الشورى لا الديمقراطية للمؤلف. وكتاب الولاء والبراء في الإسلام للأستاذ محمد بن سعيد القحطاني.

(١) صحيح مسلم. كتاب الزكاة (١٢). باب النهي عن المسألة (٣٣) حديث رقم (١٠٣٧)، كتاب الإمامة (٣٣) باب لاتزال طائفة من أمّتي (٥٣). صحيح البخاري. كتاب العلم (٣). باب (١٠).

فالفقه إذن هو خير وهو في الدين . فقه في الدين كله لا في جزء منه . فقه في منهاج الله قرآناً وسنة ، ليوفر للمؤمن القدرة على ممارسة دينه وإيمانه في جميع الميادين التي يخوضها وعلى قدر المسؤولية التي يحملها . فالمؤمن يحتاج الفقه في بيته ، ووظيفته ومهنته ، ومع أهله وجاره وصاحبه ، ومع وطنه وأُمته ، إنه يحتاج الفقه ليقيم علاقاته على أسس إيمانية واعية في حياته كلها ، دون أن يدفعه نص واحد إلى إغفال نصوص أخرى في القضية الواحدة . ولكن الفقه يدفعه إلى سلامة الموازنة بين النصوص كلها ، وكذلك بين النصوص والواقع والقضية . والفقه لغة : العلم بالشيء ، والفهم له والفطنة . وغلب على علم الدين لشرفه . ووردت الكلمة في كتاب الله ليعطي لها معناها وامتدادها في حياة المؤمنين ، وظلالها وندائها ، وبعدها وعمقها . ولنستمع إلى بعض الآيات الكريمة نتلمس فيها الظلال والندى ، والمعاني والمدى :

﴿ وَأَحْلَلْ عَقْدَهُ مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ . (طه : ٢٨) .

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْتُ لَأْتِيَنَّ لَهُمْ يَفْقَهُوهُ ﴾ . (الأنعام : ٦٥) .

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوهُ ﴾ . (الأنعام : ٩٨) .

﴿ ... وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ ﴾ . (التوبة : ٨٧) .

﴿ ... وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُوهُ ﴾ . (المنافقون : ٧) .

﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ . (التوبة : ١٢٢) .

وآيات أخرى في كتاب الله تمدد من الظلال وتنشر الندى . ومن هذا كله نحاول أن نضع تعريفاً محدداً لهذه الكلمة الطيبة ، حتى يكون استخدامها واضحاً ، وتناولها ميسراً .

فالفقه هو العلم والقدرة على ممارسة منهاج الله في الواقع البشري ممارسة تقوم على الإيمان والعلم بمنهاج الله والواقع ، والموهبة ، والخبرة ، ممارسة تتميز بالشمول والامتداد ، وإدراك العلاقة بين القواعد الإيمانية وبينها وبين الواقع ، العلاقة التي تقوم على أساس التكامل والتناسق في منهاج الله ، ذلك في حدود الوسع والطاقة والمسؤولية والأمانة . وبإيجاز فالفقه هو القدرة على ممارسة الآيات والأحاديث رأياً وموقفاً وسلوكاً ، ممارسة تخضع للشروط السابق

ذكرها في جميع الميادين التي يعمل فيها المؤمن . ومن هذا التعريف ، ومما سبق عرضه ، نستطيع أن نتلمس بعض خصائصه . إنه أولاً وقبل كل شيء إيمان وعلم وموهبة . إنه يحتاج إلى فطنة وكياسة . إنه نعمة من عند الله . إنه علم يقوم على قاعدتين أساسيتين : العلم بمنهاج الله والعلم بالواقع . إنه علم يمتد مع امتداد منهاج الله وامتداد الحياة ، لا ينحصر في ميدان واحد ، ولا ينخفق في عصر واحد . وإذا كانت هذه النعمة من عند الله وإذا كان يمكن كسب شيء منها بالجهد ، فإن أهم الجهد هو الجهد في العلم بمنهاج الله ، والتبصر بالواقع ، والتقرب إلى الله بالشعائر وسائر الطاعات . ثم بعد ذلك هي قدرات ووسع يهب الله منها لمن يشاء من عبادته على حكمة غالبية منه ، فله الحمد والفضل والمنة . وليعرف المؤمن حدّه ، وليعلم أن أول قاعدة نتعلمها في الفقه هو أن يعرف المؤمن حدوده فلا يفتي في ما لا يعلم . ونذكر حديث رسول الله ﷺ ، حديثه العظيم الجامع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . رواه الترمذي .

والذي لا يعني الفرد المؤمن في خطوطه العريضة هو ما خرج عن حدود مسؤوليته وأمانته ، مما لو دخل فيه أساء وأفسد . وكذلك هو مما خرج عن حدود وسعه وقدرته . ولكن منهاج الله ذاته يدرّب المؤمن ليعرف حدود ما يعنيه وما لا يعنيه . وإنما نحن نشير هنا إشارة لا تغني عن العودة إلى منهاج الله ، لأخذ العلم الكامل والتدريب الواسع .

٤ - ردّ الأمور إلى منهاج الله :

إذا كانت معرفة المؤمن لحدوده هي قاعدة رئيسية أولية ، حتى لا يتورط المسلم في ما لا علم له به ، أو في ما لا يقوى عليه ، وحتى يكون دائماً أقرب إلى التقوى ، فإن القاعدة الرئيسية الثانية هي ردّ الأمور كلها ، صغيرها وكبيرها إلى منهاج الله ، كل قدر وسعه وطاقته ، ومسؤوليته وأمانته .

على الفرد المؤمن أن يردّ قضاياها إلى منهاج الله ، وعلى الجماعة أن تردّ قضاياها إلى منهاج الله ، وعلى الأمة كلها كذلك ، علمائها وولاة أمرها ، عليهم جميعاً أن يردوا القضايا إلى منهاج الله .

من أجل ذلك نضع القواعد الأساسية التي لا بد من أن يعلمها المسلم ويتدرب عليها لتحقيق هذا الأمر :

٤ - أ - النية :

وأول هذه القواعد وأهمها هو صدق النية وإخلاصها، وصدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى. وتصدق النية على قدر ما يحمل المؤمن من صفاء إيمان. والنية هي من أهم القضايا التي يتميز بها الإسلام عن مذاهب البشر. ولا بد من أن يظهر هذا التميز في المسلم، في كلمته، وفي تصوره، وفي خطوته. والنية ممتدة في حياة المسلم كلها، وعليها يقوم نجاح عمله كله، وقبوله عند الله. ولقد سبق أن تحدثنا عن النية في أكثر من موقف: ولكننا نعيد ونؤكد أهمية النية في نجاح رد الأمور إلى منهاج الله. فإن عدم صفاء النية يخلط المعاني، ويوقع في الاضطراب، ويدفع إلى سوء التأويل.

٤ - ب - القضية والواقع :

كذلك يجب أن يدرس المؤمن القضية التي يريد أن يردّها إلى منهاج الله، دراسة واسعة كافية توفر له: اليقين والتثبت، وتنفي عنه الظن والريبة. فعندما نردّ قضية إلى منهاج الله يجب أن نعي القضية ونحيط بها إحاطة تسمح لنا بردّها. ودراسة القضية تفرض ربطها بالواقع ومعرفة خيوطها وصلاتها، حتى لا تدرس قضية معزولة في فراغ. ودراسة القضية والواقع تعني جهداً وسعيّاً، وحركة ومتابعة، وبحثاً وتنقيّاً، حتى يطمئن القلب إلى ما توافر من معلومات. ودراسة القضية تحتاج إلى وقت يستغرقه الجهد. ولكننا لا نعي أن هذه الصورة التي نعرضها على هذا النحو تنطبق على كل قضية فالقضايا تتفاوت أهميتها، وصعوبتها، واتساعها. فالأساس إذن أن تعطي كل قضية ما تحتاج إليه من جهد، من خلال موازنة أمنية.

٤ - ج - معرفة الحدود والمسئولية والاختصاص :

فلا بدّ للمؤمن أن ينظر في مدى ارتباط القضية في دائرته ومسئوليته، أو في حدوده واختصاصه، أو في وسعه وقدرته. يجب أن يطمئن إلى أنه بدراسة هذه القضية أو تلك، يدرس أمراً مما يعنيه على أساس من حديث الرسول ﷺ، وأن يعرف الأساس الذي يرتبط به مع القضية، والقواعد الإيمانية التي تدعوه إلى دراستها، والاهتمام بها، وردّها إلى منهاج الله. فإذا استيقن من أنها خارجة عن حدوده، ردّها إلى صاحب الاختصاص حتى لا تضعف المصالح، أو ردّها إلى من هو أعلم منه، وسلك فيها السلوك الذي يأمره به دينه، عن علم ويقين، لا عن جهل وتحمين. وبذلك نتعلم أن تظلّ قضايا المسلمين في أيدي أهلها لا في

أيدي أعدائها، وأنها مصونة بالإيمان والعلم، والذمة الواحدة التي تربط المؤمنين:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .
(النساء: ٨٣).

فالمسلم يهرع إلى حماية أُمته. ومن بين وسائل الحماية هو عدم قتل القضايا بالظلم أو الإهمال أو التجاوز.

٤ - د - جمع الآيات الكريمة:

لا بد بعد ذلك من جمع الآيات التي تتعلق بالقضية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، جمعاً يقوم على العلم والتثبت، دون اللجوء إلى تأويل يخرج عن حدود اللغة العربية، أو يعارض قاعدة إيمانية. وحين نجمع الآيات الكريمة لا نأخذ جزءاً من آية وإنما نأخذ الآية كلها ليكون المعنى أدق وأوفى. ونحاول كذلك أن نفهم السورة التي وردت فيها الآية فهمًا يساعدنا على وعي أعمق للآية، وإدراك أوسع. ويظل فهم الآيات مرتبطاً بالإيمان والتوحيد، وبمراقبة الله وخشيته، وبالوقوف عند الحدود والوسع والطاقة. وربما يجد المسلم أن آية أو آيتين وضعتا له الحلّ البين فينتهي.

٤ - هـ - جمع الأحاديث الشريفة:

ثم يجمع المسلم الأحاديث الشريفة التي تتعلق بالقضية أيضاً، ويتثبت من صحة هذه الأحاديث ودرجتها، وسلامة المصدر الذي يأخذ عنه. ولا يتردد من أجل ذلك في أن يرجع إلى أي عالم مختص أو مرجع معتمد حتى يبلغ ذلك، مهما كلفه ذلك من جهد. ولا نعتقد أن المسلم يجد اليوم عتاً كبيراً، وقد يسر الله من الوسائل ما لم يكن متوافراً في عصور سابقة. وسيجد المسلم متعة طيبة وهو يعتاد البحث عن حديث والتأكد من سنده ونصه. ولكن الأمر سيكون أسهل بكثير إذا اعتمد مرجعاً موثقاً في هذا الأمر. وندعو الله أن يزيد الأمر سهولة ويسراً حتى تصبح الأحاديث الصحيحة في متناول المؤمن.

٤ - و - دراسة النصوص:

ثم يقوم المؤمن بدراسة هذه النصوص ليتثبت من فهمه لها ووعيه لها، وليتثبت كذلك من ترابطها فيما بينها، ومن علاقتها بالقضية المدروسة.

٤ - ز - الاستعانة بالعلماء وأقوال أئمة المسلمين :

حين يدرس المسلم نصوص القرآن والسنة، بعد أن درس القضية والواقع، فإنه يعلم عندئذ مدى ما درست هذه القضية في تاريخ الإسلام، فيستعين بذلك على قدر ما ترتبط القضية بجهود أئمة المسلمين وعلماهم. وتظل جهود علماء المسلمين على مر الأجيال خيراً يمدّ خيراً، وبركة تتصل ببركة، وعطاء يبعث العطاء، ونماءً يرفد نماءً.

٤ - ح - الشورى :

ويستعين بالشورى ما وسعته القضية. ويسمع رأي من يثق في دينهم وعلمهم وتقواهم. فتكون الشورى بذلك خيراً وبركة.

٤ - ط - الرأي والنتيجة :

من خلال ذلك كله يخلص إلى رأي ونتيجة تكون خلاصة نيته وتجرده لله سبحانه وتعالى، وخلاصة إيمانه وعلمه وجهده.

عندما يتدرب المؤمن على هذه الخطوات، تتكون لديه القدرة النامية في حدود وسعه وطاقته. وتصبح ممارسة هذه القاعدة تساعد المؤمن على صدق ممارسته لقواعد أخرى. فهذه القاعدة عند ممارستها في خطواتها السابقة تعرفه على قدراته ووسعه، وقدرات غيره. إنها تساعد على التعارف والتآلف، والتعاون والحب في الله، عندما يعرف كل مؤمن حدوده ومنزلته.

ولا يحسب المؤمن أن هذه الخطوات تحمل له المشقة والمعاناة في كل قضية. فمن القضايا ما يتضح له الرأي فيها مع بواكير النصوص التي تقدم له اليقين. فيوفر بذلك جهداً. ومن القضايا ما يحتاج إلى مشقة أوسع أو معاناة أشد. فلا يفزع المسلم من هذه المشقة والمعاناة. فله أولاً أجر عليها مبارك إن شاء الله إن صدق النية. وهي ثانياً أخف من معاناته حين يقدم رأياً جاهلاً أو تائهاً، أو رأياً يبنى على الهوى والجهل. وكذلك فإن المسلم يجب أن يعي أن الإيهان ليس نوماً وراحة، حتى يطلب كل شيء يأتيه دون جهد منه.

ولقد أصبح بعض الناس يريدون من غيرهم أن يفكر عنهم، ويدرس عنهم، ويبحث عنهم، ويقدم لهم الفتوى جاهزة. ونسى أنه في جميع الحالات يحمل هو مسئولية عمله ورأيه وكلمته، ويحمل مسئولية نومه وكسله، يحمل مسئولية ذلك كله بين يدي الله العزيز الجبار.

فلينهض المسلم إلى مسؤوليته وليعلم أن كثيراً من القضايا في حياته سيظل هو المسئول عنها في الدنيا والآخرة.

إن المسلم يحتاج إلى هذه الممارسة في جميع أمور حياته على قدر متفاوت من الجهد. فهو يحتاج إلى ممارسة إيمانه، وهو يضع تصميم بناء حتى لا ينهار البناء على سكانه، وهو يحتاج ذلك وهو يضع مواصفات فنية لعمل فني، وكذلك في كل عمل يقوم به لنفسه، أو لأهله، أو لأصحابه أو تنوط به الأمة مسؤوليته.

من أجل ذلك كان المنهاج الذاتي يساهم مع مؤسسات الأمة في الوفاء بهذه الأمانة، وتقديم هذه الحماية.

ويحسن بنا هنا أن نوجز الخطوات التي نقترحها في سبيل رد الأمور إلى منهاج الله. ونهدف من هذا الإيجاز تثبيت هذه القواعد في الصدور والقلوب، حتى تكون في أسس التربية والبناء.

- النية الصادقة والتجرد لله سبحانه وتعالى.

- دراسة القضية والواقع.

- معرفة الحدود والمسئولية والاختصاص.

- جمع الآيات الكريمة.

- جمع الأحاديث الشريفة.

- دراسة النصوص.

- الشورى.

- الرأي والنتيجة.

٥ - استمرار الممارسة الإيمانية وامتدادها:

ربما اعتاد بعض المسلمين أن يؤجل بعض واجباته الإيمانية حتى يجد وقتاً أوسع، أو مالاً أكثر، أو ظرفاً أفضل. وهو يبني تصوّره لذلك على رغباته وأمانيه، دون أن يلتزم في تقديمه أو تأخيرها لواجب بقواعد إيمانية، وعلم صادق، وإيمان صاف.

فلو قلت مثلاً لرجل أن يدرس كتاب الله، وقد وهبه الله القدرة على القراءة والكتابة، ووهبه العلم الدنيوي، أو لو طلبت إليه أن يتفقه في شعائره التي يؤديها، ومعاملاته التي

يُمارسها، أو أي شيء من مثل ذلك، ربما أجاب بأنه ينتظر حتى يتخرج من الجامعة، ثم يعكف على ذلك، أو يزعم أن دراسته الدنيوية تأخذ منه الوقت. فإذا تخرج ومن الله عليه بفضل، عاد واعتذر بأنه منهمك في البحث عن وظيفة، ثم يعد بأنه إذا استقر في الوظيفة أعطى هذا الأمر جهده. فإذا نال الوظيفة بفضل الله عاد يعتذر بحاجته إلى الزواج، ثم يعتذر بالزواج نفسه، ثم بالبنين، ثم بالجري اللاهث وراء المال. ويظل يجد أعذاراً يجعلها مبررات تحول دون فهمه لدينه، أو دون قيامه ببعض الواجبات الإيمانية التي قد تكون بعض الشعائر منها. وتمضي الحياة والأعذار تتجدد، والتقصير يمتد، حتى يفارق الإنسان الدنيا، يحمل معه جهله، ولا تنفعه أعذاره.

فلا بد إذن من أن نوضح قضية هامة في الممارسة الإيمانية، هي أن واجبات المسلم تبدأ من اللحظة التي يدخل فيها المسلم هذا الدين ببلوغ الرشد أو بالشهادتين. وتبدأ الواجبات وتمتد مع العمر كله، كل قدر وسعه وطاقته، ومسئوليته وأمانته. ولكن الوسع الذي نتحدث عنه هنا هو الوسع الذي وهبه الله لعبده، لا الوسع الذي يتوهمه الإنسان في نفسه من خلال أعذاره ورغباته وأهوائه. والأمانة هي الأمانة التي كلفه بها الله سبحانه وتعالى، لا تغيرها الأوهام والأحلام، ولا الجهل ولا الهوى.

من هنا تبدأ الواجبات وتمضي مع العمر كله. فإذا وعى المسلم هذه الصورة علم أن عليه أن يمارس إيمانه عن يقين وعلم في جميع ظروف حياته. يجب أن يمارس إيمانه وهو طالب وموظف، وهو عازب ومتزوج، وهو غني أو فقير. يجب أن يقوم بواجباته الإيمانية من خلال ظروفه وأوضاعه، دون أن يحول هذه الظروف إلى أعذار، إنه بذلك يخدع نفسه وحده، ولا يخدع أحداً آخر.

وأول هذه الواجبات التي نراها لا تسقط عن المسلم في مختلف ظروفه، مع الشعائر، هو تدبر هذا الدين، وفهم كتاب الله وسنة نبيه، وفهم الواقع الذي يعيش فيه، كل على قدر الوسع الصادق. والأمانة العادلة، حتى يستطيع ممارسة إيمانه على كل أحواله بصورة أقرب للتقوى.

من هنا كان المنهاج الذاتي يقدم للمسلم عوناً في ممارسة هذا الواجب الإيماني، وتيسيراً له حتى يتخفف من أعذاره، وينهض إلى مسئولياته.

لابدّ من أن يمارس المؤمن إيمانه عن علم لا عن جهل، ولا بدّ من أن تتمّ الممارسة من خلال ظروف حياته كلها، على موازنة أمينة بين الواجبات والمسئوليات.

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم نماذج توضح أهمية الممارسة الإيمانية من خلال مختلف الظروف والأحوال. فيوسف عليه السلام لم يمنعه السجن ولا التهمة الباطلة، من أن يبلغ دعوة ربه. فلما دخل معه السجن فتيان، وطلباً إليه تأويل ما رآياه في نومهما، وعدهما بتأويل ذلك. وكان وعده تهدئه للنفس المتعجّلة، كان كذلك تألفاً لهما ليسمعا ما سيبلغهما من دعوة ربه. وانطلق مباشرة، وبأسلوب نبوي عظيم، إلى الدعوة والتبليغ لا يصدّه عن ذلك شيء، مستفيداً من كل إمكانيات واقعه استفادة طاهرة نظيفة. وسورة يوسف تعرض هذه القصة بالتفصيل.

وأيوب عليه السلام لم يعطل المرض دينه ولا إيمانه ولا دعوته. ومضى صابراً محتسباً، وقد ابتلي في ماله وأهله وبدنه. مضى نبياً داعياً إلى الله، وقد قضى في البلاء ثمان عشرة سنة، حتى من الله عليه برحمته، ونجاه ورزقه:

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لَأُولَى الْأَلْبَابِ. وَخَذِبِيدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبَ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

(ص: ٤١ - ٤٤).

نعم! ﴿نعم العبد إنه أواب﴾. ذلك لأنه كان يرجع إلى الله في كل حاله من نعمة وشدة، وفرج وكرب. والرجوع إلى الله هو المضى على أداء الأمانة، والوفاء بحق الرسالة، لا تهون عزيمة، ولا يقعد عن واجب، يعرف مسئولياته ونهجه.

وتكشف لنا سيرة الرسول ﷺ كيف كان يمضي في دعوته من خلال ظروفه كلها، ومن خلال الواقع الذي تعاني منه الدعوة، دون أن تسقط الدعوة في أحضان الأعذار. ولقد رأينا رسول الله ﷺ وهو يرعى شئون أمته ودعوته وهو في أشد حالات المرض الذي توفاه الله فيه. فقد صعد المنبر، في مرضه ذاك، عاصباً رأسه، فذكر أصحاب أحد واستغفر لهم، وأكثر الصلاة عليهم، ثم تحدّث إلى الناس. وفي السيرة كذلك أنه غمِرَ ﷺ واشتدّ به وجعه، فقال: «هريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم». ولما

استبطن الناس في بعث أسامة وهو في وجعه، خرج إلى الناس عاصباً رأسه وحدثهم في ذلك . وهكذا ظل ﷺ يتابع شئون الأمة والدعوة وهو في أشد حالات المرض .

ولم تكن الدعوة وهمومها تمنع الرسول ﷺ من أن يعيش حياة الإنسان، حياة البشر: يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، ويتزوج، ويسامر أهله، ويلقى أصحابه، ويمرض ويعافي، ذلك كله لترى البشرية كلها أن أمر الدعوة يمضي من خلال حياة الإنسان وسعيه وعمله، دون أن تصد حاجات الرزق عن الدعوة والجهاد . ويصور لنا القرآن الكريم هذه الصورة :

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ . (الفرقان : ٧) .

وكذلك في حديث رسول الله ﷺ نجد صورة مشرقة لامتداد الممارسة الإيمانية :

عن أنس رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ . فلما أخبروا كأنهم تقالوها . وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ! قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

(١) رواه البخاري

فالعامل الصالح أو الممارسة الإيمانية تمتد في جميع ميادين الحياة، كل قدر وسعه، وقدر مسؤوليته وأمانته، ولا تنحصر في جانب واحد، حتى ولو كان ذلك الجانب شعيرة من شعائر الإسلام . فشعائر الإسلام كلها تمثل الأساس المتين الذي تمتد عليه الممارسة الإيمانية في ميادين الحياة .

ومن هذه النظرة تمتد الممارسة الإيمانية من العمل الصغير الذي قد يحقره بعض الناس إلى جلائل الأعمال :

(١) صحيح البخاري . كتاب النكاح (٦٧) . باب الترغيب في النكاح (١) .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

رواه مسلم^(١)

ومن هذا الشمول والامتداد لطبيعة الممارسة الإيمانية، تكتسب الممارسة الإيمانية سائر الخصائص، لترتبط كلها مع قواعد المنهاج الرباني. ولذلك نرى أن المداومة على العمل، ومتابعته والاستمرار فيه، حتى لو كان العمل قليلاً، هي من خصائص العمل الصالح والممارسة الإيمانية:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة. فقال: من هذه؟. فقلت: امرأة لا تنام. تصلي. قال: «عليكم من العمل ما تطيعون. فوالله لا يملُ الله حتى تمّلوا وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه».

متفق عليه^(٢)

فمداومة العمل الصالح هي من خصائص الممارسة الإيمانية، حتى يرسم المؤمن بعمله نهجاً مستمراً، وتمضي الأجيال المؤمنة مداومة على العمل الصالح، تبني وترفع البناء وتعلي، حتى يمتد الخير في الأرض من جذور نامية، تصدُ الشر وتقطع جذوره. ولا يبقى في الأرض قوة إلا جذور العمل الصالح.

ولا ننسى أن نذكر أنفسنا بحديث الرسول ﷺ، يعلمنا أساس العمل الصالح ألا وهو الصلاة. فمنها تنطلق الممارسة الإيمانية وعليها تقوم، لا لتُحَقَّق في زاوية ضيقة، ولكن لتمتد، منطلقاً من الصلاة وبركتها ونورها، إلى ميادين الحياة، مع مصاحبة منهاج الله إيماناً وتديراً، وعلماً وعملاً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح. وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة؟ ثم تكون سائر أعماله على هذا».

رواه الترمذي^(٣)

(١) صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب (٤٥). باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٤٣). حديث رقم (٢٦٢٦).

(٢) صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافر. (٦). باب (٣١). حديث رقم (٧٨٥).

(٣) سنن الترمذي: أبواب الصلاة (٢). باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (٣٠٥) حديث رقم (٤١٣).

٦ - بين بذل الجهد وجني الثمار:

يضع المؤمن جهده ويصبّ عرقه في دين الله عملاً صالحاً، وممارسة إيمانية تستوفي خصائصها، دون أن يتعجل جني الثمار في الدنيا. فكما أن لكل ثمرة في البستان شروطاً وسنناً ومواقيت لنضجها وقطفها، فكذلك ثمار الجهد والعمل لها شروطها وأوانها. أما شروطها فقد عرضنا منها قبسات، وأما أوانها فلله سنن تمضي، «والله غالب على أمره». ولم يجعل الله سبحانه وتعالى جني الثمار في الدنيا شرطاً لقبول العمل في الآخرة. فالأساس أن المؤمن يعمل وقلبه معلق في الجنة، ونيّته خالصة لله، وجهده مطابق لدين الله مطابقة إيمان وعلم، لا مطابقة ظنٍّ وتحمين، ورغبة وهوى. فالثمرة الحقيقية التي يرجوها المؤمن هي عند الله، في الدار الآخرة.

أما في الدنيا فالأمر على أحد حالتين. فإما هو سعي طيب لرزق حلال طيب، فسينال منه ما يُقدّره الله له، فالله هو يقدر الرزق لمن يشاء على حكمة بالغة. وما على المؤمن إلا أن يسعى وهو مطمئن إلى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .
(هود: ٦).

وإما هو عمل وسعي لنصرة دين وعزة عقيدة، فهنا يبذل المؤمن جهده على نهج واع، يتجه لأهداف ربانية واعية، مطمئناً إلى وعد الله ورحمته ونصرته. فالثمرة هنا هي بلوغ هدف وتحقيق غاية. وهنا كذلك ما على المؤمن إلا أن يضع نهجاً ويحدد هدفاً ويبذل جهداً. والله هو وحده يقدر متى تتحقق الأهداف. ومسئولية المؤمن يمكن حصرها في نقاط: النية ومقدار صفاتها وتجربتها، والإيمان ومدى قوته، والعلم ومدى عمقه والنهج ومستوى سلامته، والأهداف وإشراقه وضوحها. فإذا استوعبت هذه القضايا: النية، الإيمان، العلم، النهج، الأهداف، إذا استوعبت وسع الإنسان وطاقته، وجهده وبذله، على موازنة عادلة أمينة فقد أدى الواجب إن شاء الله، والله يقدر ما يشاء.

ونرى في منهاج الله وضوح التكليف وإشراق الأوامر والنواهي، وبيان الحلال والحرام، والحق والباطل، نرى وضوح ذلك كله وإشراقه، وتأكيد التكليف في هذه الآية وتلك، وهذا الحديث وذاك. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ الدعوة للناس، والجهاد في سبيل

الله، هي كلها وكثير غيرها تكاليف بيّنة جلّية. فحين أمر الله عباده أن يكونوا صادقين في عملهم كله، مستوفين لجميع الشروط والخصائص الإيمانية من نية وعلم وإعداد وغير ذلك، لم يربط الله سبحانه وتعالى النصر إلا به وحده.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾. (الأنفال: ١٠).

ويتكرر هذا المعنى ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ في أكثر من سورة، دون أن يعني هذا التكرار سقوط التكاليف عن المؤمن. فلو قصر المؤمن في شيء من ذلك فإنه محاسب. ولكن هذا المعنى يؤكد التصوّر القرآني بأن النصر ليس نتيجة حتمية لجهد يُبذل مهما كان ذلك الجهد. ولكن بذل الجهد تكليف حتمي. وأما النصر فيهبه الله هو وحده لمن يشاء من عباده على سنن غالبية، وحكمة عادلة، ورحمة واسعة، وعلم يحيط بكل شيء.

من هذا نرى أن على المؤمن أن يعرف حدود مسؤولياته، ودوائر جهده وعمله، والشغور التي يقف عليها، فيصدق الله في جهده وبذله على إخلاص نية، وصفاء إيمان، وقوة علم. والله يقدر ما يشاء.

فإذا لم يبلغ المؤمنون أهدافهم الربانية، أو طال عليهم الأمر، فلينظروا في نفوسهم ونياتهم، ولينظروا في إيمانهم، ولينظروا في علمهم ونهجهم، ولينظروا بعد ذلك كله هل استوفى عملهم ونهجهم شروطه الإيمانية، وهل استوعب وسعهم وطاقتهم. فإن وجدوا خيراً فليحمدوا الله وليمضوا صابرين. وإن وجدوا خللاً فليهرعوا ليصححوا نية، وليصححوا إيماناً، وليصححوا علماً، وليصححوا عملاً وجهداً، وليصححوا نهجاً يرسمونه.

وفي الحديث القدسي فيما يرويه النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى توضيح لمسئولية الفرد في الحياة، ومسئولية الجماعة، ومسئولية الأمة:

عن أبي ذرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فيما قال عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. ياعبادي كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. ياعبادي كلّم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. ياعبادي كلّم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم. ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم

وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر! يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

رواه مسلم^(١)

فليُنظر المؤمن في عمله هو، ولتُنظر الأمة في عملها. ولينهض الجميع إلى تصحيح عمل، وتقويم مسيرة، قبل أن يبحثوا عن جني ثمار. من أجل هذه المحاسبة، من أجل هذه الوقفة لا بد من علم يقوم عليه ذلك كله . . . !

ونعيد من حديث رسول الله ﷺ لننصح أنفسنا كلنا:

« فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

(١) صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) باب تحريم الظلم (١٥). حديث رقم (٢٥٧٧).

الباب الرابع
قائمة المراجع العامة
للمنهكاج الذاتى
(للمرحلة الخامسة)

تمهيد

لا نقصد بهذه القائمة من المراجع والكتب أن يقرأها المسلم كلها أو معظمها، ولا نقصد أن هذه القائمة من المراجع استوفت الكتب كلها في كل علم، وجمعت ما كتبه السابقون واللاحقون، فذلك أبعد من أن نبلغه، وأبعد من أن نقصده.

هنالك هدف أساسي واضح عرضناه في هذا الكتاب، وجعلنا له مراحل لبلوغه. هذا الهدف هو فهم منهاج الله - قرآنا وسنة - وفهم الواقع، وممارسة منهاج الله في الواقع البشري على النحو الذي يأمر به الله سبحانه وتعالى. فالهدف إذن هو منهاج الله والواقع، وكل ما عداهما فهو يخدمهما أو يخدم أحدهما.

وبعد أن ينهي المسلم المرحلة الرابعة التي سبق شرحها في مراحل المنهاج الذاتي، تتوافر لديه بإذن الله القدرة على أن يختار اتجاهها وتخصصاً، إذا رغب في ذلك، أو أن يختار كتاباً يعينه على تحقيق الهدف السابق.

إن جمع كل ما كتب في الأبواب المطروقة، يمثل في الحقيقة ما كتبه المسلمون وغيرهم في أربعة عشر قرناً. فلا نهدف أن نمثل للمسلم أن الإسلام أكوام من الكتب لا يصحّ إيمانه ولا علمه إلا إذا وعّاها كلها. إن الأمر إن شاء الله أهون من ذلك بكثير. لقد يسهّر الله للمؤمنين، وما جعل عليهم في الدين من حرج، فلا يصحّ إذن أن نجعل اليسر عسراً، أو أن نضع على أنفسنا حرجاً رفعه الله عنا. من أجل ذلك نحصر الهدف في تدبّر منهاج الله وفي فهم الواقع حتى تتيسّر ممارسة منهاج الله في الواقع البشري. وعلى يسر هذا الهدف، فإنه يحتاج إلى همة وعزيمة، وجهد وبذل، ولكن ذلك كله في نطاق وسع الإنسان عامة، وفي حدود وسع كل إنسان حين يتفاوت الناس بالوسع والطاقة.

من هذه القائمة العامة الموسعة نسبياً يستطيع المسلم أن يختار هذا الكتاب أو ذاك في الأبواب التي يطرّقها. ويستطيع كذلك أن يختار من كل مكتبة تليداً أو طريفاً. فهذه القائمة أضيق من أن تشمل كلّ ما يمكن أن نوصي به.

فيكون أمام المسلم ثلاث درجات من الاختيار الدرجة الأولى تمثلها القائمة المبسطة للمراحل الأربع الأولى. والدرجة الثانية هي هذه القائمة الموسعة. والدرجة الثالثة هي المكتبة الإسلامية العامة الممتدة في الأرض الإسلامية.

ويجب أن لا ننسى أن الواقع ممتد كذلك، وأنه سريع الحركة كثير الأحداث، مما يجعل كتب الواقع تتبدل كذلك. فعلى المسلم أن يتابع الواقع قدر وسعه وطاقته في تغييره وتجدد أحداثه. ولهذا السبب ولغيره، فإن المكتبة الإسلامية نامية، والمجتمع الإسلامي نام كذلك، والطاقات المؤمنة متجددة، مما يستدعي ظهور طاقات جديدة بين لحظة وأخرى، وظهور كتب جديدة كذلك.

ولهذه الأسباب كلها نعتبر أن هذه القائمة الموسعة هي مرشد ومعين، والميدان واسع ممتد. ولا ندعي أن هذه القائمة الموسعة شملت جميع الكتب المناسبة في هذا الباب أو ذاك، وإنما هو جهد بذلناه نرجوه طاعة الله. فإذا غاب اسم بعض الكتب أو أسماء بعض المؤلفين فتلك طبيعة الجهد البشري أن لا يبلغ الكمال. وهذه القائمة لم تهدف إلى الاستقصاء الذي يحصر كل ما ورد في هذا الباب أو ذاك، وإنما نأذج نقدمها ليختار القارئ منها أو على غرارها من المكتبة الإسلامية الواسعة.

وكذلك فإن ما نورده من أسماء بعض الكتب - وخاصة في باب الواقع - لا يعني أنها تمثل وجهة نظرنا ورأينا. فكل كتاب يمثل رأي مؤلفه. ويتحمل القارئ المسلم، وخاصة بعد المرحلة الرابعة من المنهاج الذاتي - مسئولية رد الأمور إلى منهاج الله، لينخل ما يقرأ. ونشير هنا إلى أن المراجع مرتبة في كل بند من القائمة حسب ترتيب الأحرف الأبجدية لأسماء المؤلفين.

قائمة
المراجع العامة
للمنهج الذاتي

أولاً

مراجع دراسة المنهاج الرباني

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - السنة النبوية
- ٣ - اللغة العربية

بنود

دراسة المنهاج الربّاني

١ - القرآن الكريم :

أ - التلاوة :

أ - ١ - التفسير الميسر .

أ - ٢ - معاجم المفردات .

أ - ٣ - أحكام التجويد والقراءات .

ب - التفسير والظلال .

ج - دراسات قرآنية .

د - الإعراب .

٢ - السنة النبوية .

٣ - اللغة العربية .

أ - القواعد .

ب - البلاغة .

ج - مختارات من الأدب الإسلامي .

د - المعاجم وكتب أخرى عامة في اللغة والأدب .

١- القرآن الكريم

١ - القرآن الكريم

أ - التلاوة :

أ - ١ - التفسير الميسر :

تفسير الشروق .

تفسير القوصي .

تفسير الجلالين .

التفسير الميسر .

تفسير المؤمنين .

أضواء البيان .

المصحف الميسر

ابن صمادح الأندلسي :

أحمد حنفي نصار القوصي :

جلال الدين السيوطي

وجلال الدين بن أحمد المجلي

عبدالله الحياط

عبدالودود يوسف

محمد حسنين مخلوف

محمد فريد وجدي

أ - ٢ - معاجم المفردات :

المفردات (جزءان) .

قاموس القرآن .

كلمات القرآن تفسير وبيان .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

غريب القرآن ومتشابهاته .

الراغب الأصفهاني

الحسين بن محمد الدامغاني

محمد حسنين مخلوف

محمد فؤاد عبد الباقي

نديم الجسر

أ - ٣ - أحكام التجويد والقراءات :

الكشف عن وجوه القراءات

السبع وعللها وحجمها .

كيف تقرأ القرآن (أشرطة) .

التجويد الميسر مع ثلاثة أشرطة .

القراءات القرآنية .

أبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي

عبدالباري محمد

عبدالعزیز قاري

د . عبدالمهادي الفضلي

(*) جميع المراجع مرتبة حسب الحروف الأبجدية للمؤلفين .

المخلص المفيد في علم التجويد .
التمهيد في علم التجويد .
البرهان في تجويد القرآن .
أحكام تجويد القرآن .

محمد أحمد معبد
محمد بن محمد الجزري
محمد الصادق قمحاوي
محمد سعيد محمد علي ملحس

ب - التفسير والظلال

تفسير القرطبي .
جامع البيان في تفسير القرآن .
تفسير سورة النور .
تفسير ابن كثير .
تفسير الكشاف
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
في ظلال القرآن
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
التفسير الوسيط .
أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن .
تفسير الفخر الرازي .
تفسير المنار .
تفسير آيات الأحكام .
تفسير آيات الأحكام .
صفوة التفاسير .
مختصر تفسير ابن كثير .
مختصر تفسير الطبري .
التفسير الواضح .

إبن أحمد الأنصاري القرطبي
إبن جرير الطبري
أبو الأعلى المودودي
أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير
أبو القاسم جار الله محمود بن عمر
الزخشري
أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي
سيد قطب
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
مجمع البحوث الإسلامية في مصر
محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي
محمد بن عمر التميمي البكري
محمد رشيد رضا
محمد علي السائيس
محمد علي الصابوني
محمد علي الصابوني
محمد علي الصابوني
محمد علي الصابوني ، د . صالح أحمد رضا
د . محمد محمد حجازي

ج - دراسات قرآنية

- | | |
|--|---------------------------|
| العلاقة الإنسانية في القرآن الكريم . | حمزة فودة |
| مناهج الجدل في القرآن الكريم . | د . زاهر الألمعي |
| دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم . | د . زاهر الألمعي |
| المناهل الحسان دروس في القرآن . | عبد العزيز المحمد السلطان |
| مشاهد من يوم القيامة في القرآن الكريم . | سيد قطب |
| نفحات من السكينة القرآنية . | محمد بن ناصر العبودي |
| معجزة القرآن . | محمد متولي شعراوي |
| القرآن وبناء الإنسان . | صلاح عبد القادر بكري |
| القرآن والمبشرون . | محمد عزة دروزة |
| فوائد قرآنية . | عبد الرحمن السعدي |

د - الإعراب (في القرآن الكريم)

- | | |
|-------------------------------------|----------------------------|
| إعراب القرآن الكريم (خمسة مجلدات) . | أبو جعفر النحاس |
| التأويل النحوي في القرآن الكريم . | د . عبد الفتاح أحمد الجموز |
| إعراب القرآن الكريم وبيانه . | محمي الدين درويش |
| مشكل وإعراب القرآن . | مكي بن أبي طالب القيسي |

٢- السنة النبوية

٢ . السنة النبوية

عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري .
«شرح التجريد الصحيح» .
السراج الوهاج من كشف مطالب
صحيح مسلم بن الحجاج .
جامع الأصول من أحاديث الرسول .
الكلم الطيب من أذكار النبي ﷺ .
سنن النسائي .

ترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه
بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني
سنن أبي داود .
صحيح الجامع الصغير وزيادته .
موطأ مالك .
المنتقى من أخبار المصطفى .

صحيح ابن خزيمة .

صحيح البخاري .
مشكاة المصابيح .
جامع الترمذي .
سنن ابن ماجه .

أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني
القنوجي البخاري
أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني
القنوجي البخاري
إبن الأثير الجزري
إبن تيمية
أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب
النسائي الخراساني
أحمد عبد الرحمن البنا (ترتيب وتأليف)

سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني
السيوطي شرح محمد ناصر الدين الألباني
مالك بن أنس شرح أحمد عرموش
مجد الدين أبي البركات عبد السلام
ابن تيمية

محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي
النيسابوري تحقيق د . محمد مصطفى
الأعظمي

محمد بن إسماعيل البخاري
محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي
محمد بن عيسى بن سورة
محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه
القزويني

محمد فؤاد عبد الباقي

محمد ناصر الدين الألباني

محمد ناصر الدين الألباني

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

د. مصطفى الخن وإخوانه

ملا علي البقالي تحقيق د. محمد الصباغ

منصور علي ناصف

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

سلسلة الأحاديث الصحيحة .

سلسلة الأحاديث الضعيفة .

صحيح مسلم .

نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين .

الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة .

التاج الجامع للأصول في أحاديث

الرسول ﷺ .

٣- اللغة العربية

٣ - اللغة العربية

أ - قواعد اللغة

أحمد قبش	الكامل في النحو والصرف والاعراب .
أحمد الهاشمي	القواعد الأساسية للغة العربية .
د . حسن شاذلي	النحو والصرف .
عباس حسن	النحو الوافي .
عبد العليم إبراهيم	النحو الوظيفي .
عبد المنعم مسعد	المنهل في النحو .
د . عبد الهادي الفضلي	مختصر الصرف .
د . عبد الهادي الفضلي	مختصر النحو .
علي الجارم ومصطفى أمين	النحو الواضح (ثلاثة أجزاء) .
علي الجارم	النحو الواضح للمرحلة الثانوية .
فؤاد نعمة	مختصر قواعد اللغة العربية .
محمد الأنطاكي	المنهاج في القواعد والاعراب .
مصطفى الغلاييني	جامع الدروس العربية .

ب - البلاغة

أحمد مصطفى المراغي	علوم البلاغة .
د . بكري شيخ أمين	البلاغة العربية في ثوبها الجديد .
علي الجارم ومصطفى أمين	البلاغة الواضحة .
د . فضل حسن عباس	البلاغة فنونها وأفنانها .

ج - مختارات من الأدب الإسلامي

يمكن للمسلم أن يختار ما يناسبه من القصائد والدواوين الشعرية للشعراء المسلمين المتزمين وكذلك من القصص والمسرحيات وغيرها . ويمكن الاستعانة من أجل ذلك بالكتب التالية

- أحمد الجدد وحسني أدهم جرار
أحمد فرح عقيلان
د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ثنيان
العمران
د. عبدالله الحامد
د. سامي مكّي العناني
د. محمد بن سعد بن حسين
يوسف العظم
- شعراء الدعوة الإسلامية .
جناية الشعر الحر
الوحدة الإسلامية في الشعر العربي
الحديث .
الشعر الإسلامي في صدر الإسلام .
الإسلام والشعر .
من شعراء الإسلام .
الشعر والشعراء في الكتاب والسنة .

د - المعاجم

- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا
تحقيق وضبط عبدالسلام هارون
أبو الحسن بن إسماعيل بن سيدة
أبو الحسن بن إسماعيل بن سيدة
إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق
أحمد عبدالغفور العطار
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
الطاهر أحمد الزاوي
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي
مجمع اللغة العربية
محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي
محمد مرتضي الزبيدي
- معجم مقاييس اللغة .
المخصص
المحكم
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .
لسان العرب
ترتيب القاموس المحيط .
القاموس المحيط
المعجم الوسيط .
مختار الصحاح .
تاج العروس من جواهر القاموس .

هـ - كتب عامة في الأدب واللغة والنقد

هـ ١ - كتب عامة في الأدب :-

إبن قتيبة	أدب الكاتب .
أبو تراب الظاهري	كبوات اليراع .
أبو الحسن علي الحسيني الندوي	روائع إقبال .
أبو الحسن علي الحسيني الندوي	مختارات من أدب العرب .
أبو علي القالي البغدادي	النوادر .
أحمد عبدالغفور عطار	دفاع عن الفصحى .
الجاحظ	البيان والتبيين .
سيد قطب	التصوير الفني في القرآن الكريم .
عبدالله بن المقفع	كليلة ودمنة .
فاروق شوشة	لغتنا الجميلة .
محمد الرابع الندوي	منثورات من أدب العرب .
المبرد	الكامل .

هـ ٢ - كتب عامة في النقد والدراسات الأدبية :

د . إحسان عباس	تاريخ النقد الأدبي عند العرب .
د . أحمد ضبيب	على مرافئ التراث .
د . بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية .
د . عائض الرادادي	التدين والمجون في شعر شوقي .
د . عبدالله الحامد	الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب .
د . عبد الباسط بدر	مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي .
د . عبدالرحمن رأفت الباشا	نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد .
د . عدنان علي رضا النحوي	الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته .

د. عباد الدين خليل

سيد قطب

محمد قطب

د. محمد عبدالله الهريفي

في النقد الإسلامي المعاصر.

النقد الأدبي أصوله ومناهجه.

منهج الفن الإسلامي.

أثر القرآن والحديث على

شعر أبي العتاهية

الالتزام الإسلامي في الأدب.

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.

هل هناك أزمة في الأدب.

عبدالله بن رواحة رائد شعر الجهاد.

مقالات في النقد الأدبي.

موقف مرجليوت في الشعر العربي.

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثامن

الهجري.

د. محمد بن سعد بن حسين

د. محمد محمد حسين

د. محمد عبده ياني

د. محمد بن سعد الشويعر

د. محمد مصطفى هدارة

د. محمد مصطفى هدارة

د. محمد مصطفى هدارة

هـ - ٣ - كتب عامة في اللغة :

د. إبراهيم السامرائي

أحمد عبدالغفور عطار

أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

دار الرفاعي للنشر

د. صبحي الصالح

د. علي عبدالواحد وافي

د. نفوسة زكريا

أنور الجندي

فقه اللغة المقارن.

الفصحى والعامية.

اللغة العربية بين القاعدة والمثال.

العربية لغة الإعلام.

دراسات في فقه اللغة.

فقه اللغة.

تاريخ الدعوة إلى العامية.

المؤامرة على الفصحى لغة القرآن.

ثانيًا
مراجع دراسة المواقع

بنود دراسة الواقع

- ١ - أهمية دراسة الواقع .
- ٢ - دراسة طبيعة الإنسان .
- ٣ - دراسة المجتمع والناس .
- ٤ - دراسة البلدان الإسلامية بلداً بلداً .
- ٥ - واقع العالم الإسلامي والحرب الدائرة عليه .
- ٦ - الحركات المعادية للإسلام : القاديانية ، البابية والبهائية ،
الماسونية ، التبشير ، الصهيونية ، أديان ومذاهب أخرى .
- ٧ - قضايا العالم الإسلامي .
- ٨ - الحركات الإسلامية .
- ٩ - السياسة الدولية .
- ١٠ - مذكرات قادة ورجال .
- ١١ - الإعلام .

١ ، ٢ ، ٣ أهمية دراسة الواقع والإنسان والمجتمع :

- | | |
|-------------------------|----------------------------------|
| د. أحمد العسال | الإسلام وبناء المجتمع . |
| د. أحمد نوفل | الحرب النفسية . |
| جودت سعيد | حتى يغيروا ما بأنفسهم . |
| د. رمزي نعناعة | تنظيم الإسلام للمجتمع . |
| سهيلة زين العابدين حماد | بناء الأسرة المسلمة . |
| سيد قطب | نحو مجتمع إسلامي . |
| د. عدنان علي رضا النحوي | دور المنهاج الرباني في |
| | الدعوة الإسلامية . |
| د. عدنان علي رضا النحوي | ملاحم الشورى في الدعوة الإسلامية |
| | (الباب السادس). |
| د. كامل القدس | منهج سورة النور في إصلاح |
| | النفوس والمجتمع . |
| محمد توفيق سبع | نفوس ودروس . |
| محمد قطب | خطوط متقابلة في النفس البشرية . |
| د. محمد بن سعد الشويعر | حسن الخلق وأثره في تكوين |
| | المجتمع الصالح |

٤ - دراسة بلد إسلامي :

- | | |
|-----------------------------------|------------------------|
| د. إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر | تاريخ العالم الإسلامي |
| | الحديث والمعاصر . |
| زاهر ماضي | الإسلام في أثيوبيا . |
| شريف الدين بن زاده | نشأة باكستان . |
| عبد العزيز الرفاعي | خمسة أيام في ماليزيا . |
| عبد الرحمن النجار | الإسلام في الصومال . |
| عبد القادر محمد سيلا | المسلمون في السنغال |
| علي الطنطاوي | أندونيسيا . |

صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة .
سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية .

محمد أسد شهاب
محمود شاكر

٥ - واقع العالم الإسلامي

والحرب الدائرة عليه

أبو الأعلى المودودي	تحديات العصر الجديد والشباب
أبو الحسن الندوي	ردة ولا أبا بكر لها .
أبو الحسن الندوي	الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .
أبو الحسن الندوي	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
أبو الحسن الندوي	من نهر كابل إلى نهر اليرموك .
إسماعيل كيلاني	فصل الدين عن الدولة .
أ. ل . شاتليه ترجمة محب الدين	الغارة على العالم الإسلامي .
الخطيب ومساعد اليافي	الصحافة والأقلام المسمومة
أنور الجندي	قادة الغرب يقولون : دمروا
جلال العالم	الإسلام أبيدوا أهله .
د . حسن صالح د . محمد غلاب ، محمود شاكر	البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية .
خديجة عبد الهادي المخيميد	حركة تغريب المرأة الكويتية .
زئيف شيف	الحرب المضللة .
زهدي الفاتح	المسلمون والحرب الرابعة .
شوقي أبو خليل	الإسلام وحركات التحرر العربية .
د . صلاح الدين المنجد	بلشفة الإسلام .
عبد العزيز محمد بن إبراهيم	الأمر بالمعروف والنهي عن
آل الشيخ	المنكر بين الماضي والحاضر .
عبد العزيز المسند	متى ينتصر المسلمون .

الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه
الشعوب الإسلامية ومستقبل الأمة
إليكم يا علماء الغرب .
أزمة روحية .
أساليب الغزو الفكري .
عندما يحكم الطغاة .
المسلمون في أوروبا وأمريكا .
المسلمون بين المطرقة والسندان .
الإسلام في الشرق الأقصى .
الصراع الفكري في
البلاد المستعمرة .
المسلم في عالم الاقتصاد .
وجهة العالم الإسلامي .
الإسلام في نظر أعلام الغرب
أوضاع الدول الإسلامية في
الشرق الإسلامي .
مفتريات على الإسلام .
الفكر الإسلامي الحديث وصلته
بالاستعمار الغربي .
تحولات الفكر والسياسة
في الشرق العربي .
يامسلمون اليهود قادمون .
الحركة النسائية وصلتها بالاستعمار .
الحركة النسائية في الشرق وصلتها
بالاستعمار والصهيونية
جاهلية القرن العشرين .

عبدالقادر عودة
عبدالكريم عبدالله نيازي
عبدالكريم اليازجي
عصام العطار
علي أبو جريشة ، محمد الزبيق
علي أبو جريشة
د . علي المنتصر الكتاني
فتحى يكن
د . قيصر أديب
مالك بن نبي
مالك بن نبي
مالك بن نبي
حسين عبدالله باسلامة
سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي
محمد أحمد جمال
د . محمد البهي
د . محمد جابر الأنصاري
محمد عبدالعزيز منصور
محمد عطية خميس
محمد فهمي عبد الوهاب
محمد قطب

محمد قطب

د. محمد محمد حسين

د. محمد محمد حسين

محمد محمود الصواف

محمود شاكر

محمود شاكر

محمود شاكر

د. مصطفى الخالدي ، د. عمر فروخ

مصطفى محمود

مصطفى مؤمن

د. وليد الخالدي

د. يوسف القرضاوي

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

واقعنا المعاصر

الإسلام والحضارة الغربية

حصوننا مهددة من داخلها

المخططات الاستعمارية

لمحاربة الإسلام .

سكان العالم الإسلامي .

المسلمون تحت السيطرة الشيوعية

المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية

التبشير والاستعمار في البلاد العربية .

حذار لا هم تقديمون ولا علميون

ولا موضوعيون .

قسمات العالم الإسلامي في

البلاد العربية .

الاستشراق والمستشرقون .

الصحوة الإسلامية بين

الجمود والتطرف .

قضايا الفكر الإسلامي المعاصر .

٦ - الحركات المعادية للإسلام

٦ - أ - القاديانية :

أبو الأعلى المودودي

أبو الحسن الندوي ، أبو الأعلى

المودودي ومحمد الخضر الحسين

إحسان إلهي ظهير

كلرزار أحمد مظاهري ، ناصر الدين

شاه ومحمد فواز

ما هي القاديانية .

القاديانية

القاديانية

القاديانية

٦ - ب - البابية والبهاية :

- إحسان إلهي ظهير
محب الدين الخطيب
د. محسن عبد الحميد
- البابية .
دراسات عن البابية والبهاية .
حقيقة البابية والبهاية .

٦ - ج - الماسونية :

- أحمد عبد الغفور عطار
جواد رفعت
حسين عمر حمادة
خضر محمد
صابر طعمة
محمد زكي الدين
د. محمد علي الزعبي
د. محمد علي الزعبي
د. محمد علي الزعبي
- الماسونية .
أسرار الماسونية .
شهادات ماسونية .
هذه هي الماسونية .
الماسونية ذلك العالم المجهول .
الماسونية بين الحقيقة والخيال .
حقيقة الماسونية .
الماسونية في العراق .
الماسونية منشئة إسرائيل .

٦ - د - الشيوعية :

- إبراهيم سعدة
أحمد عبد الغفور عطار
د. صابر طعيمة
صالح بن سعد اللحيدان
عباس محمود العقاد
د. عبد الله عزام
عبد الحليم خفاجي
د. عبد الحليم محمود
د. عبد الرحمن عميرة
- الروس قادمون .
الشيوعية والإسلام .
الفكر المادي في ميزان الإسلام .
نقد أصول الشيوعية .
الشيوعية والإنسانية .
السرطان الأحمر
حوار مع الشيوعيين في
أقبية السجون
أبوذر الغفاري والشيوعية .
المذاهب المعاصرة وموقف
الإسلام منها .

د. مصطفى محمود

الماركسية والإسلام.

د. معروف الدواليبي

نظرات إسلامية في الاشتراكية

الثورية.

د. ياسين صادق

سبعة أشهر في الاتحاد السوفياتي.

٦ - هـ - الصهيونية: مراجعها ترد في ٧ - أ - قضية فلسطين والصهيونية فيمكن الرجوع إليه.

٦ - و - التبشير:

د. أحمد شلبي

المسيحية.

عماد شرف

حقائق عن التبشير.

محمد أبوزهرة

محاضرات في النصرانية.

د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ

التبشير والاستعمار في البلاد العربية.

٦ - ز - أديان ومذاهب أخرى:

د. أحمد شلبي

أديان الهند الكبرى.

شوقي أبو خليل

آراء يهدمها الإسلام.

د. عبد الرحمن عميرة

المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها.

د. عدنان علي رضا النحوي

الشورى لا الديمقراطية.

فتحي يكن

حركات ومذاهب في ميزان الإسلام.

محمد البهي

تهافت الفكر المادي بين

النظرية والتطبيق.

د. محمد عمارة

تيارات الفكر الإسلامي.

محمد قطب

مذاهب فكرية معاصرة.

د. نعمان عبدالرزاق السامرائي

التكفير: جذوره، أسبابه، مبرراته.

محمود شاكر

القرامطة.

د. محمد بن لطفي الصباغ (تحقيق)

القرامطة لابن الجوزي.

٧ - قضايا العالم الإسلامي

٧ - أ - قضية فلسطين والصهيونية:

- د. أحمد سوسة
أحمد عبدالغفور عطار
أحمد عبد الغفور عطار
إسماعيل كيلاني
أنور الجندي
د. إبراهيم الشريفي
إبراهيم نافع
إحسان هندي
أحمد صادق سعيد
أكرم زعيتر
د. أحمد طربين
باروخ بادل
بسام أبو غزالة
ت. أ. لورنس
توفيق الطيب
الحكم دروزة
روحيه جارودي ترجمة
د. مصطفى كامل فودة
العرب واليهود في التاريخ .
مؤامرة الصهيونية على العالم
مع ترجمة بروتوكولات صهيون .
اليهودية والصهيونية .
الخلفيّة التوراتية للموقف الأمريكي
المخططات التلمودية الصهيونية في
غزو الفكر الإسلامي .
دور الدول الاشتراكية في
تكوين إسرائيل .
سنوات الخطر .
الحل العادل اسئلة وأجوبة
عن قضية فلسطين .
فلسطين بمخالب الاستعمار .
بدور القضية الفلسطينية .
فلسطين في خطط اليهودية والاستعمار .
تخطمت الطائرات عند الفجر .
الجدور الإرهابية لحزب
حيروت الإسرائيلي .
أعمدة الحكمة السبعة .
الحل الإسلامي ما بعد النكبتين .
ملف القضية الفلسطينية والصراع
العربي الإسرائيلي .
ملف إسرائيل .

روزماري صايغ ترجمة خالد عابد

رفيق التنشة

رفيق التنشة

زهدي الفاتح

زهدي الفاتح

زهير مارديني

زيد بن عبدالعزيز بن فياض

سعد جمعة

سيد قطب

ظفر الإسلام خان

عادل غانم

عبدالله التل

عبدالله التل

عبدالله التل

عبدالله رشيد الحلاق

عبدالرحمن حبنكة

عبدالعزيز بن باز

د. عبدالعزيز عوض

عجاج نويهض

علي محمد علي وإبراهيم الحصاني

عمر صالح البرغوثي

د. فاضل حسين

الفلاحون الفلسطينيون من

الاقتلاع إلى الثورة.

الإسلام وفلسطين.

السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين.

القضية الفلسطينية في القانون

الدولي والوضع الراهن.

لورنس العرب.

ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني

قضية فلسطين.

أبناء الأفاعي.

معركتنا مع اليهود.

تاريخ فلسطين القديم.

الحركة الوطنية الفلسطينية.

جذور البلاء.

الأفعى اليهودية في محافل الإسلام.

خطر اليهودية على العالم

الإسلامي والمسيحية.

اليهودية العالمية خطط وأهداف.

مكايد اليهود عبر التاريخ.

موقف الإسلام من اليهود وفضل

الجهاد في سبيل الله.

مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث.

رجال من فلسطين.

إسرائيل قاعدة عدوانية.

تاريخ فلسطين.

تاريخ فلسطين السياسي تحت

الإدارة البريطانية.

كمال محمد الأسطل

مستقبل إسرائيل بين

التدريب والاستئصال

المحاضر السرية لهنري كيسنجر في

الشرق الأوسط .

حقائق عن قضية فلسطين .

اتجاه التدخل الأمريكي في

الثمانينات .

الحل والحرب .

من تاريخ فلسطين .

الخطر اليهودي (البروتوكولات) .

خطط إسرائيل التوسعية

في البلاد العربية .

نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين .

الولايات المتحدة والفلسطينيون .

الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي

المعاصر في قضية فلسطين .

السياسة الأمريكية تجاه النزاع

العربي الإسرائيلي .

درب السلام الصعب

الجريمة اليهودية النكراء إحراق المسجد

الأقصى المبارك .

المطامع الأجنبية في القدس والخطر

الناجم عن تدويلها .

كارثة اغتصاب المياة العربية

مأساة القدس والمسجد الأقصى بين

تمادي اليهود وسكوت المسلمين والعرب .

حول الدولة الفلسطينية الديمقراطية .

عاني جولان تعريب حورية محمد

محمد أمين الحسيني

مايكل كلير ترجمة محجوب عمر

محمد حسنين هيكل

محمد عزة دروزة

محمد خليفة التونسي

محمود شيت خطاب

د . محمد عبدالرؤف سليم

د . محمد شديد

محمد منير جنباز

نبيل محمود عبدالغفار

هنري كيسنجر ترجمة د . علي مقلد

الهيئة العربية العليا

الهيئة العربية العليا

الهيئة العربية العليا

الهيئة العربية العليا

الهيئة العربية العليا

الهيئة العربية العليا

القضية الفلسطينية في الدورة السابعة
عشرة للأمم المتحدة (١٩٦٢).
مجلة فلسطين

الهيئة العربية العليا

٧ - ب - لبنان وبلاد الشام:

جوناثان رندل

حرب الألف سنة .

د . حلمي القاعود

الحرب الصليبية العاشرة .

خليل السواجري

أحاديث الغزاة وشهادات إسرائيلية .

خليل مصطفى

سقوط الجولان .

كمال جنبلاط

وصيتي .

المركز العربي للمعلومات

الزعامة المارونية .

٧ - ج - أفغانستان:

عبدالله رفاعي

أيام مع المجاهدين الأفغان

عيسى يوسف البتكين

قضية تركستان الشرقية

فهمي هويدي

حدث في أفغانستان .

محمود المرداوي

أفغانستان والاحتياح الروسي .

٧ - د - قضايا أخرى:

أبو الحسن الندوي

المسلمون في الهند .

إحسان حقي

مأساة كشمير المسلمة .

بسام عسلي

الجزائر والحملات الصليبية .

زاهر رياض

الإسلام في أثيوبيا .

سامي منصور

نيجيريا عملاق أفريقيا .

صلاح الدين الحديدي

شاهد على حرب اليمن .

ضابط تركي سابق - ترجمة

الرجل الصنم

عبدالله عبدالرحمن

أفريقيا بين التوحيد والتثليث

محمد أحمد مشهور الحداد الحسيني

محمد جلال كشك

محمد ضيا شهاب وعبدالله بن نوح

محمود شاكر

مصطفى بكري

٧ - هـ - الأندلس :

عبدالعزیز المسند

حوار في أنقرة

الإسلام في أندونيسيا .

سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية .

قصة الثورة في السودان .

الأندلس تاريخ وعبرة .

٨ - الحركات الإسلامية

٨ - أ - الوهابية :

د . أحمد محمد الضبيب

أحمد محمد أبو طامي بن علي

آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية .

محمد بن عبد الوهاب .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره

بحوث في أسبوع الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

داعية التوحيد والتجويد في

العصر الحديث

سعود الندوي

عبدالله الصالح العثيمين

جامعة الإمام محمد بن سعود -

مركز الأبحاث :

محمد بهجت الأثري

٨ - ب - المهدية :

د . محمد عمارة

تيارات الفكر الإسلامي .

٨ - ج - السنوسية :

د . محمد عمارة :

تيارات الفكر الإسلامي .

٨ - د - الإخوان المسلمون :

حسن العشماوي

الإخوان المسلمون والثورة .

مذكرات الدعوة والداعية .	حسن البنا
دعاة لا قضاة .	حسن الهضيبي
المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين .	سعيد حوى
لماذا أعدموني .	سيد قطب
صفحات من التاريخ	صلاح شادي
ذكريات لا مذكرات	عمر التلمساني
الفكر الإسلامي المعاصر	غازي التوبة
الإخوان المسلمون رؤية من الداخل	محمود عبد الحليم

٨ - هـ - حزب التحرير الإسلامي :

الموسوعة الحركية	فتحي يكن (إشراف)
------------------	------------------

٨ - و - الجماعة الإسلامية في باكستان :

الموسوعة الحركية	فتحي يكن (إشراف)
------------------	------------------

٨ - ز - ندوة العلماء في الهند :

تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند	مسعود الندوي
ندوة العلماء تواجه التحدي الكبير	محمد الحسني وسعيد الأعظمي

٨ - ح - جماعة التبليغ :

الموسوعة الحركية	فتحي يكن (إشراف)
------------------	------------------

٨ - ط - حركات إسلامية أخرى :

مذهب ابن آدم الأول (مشكلة العنف	جودت سعيد حسن
---------------------------------	---------------

في العمل الإسلامي)	حسن خالد
مسار الدعوة الإسلامية في لبنان	عبد الرحمن أبو الخير
حياتي مع جماعة المسلمين	غازي التوبة
في مجال العقيدة	د. علي المنته
المسلمون في أوروبا وأمريكا	الكتاني

د. عمر عبدالرحمن
د. محسن عبد الحميد
د. مصطفى حلمي

كلمة حق
جمال الدين الأفغاني
الخوارج (الأصول التاريخية
لمسألة تكفير المسلم).
الحركة الإسلامية الحديثة
في تركيا.

مصطفى محمد

٨ - ز - الدعوة الإسلامية العامة :

د. خالص جلبي
د. عدنان علي رضا النحوي
د. عدنان علي رضا النحوي
فتحي يكن
النقد الذاتي للحركة الإسلامية .
دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية
لقاء المؤمنين (جزءان) .
نحو حركة إسلامية عالمية واحدة

٩ - السياسة الدولية

د. السيد أمين شلبي
أندوتوبي ترجمة فؤاد أيوب
د. بوديوف ترجمة شوكت يوسف
جاك ووديز
جان مينو
د. جمال بركات
الوفاق الأمريكي السوفياتي .
حقيقة الجاسوسية الأمريكية .
السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط .
الجيوش والسياسة .
القوى الخفية التي تحكم العالم .
الدبلوماسية : ماضيها وحاضرها
ومستقبلها .
قوة الانتشار السريع .
كتب غيرت العالم .
المخابرات والعالم .
السياسة والسياسة الدولية .
حكومة العالم الخفية .
الحرب العالمية الثانية .
لعبة اليمين واليسار .
جيفري ديكورت ترجمة عبد الهادي ناصف
روبرت أوتر ترجمة أمين سلامة
سعيد الجزائري
سميح عاطف الزين
شيريب سبيردوفيتس
عباس محمود العقاد
د. عماد الدين خليل

الحرب من أجل السلام .	عيزرا وايزمن
الجانوسية تتحكم في مصائر الشعوب	فيكتور مارسني
الشرق الأوسط في سعيه للسلام	فيليب روندو - ترجمة كمال الخولي
لعبة الأمم	مايلز كوبلاند
السياسة الخارجية السوفياتية .	مجموعة كتاب سوفيات تعريب خيرى حماد
حكومة الولايات المتحدة .	مجموعة من الكتاب
الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات	د . محمد الصادق
الأمريكية - العربية خلال عشرين	
عاماً (١٩٤٧ - ١٩٨٧ م) .	
أحجار على رقعة الشطرنج .	وليم غاري كار

١٠ - مذكرات قادة الرجال

يختار المسلم ما يناسبه من مذكرات رجال، أعلام وقادة شعوب على حسب طاقته وقدرته .

١١ - الإعلام

الصحافة والأقلام المسمومة	أنور الجندي
الإعلام والاتصال بالجماهير .	د . إبراهيم إمام
الأسس العلمية لنظرية الإعلام .	د . جيهان أحمد رشدي
الإعلام في صدر الإسلام .	د . عبداللطيف حمزة
بحوث في الإعلام الإسلامي .	د . محمد فريد محمود عزت
الصحافة المهاجرة .	د . محمد حلمي القاعود
رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر .	يوسف العظم
منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية	سليم عبدالله حجازي
الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي	محمد منير جنباز
المعاصر في قضية فلسطين .	
حديث في الإعلام .	د . محمد عبده يمانى

رابعاً

مراجع دراسة العلوم المساعدة

بنود دراسة فقه الدعوة

- ١ - فقه أركان الإسلام والشعائر.
- ٢ - مهمة منهاج الله واللغة العربية وقضايا إيمانية أخرى.
- ٣ - القواعد الإيمانية للعمل الصالح وميادين الممارسة الإيمانية.
- ٤ - الدعوة إلى الله ورسوله.
- ٥ - منهج التربية في الإسلام.

١ - فقه أركان الإسلام والشعائر :

أحمد بن تيمية	فتاوي ابن تيمية
أبو الأعلى المودودي	الربا .
أبو الأعلى المودودي	الحجاب .
حسن أيوب	الحج في الإسلام .
السيد سابق	فقه السنة .
صالح بن سعد اللحيidan	مجموعة فتاوي (ثمانية مجلدات) .
عبد العزيز بن باز	الجواب المفيد في حكم التصوير .
عبد العزيز بن باز	التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل
	الحج والعمرة .
عبد العزيز بن باز	حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار .
عبد العزيز بن باز	التحذير من البدع .
عبد العزيز بن باز	حكم الإسلام .
محمد العيد الخطراوي	الرائد في علم الفرائض .
محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي	بداية المجتهد ونهاية المقتصد
محمد ناصر الدين الألباني	صفة صلاة النبي ﷺ
محمد متولي الشعراوي	الفتاوي
د . يوسف القرضاوي	فقه الزكاة
محمد ناصر الدين الألباني	حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة
د . محمد علي البار	مجموعة كتب : الخمر بين الطب والفقه ،
	العدوى بين الطب وحديث المصطفى

٢ - مهمة منهاج الله واللغة العربية :

سيد قطب	خصائص التصور الإسلامي
د . عدنان علي رضا النحوي	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية
د . عدنان علي رضا النحوي	لقاء المؤمنين (جزءان)

٣ - قواعد الإيمان والعقيدة :

ابن تيمية	العبودية .
ابن تيمية	الإيمان .
حسن أيوب	تبسيط العقائد الإسلامية
د . عدنان علي رضا النحوي	لقاء المؤمنين الجزء الأول ، والجزء الثاني .
عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند	النهج المحمدي
غازي التوبة	في مجال العقيدة .
محمد بن عبد الوهاب	التوحيد .
محمد بن سعد بن سالم القحطاني	الولاء والبراء في الإسلام .
محمد بن صالح العثيمين	شرح كتاب «لغة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» لموفق الدين عبد الله ابن أحمد بن قدامة .
محمد بن صالح العثيمين	رسائل في العقيدة .
د . محمد علي البار	خلق الإنسان بين الطب والقرآن .
محمد محمود الصواف	القيامة رأي العين .

٤ - ميادين الممارسة الإيمانية «العمل الصالح» :

٤ - أ - الشعائر سبق عرض مراجع دراستها .

٤ - ب - تربية النساء :

إبراهيم عاصي	همسة في أذن حواء .
أبو الأعلى المودودي	حركة تحديد النسل
أحمد محمد جمال	نساؤنا ونساؤهم .
البهى الخولي	الإسلام والمرأة المعاصرة .
د . سعيد رمضان البوطي	إلى كل فتاة تؤمن بالله .
سميرة بنت الجزيرة العربية	المرأة والإسلام وتحديات العصر .

حركة تغريب المرأة الكويتية	خديجة عبدالهادي
كلمات إلى حواء	طائفة من الكتاب
المرأة بين الفقه والقانون	د. مصطفى السباعي
حقوق النساء في الإسلام	محمد رشيد رضا
الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار.	محمد عطية خميس
المرأة المسلمة .	وهبي الغاوي
المرأة في القرآن .	عباس محمود العقاد
المرأة في ركب الإيمان .	اعتصام الصراف
الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة	د. محمد البهي
المرأة المسلمة في مواجهة التحديات .	أنور الجندي

٤ - ج - تربية الشباب ودور المسلم والجهاد :

رعاية الشباب في الإسلام .	عبدالعزیز محمد الربيع
دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين .	مالك بن نبي
الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع .	صالح اللحيدان
واجب الشباب المسلم .	أبو الأعلى المودودي
الجهاد في سبيل الله .	نعمت صدقي

٤ - د - الحكم والسياسة :

غياث الأمم في التياث الظلم	أبو المعالي الجويني
الأحكام السلطانية والولايات الدينية	أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي
أعلام الموقعين عن رب العالمين	ابن قيم الجوزية
الأحكام السلطانية	أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء
السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية	تقي الدين بن تيمية
الوحدة الإسلامية .	زيد بن عبدالعزيز بن فياض
حكم الإسلام .	عبدالعزیز بن باز

- عبدالقادر عودة
د. عبدالكريم زيدان
عبد الوهاب خلاف
د. عدنان علي رضا النحوي
د. عدنان علي رضا النحوي
فخر الدين عبدالله بن محمد بن
يحيى المنصور
د. محمد سليم العوا
د. محمد سليم العوا
د. محمد عمارة
د. محمد عبدالقادر أبو فارس
د. محمود بابلي
- التشريع الجنائي في الإسلام .
الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية .
السياسة الشرعية .
ملاحم الشورى في الدعوة الإسلامية
الشورى لا الديمقراطية .
براءة الذمة في نصيح الملوك والأئمة
- في أصول النظام الجنائي في الإسلام
في النظام السياسي للدولة الإسلامية .
الإسلام وحقوق الإنسان .
النظام السياسي في الإسلام .
الشورى في الإسلام .

٤ - هـ - في المال والاقتصاد :

- د. إبراهيم دسوقي
د. أحمد النجار
د. شوقي الفنجرى
د. شوكت عليان
د. سامي حسن
محمود أبو السعود
د. محمود بابلي
د. محمود بابلي
مالك بن نبي
- الاقتصاد الإسلامي .
بنوك بلا فوائد .
الإسلام والمشكلة الاقتصادية .
التأمين في الشريعة والقانون .
تطوير الأعمال المصرفية .
خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي .
الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية
المال في الإسلام
المسلم في عالم الاقتصاد

٥ - الدعوة إلى الله ورسوله :

- أبو الأعلى المودودي
البهى الخولي
حسني أدهم جرار
- تذكرة دعاة الإسلام .
تذكرة الدعاة .
الدعوة إلى الله .

حسين محمد يوسف
زيد بن عبدالعزيز بن فياض
عبدالعزیز بن باز
عبدالعزیز محمد بن إبراهيم آل الشيخ

مقومات الدعوة الإسلامية .
واجب المسلمين في نشر الإسلام
الدعوة إلى الله وأخلاق العلماء
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
بين الماضي والحاضر
دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية .
لقاء المؤمنين (جزءان) .
أصول الدعوة .
كيف ندعو الناس .
نحو حركة إسلامية واحدة .
كيف ندعو إلى الإسلام .
دروس في الكتمان من الرسول القائد
مع الله في الدعوة والدعاة .
الدعوة إلى الإسلام .

د . عدنان علي رضا النحوي
د . عدنان علي رضا النحوي
د . عبدالكريم زيدان
عبدالبدیع صقر
فتحي يكن
فتحي يكن
محمود شيت خطاب
محمد الغزالي
مناع القطان

٦ - منهج التربية في الإسلام :

سياسة التربية والتعليم السليمة
نحو التربية الإسلامية الحرة .
التربية في الإسلام .
نحو تربية إسلامية .
التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية .
أهداف الأسرة في الإسلام .
أصول التربية الإسلامية .
فلسفة التربية الإسلامية في
الحديث الشريف .
في أصول التربية الإسلامية .

أبو الحسن الندوي
أبو الحسن الندوي
د . أحمد فؤاد
أحمد محمد جمال
د . إسحق أحمد فرحان
د . إسحق أحمد فرحان وإخوانه
حسين محمد يوسف
سعيد اسماعيل علي
عبدالجواد السيد بكر
عبدالفتاح جلال

عبد الغني عبود	في التربية الإسلامية .
عبد الله ناصح علوان	تربية الأولاد في الإسلام .
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	تربية الناشئة في ضوء السيرة .
علي خليل أبو العينين	فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم .
فتحي يكن	الإسلام والجنس
د . فايز عبد اللطيف اورفلي	أطفال لا يعرفون البكاء .
محمد قطب	منهج التربية في الإسلام .
د . وجيه زين العابدين	الإسلام والتربية الجنسية .
د . وجيه زين العابدين	الإسلام والطفل .
يوسف العظم	أدعية وآداب للجيل المسلم .
يوسف العظم	براعم الإسلام .
د . لطفي بركات أحمد	تأملات في التربية المعاصرة .
د . محمد أحمد صالح	نظام الأسرة عند ابن تيمية .
د . لطفي بركات أحمد	في الفكر التربوي الإسلامي .
د . يوسف مصطفى القاضي ود . مقداد	علم النفس التربوي في الإسلام
ياجن	
د . مقداد ياجن	توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي .
محمد عبد الله السمان	التربية في القرآن .

ثالثاً

مراجع دراسة فقه الدعوة

بنود دراسة العلوم المساعدة

- ١ - السيرة النبوية .
- ٢ - الصحابة والتابعيون .
- ٣ - التاريخ الإسلامي .
- ٤ - علوم القرآن .
- ٥ - مصطلح الحديث .
- ٦ - أصول الفقه .

١ - السيرة النبوية

- ابن حزم الأندلسي
ابن قيم الجوزية (تحقيق مصطفى
عبد الواحد)
أبو تراب الظاهري
أبو الحسن علي الحسني الندوي
أبو الحسن علي الحسني الندوي
أبو الحسن علي الحسني الندوي
أحمد محمد عساف
أمين دويدار
تقي الدين بن أحمد بن علي المقرزي
سليمان الندوي
السهيلي
عبد الله عبد الغني الخياط
عبد الرحمن عزام
عبد السلام هارون
عبد القدوس الأنصاري
عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري
د. عماد الدين خليل
محمد أبو زهرة
محمد بن عبد الوهاب
محمد بن يوسف الصالحي الشامي
محمد حسين زيدان
محمد الخضر بيك
محمد رضا
د. محمد سعيد رمضان البوطي
- جوامع السيرة النبوية .
زاد المعاد في هدي خير العباد .
سرايا الإسلام .
سيرة خاتم النبيين .
السيرة النبوية .
النبي الخاتم .
خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر .
صور من حياة الرسول ﷺ .
إمتاع الأسماع
الرسالة المحمدية .
الروض الأنف .
حكم وأحكام من السيرة النبوية .
بطل الأبطال .
تهذيب سيرة ابن هشام .
طريق الهجرة النبوية
السيرة النبوية (لابن هشام) .
دراسة في السيرة .
خاتم النبيين .
مختصر سيرة الرسول .
سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
سيرة بطل .
نور اليقين في سيرة سيد المرسلين
محمد رسول الله .
فقه السيرة .

سيرة الرسول .
فقه السيرة .
مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير
برواية أبي الأسود عنه .
الرسول القائد .
السيرة النبوية دروس وعبر .
الرسول كأنك تراه (حديث أم معبد) .
زوجات النبي ﷺ وحكمة تعددهن .

محمد عزة دروزة
محمد الغزالي
د . محمد مصطفى الأعظمي

محمود شيت خطاب
د . مصطفى السباعي
عبد العزيز الرفاعي
محمد محمود الصواف

٢ - الصحابة والتابعين

طبقات ابن سعد .
أسد الغابة في معرفة الصحابة .
الإصابة في تمييز الصحابة .
بنات النبي .
كرائم النساء .
تاريخ الخلفاء الراشدين .
خلفاء حول الرسول .
رجال حول الرسول .
العقريات .
صورة من حياة الصحابة .
صور من حياة التابعين .
رجال أنزل الله فيهم قرآنا .
نساء أنزل الله فيهن قرآنا .
أخبار عمر .
مصعب بن عمير .
أبو بصير .
مشاهد من حياة الصديق .

ابن سعد
ابن الأثير
ابن حجر العسقلاني
أحمد التاجي
أحمد محمد جمال
الحافظ جلال الدين السيوطي
خالد محمد خالد
خالد محمد خالد
عباس محمود العقاد
د . عبد الرحمن رأفت الباشا
د . عبد الرحمن رأفت الباشا
د . عبد الرحمن عميرة
د . عبد الرحمن عميرة
علي وناجي الطنطاوي
محمد حسن بريغش
محمد حسن بريغش
محمد المجذوب

حياة الصحابة .	محمد يوسف الكندهلوي
عظماء مجهولون .	محمود شاكر
جهاد قلم .	محمد حسين زيدان
حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول	د . شكري فيصل
مجموعة كتب : أم عمارة الصحابية	عبدالعزیز الرفاعي
الباسلة ، زيد الخير ، ضرار بن الأزور	
الشاعر الصحابي ، كعب بن مالك	
الصحابي الأديب .	
خلافة أبي بكر الصديق .	حسين عبدالله باسلامة
أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين .	محمد رضا

٣ - التاريخ الإسلامي

أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ .	د . إبراهيم علي شعوط
العواصم من القواصم .	أبو بكر العربي
غارة التتار على الإسلام وظهور معجزة الإسلام	أبو الحسن الندوي
تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر .	د . إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر
صلاح الدين الأيوبي .	بسام العسلي
تاريخ الخلفاء .	جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
البداية والنهاية .	الحافظ بن كثير الدمشقي
تاريخ الإسلام .	د . حسن إبراهيم حسن
التاريخ فكرة ومنهاج .	سيد قطب
صور وبطولات من حضارتنا الإسلامية	د . عبدالحليم عويس
من ذاكرة التاريخ الإسلامي .	عبدالرحمن العشماوي
الأندلس تاريخ وعبرة .	عبدالعزیز المسند
الكامل في التاريخ .	عز الدين بن الأثير
تاريخ الأمم والملوك .	محمد بن جرير الطبري

- د. محمد حميد الله
 محمد الخضري
 محمود شاكر
 محمود شاكر
 محمود شيت خطاب
 د. محمد مصطفى هدارة
 د. مصطفى السباعي
 د. مصطفى السباعي
 د. عبدالعزيز كامل
 مجموعة الوثائق السياسية (العهد النبوي).
 تاريخ الأمم الإسلامية.
 سلسلة التاريخ الإسلامي.
 معركة اليرموك.
 قادة الفتح الإسلامي.
 المأمون.
 عظماءنا في التاريخ.
 من روائع حضارتنا.
 المجتمع الإسلامي في مكة.

٤ - علوم القرآن

- أحمد بن محمد طاحون
 جلال الدين السيوطي
 د. شعبان محمد إسماعيل
 د. صبحي الصالح
 د. عدنان زررور
 د. محمد الصبّاغ
 د. محمد عبدالله دراز
 مناع القطان
 مع القرآن الكريم.
 الانتقال في علوم القرآن.
 مع القرآن الكريم.
 مباحث في علوم القرآن.
 دراسات قرآنية.
 لمحات من علوم القرآن.
 النبأ العظيم.
 مباحث في علوم القرآن.

٥ - مصطلح الحديث

- اسماعيل بن كثير
 د. صبحي الصالح
 د. كمال عز الدين
 لفيف من المستشرقين
 د. محمد أديب الصالح
 الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث
 علوم الحديث ومصطلحه.
 الحديث النبوي الشريف من الوجهة
 البلاغية.
 المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.
 لمحات في أصول الحديث.

د. محمد بن لطفي الصباغ

الحديث النبوي مصطلحه - بلاغته

- كتبه .

محمد غوامه

أثر الحديث في اختلاف الأئمة والفقهاء .

د. محمد مصطفى الأعظمي

دراسات في الحديث النبوي وتاريخ
تدوينه .

محمد محمود الطحان

تيسير مصطلح الحديث .

د. مصطفى السباعي

السنة ومكانتها في التشريع .

محمد طاهر بن علي الهندي

المغني (في ضبط أسماء الرجال ومعرفة
كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم) .

د. محمد بن لطفي الصباغ

التصوير الفني في الحديث النبوي .

د. عمر حسن فلاته

الوضع في الحديث .

٦ - أصول الفقه

د. شعبان محمد إسماعيل

أصول الفقه .

عبدالله بن عبدالمحسن التركي

أسباب اختلاف الفقهاء .

عبد الوهاب خلاف

خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي .

عبد الوهاب خلاف

علم أصول الفقه .

محمد أبو زهرة

أصول الفقه .

محمد الأشقر

الواضح في أصول الفقه للمبتدئين .

د. محمد معروف الدواليبي

المدخل إلى علم أصول الفقه .

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي

أدلة التشريع المختلف الاحتجاج بها .

بن الربيعه

القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد .

محمد بن علي الشوكاني

المدخل إلى الفقه الإسلامي .

د. مصطفى الزرقاء

خاتمة

يتساءل الكثيرون من أين نبدأ؟ كيف نبدأ؟. ويبحث الكثيرون عن الإجابة هنا وهناك، ويضربون في كل اتجاه. والطريق ممدود أمامهم صراطاً مستقيماً، والله سبحانه وتعالى وضع لهم النهج وعرف لهم الصراط المستقيم، بداية ودرباً وهدفاً.

مع المنهاج الرباني: إيماناً وعلماً وممارسة، ومع دراسة الواقع البشري حتى تتضح وسائل الممارسة وأساليبها، مع هذين الزادين تكون البداية والمسيرة، قضية حياة ومهمة عمر لا تتوقف.

وعلى هاتين القاعدتين يقوم النهج والتخطيط، والفكر والتصور، والجهد والعمل، ومنها يكون المنطلق.

إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل كتابه العزيز ليشقى الناس به، ولا ليكون عقبة، ولا ليجد حرجاً.

﴿ طه مَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلَّا نَذْكِرَٰكَ لِمَن يَخْشَىٰ تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ۖ ﴾ (طه: ١ - ٤).

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى منهاجه الرباني رحمة للعالمين، ونوراً وهداية وشفاء. فهو يسر لا يجد المؤمن معه حرجاً:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ۖ ﴾ (القمر: ١٧).

لابد من أن تستقر هذه الحقيقة في القلوب والصدور، ولا بد من الإعادة والتكرار من أجل ذلك. فلقد هجر المسلمون كتاب الله وسنة نبيه هجراناً طويلاً، هجراناً امتد قروناً من النكبات والابتلاء. ولقد كان من أثر هذا الهجران أن أصبحت الأمور البدئية تحتاج إلى شرح وتعليل، وإلى إعادة وتكرار، وإلى دراسة وبحث. وعلى قدر ما كان الهجران طويلاً، سيكون كذلك الجهد للتذكير والإعادة والتعليل.

ولا سبيل أخرى لمن أراد النجاة! سيحاول الناس تجربة مذاهب شتى تخرج من عصارة جهد بشري، حتى لو حملت شعاراً إسلامياً. ولكن هذه المحاولات كلها لن تزيد الناس إلا ابتلاءً وبلاء. لا سبيل أخرى! فالسبيل هو العودة المنهجية إلى كتاب الله وسنة رسوله منهاجاً ربانياً، يبدع الجهد البشري في ميدان التدبر والفهم على بصيرة وإيمان، ويبدع الجهد البشري في ميدان الممارسة الإيمانية والعمل الصالح، حين يقوم هذا كله على: إيمان مشرق، وعلم صادق، وموهبة غنية، وخبرة وتجربة.

لذلك حاولنا في هذا الكتاب رسم النهج العملي على أساس من منهاج الله، وأساس من الواقع الذي نعيشه.

وإننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل طاهراً نقيّاً، خالصاً لوجهه الكريم، مقبولاً عنده. فذلك أعلى ما نتمناه، وأعلى ما نسعى إليه.

ونتوب إلى الله سبحانه وتعالى من كل ذنب، ونستغفره من كل زلل، ونسأله العفو والعافية، والنجاة في الدنيا والآخرة. إنه هو المولى، وهو الولي الحميد.

فهرس الأحاديث الشريفة

صدر الحديث	الصفحة	
حرف الهمة		
ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة	٣٢	
ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	١٧٥، ٣٥٠	
أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني أخشاكم لله	١٩٩	
أراي في المنام أتسوك بسواك	١٦٨	
إتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها	١٤٤	
إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان	١٥٨	
استفت قلبك واستفت نفسك	٣٦	
استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم	١٦٢	
أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم	١٤٩	
إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين	١٦١	
إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها	١٨٦	
إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته	٢٠٠	
أنزلوا الناس منازلهم	١٤٩	
إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم	١٦٨	
إياكم والجلوس على الطرقات	٦٥	
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	١٤٢	
إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات	١٤١	
أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد	١١٩	
أيهم أكثر أخذاً للقرآن	١٦٠	

صدر الحديث	الصفحة	
حرف التاء		
تبسمك في وجه أخيك صدقة	١٢٢	
تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا	٥	
تعلموا من أنسابكم ما تضلون به أرحامكم	١٥٣	
حرف الحاء		
الحال المرتحل قالوا وما الحال المرتحل	٥٢	
حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله أنهم كانوا يقترون	١١٦	
من رسول الله عشر آيات		
حرف العين		
عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد	٥٦	
العلم ثلاثة، فما وراء ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة	٤٦، ٣٩	
أو فريضة عادلة		
حرف الفاء		
فأخبروني عن الإحسان	١٤٤	
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم	١٦٠	
حرف الكاف		
كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع	١٤٧	
كنا إذا تعلمنا من النبي عشر آيات من القرآن	٩٤	
كنا مع النبي ﷺ ونحن فتیان حزوره	٤٦، ١١	
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت	١١٨	
كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم	٣٩	

الصفحة	صدر الحديث
	حرف اللام
١٦٩، ١٤٩	لقد كنت على عهد رسول الله غلاماً فحفظت عنه
١٦٨	ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا
١٤٢	لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا
٢٠٠	لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق
١٧٦	لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا
١٦١	لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن
١٦٥	لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته بالحق
١٦٤	لا حلیم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة
١١٦	لتأخذوا مناسككم
	حرف الميم
١٦٩	ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله له من يكرمه عند سنه
٣٢	ما على عثمان ما عمل بعد هذه
١٩٢، ١٤٦	من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
١٠	من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل
١٨٠	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٢٦	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد
٩٤	من نام عن حربه أو عن شيء منه . . .
٢٠٠	من هذه؟ قالت هذه فلانة
١٩٠، ١١	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
١٥١	المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم
١٧٠	المؤمن القوي خير وأحب الله من المؤمن الضعيف

الصفحة	صدر الحديث
	حرف الهاء.
١٩٨	هريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى
	حرف النون
١٦٣	الناس معادن كالذهب والفضة
	حرف اليا.
١٤٦	يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة
١٤٦	يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً
٣٩	يا زيد تعلم لي كتاب يهود
٢٠٢	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
١٤٥	يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة
١٤٥	يا غلام إني أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك
١٦٢	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
١٣٨	يؤق بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار
١٢	يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها

فهرس كتاب منهج المؤمن بين العلم و التطبيق

رقم الصفحة

٥	الافتتاح
٧	الإهداء
٩	مقدمة
١٩ - ١٥	تمهيد

الباب الأول المنهاج الذاتي

٤٢ - ٢٣	الفصل الأول: لماذا المنهاج الرباني؟
٧١ - ٤٣	الفصل الثاني: المنهاج الذاتي (الفردى)
٩٤ - ٧٢	الفصل الثالث: مراحل المنهاج الذاتي
١٠٥ - ٩٥	الفصل الرابع: مراجع المراحل الأربع الأولى (القائمة المبسطة)

الباب الثانى الأهداف و المراحل

١٢٤ - ١٠٩	الفصل الأول: أهداف المنهاج الذاتى و التربة الإيمانية
١٣٢ - ١٢٥	الفصل الثانى: مراحل التربة و البناء من خلال الدعوة

الباب الثالث موضوعات عامة

١٧٠ - ١٣٥	الفصل الأول : منازل المؤمنين بين الحقوق و الواجبات
١٨٢ - ١٧١	الفصل الثانى: الموازنة بين مسئولية الفرد و مسئولية الأمة
٢٠٦ - ١٨٣	الفصل الثالث: قضايا فى الممارسة الإيمانية

الباب الرابع

قائمة المراجع العامة للمنهاج الذاتي للمرحلة الخامسة

٢٦٥ - ٢٠٣ قائمة المراجع العامة
٢٦٨ - ٢٦٧ خاتمة
٢٧١ - ٢٦٩ فهرس الأحاديث
٢٧٤ - ٢٧٣ الفهرس

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية - الطبعة السادسة .
- الشورى وممارستها الإيمانية - الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الطبعة الثالثة .
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق - الطبعة الثالثة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر - الطبعة الثانية .
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر - الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية - الطبعة الرابعة .
- النية في الإسلام وبعدها الإنساني - الطبعة الأولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع - الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام . - الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء - الطبعة الأولى .
- منهج لقاء المؤمنين - الطبعة الأولى .
- «خطة الداعية The Caller's Plan» - الطبعة الأولى .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - (مترجم إلى اللغة التركية) .
- الطبعة الأولى .
- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - الطبعة الثانية .

- الحداثة في منظور إيماني - الطبعة الرابعة .
- تقويم نظرية الحداثة - الطبعة الثانية .
- ديوان الأرض المباركة - الطبعة السادسة .
- ديوان موكب النور - الطبعة الرابعة .
- ديوان جراح على الدرب - الطبعة الثالثة .
- ديوان مهرجان القصيد - الطبعة الأولى .
- ملحمة الغرباء - الطبعة الثالثة .
- ملحمة القسطنطينية (فتحان) - الطبعة الثانية .
- ملحمة الجهاد الأفغاني - الطبعة الثالثة .
- ملحمة فلسطين - الطبعة الخامسة .
- ملحمة الأقصى - الطبعة الثانية .
- ملحمة الإسلام في الهند - الطبعة الأولى .
- على أبواب القدس - الطبعة الثانية .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - الطبعة الرابعة .
- الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ - الطبعة الثالثة .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع (مترجم إلى اللغة التركية) .
- الطبعة الأولى
- دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) - الطبعة الأولى .



دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس : ٤٠١٠٢٥٧

ص . ب ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

NAJD COMMERCIAL PRINTING PRESS CO.
Riyadh-Tel.: 4488024 -4488026



شركة مطابع نجد التجارية
الرياض - ت: ٤٤٨٨٠٢٤ - ٤٤٨٨٠٢٦



هذا الكتاب

إنَّ ما يعانيه العالم الإسلاميُّ اليوم من بلاء وفتن، ليس وليد ساعة ولا هو قضية سنوات محدودة، ولكنها قرون طويلة طرقتها بالفواجع ومدَّت فيه المجازر، وطمغى الجهل وغلب الهوى واضطرب الميزان.

من ذلك التاريخ نتعلم دروساً كثيرة، من أهمها مسئولية الفرد في الأمة، حتى يشعر المسلم نفسه أنه هو مسئول كما أن غيره مسئول. وأن عليه هو أن ينهض لمسئوليته وأمانته التي خُلِقَ لها قبل أن يكثُر لوم الآخرين. ودرس آخر هو أن هذه المسئولية والأمانة لا يحددها بشر ولا يقرها إنسان. إنها مسئولية وأمانة حددها الله سبحانه وتعالى، خالق الإنسان ورب الإنسان، رب العالمين. حددها الله وفصلها في منهاجه الربانيّ — قرآناً وسنة —. فمن هناك، من المنهاج الرباني، تُعرَفُ الأمانة وحدودها، والواجبات وينودها، والمسئولية ومداهها. ولا يتعارض هذا مع ضرورة وضع تفاصيل وإقرار جزئيات على أساس من منهاج الله والواقع الذي يعيشه المسلم، تُنْتَظَم كلها في نهج إيماني واع.

ونتعلم كذلك من التاريخ أن على الأمة أن تنجو من لجاج الفلسفة التي تميت حقائق الإيمان، وأن تخلص من سكرة الخدر وأحلام الهوى، وأن تفيق على الواقع قبل أن يجرفها بلاء شديد.

من هذه القضايا وما يتبعها ينطلق تصورنا للخطوة الأولى في نهج إيماني، ودعوة ربانية. إنها الخطوة الأولى على الدرب والثبة الأولى في الميدان. إنه النهج الإيماني الذي ينفي الارتجال والهوى، ويضع المسلم أمام مسئولية محددة وأمانة مبيّنة.

لقد فقد المسلمون النهج الإيماني قروناً طويلة عصفت بها الهوى والارتجال. ولابد اليوم من عودة كريمة إلى نهج مدروس ودرب محدود، وصراط مستقيم، يتحدد بالنية الصادقة والعزيمة الثابتة، والدرب الجليّ، والهدف المشرق.